

الدكتور أحمد طه حسانين سلطان
مُكيَّةُ اللغة العربية - جامعة الأزهر

التهنؤ والتسهيّل في القراءات واللهجات العربيّة

(رسالة ماجستير)

مكتبة وهبة

٤ شارع الجمهورية، عقدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦



دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

سلطان، أحمد طه حسانين

الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية

/ أحمد طه حسانين سلطان

- القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٠

٢٠٨ صفحة؛ ٢٤ سم

تدمك ٤ ٨٦٣٣ ١٧ ٩٧٧

١- اللهجات العربية

أ- العنوان

اسم الكتاب: الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية

اسم المؤلف: الدكتور أحمد طه حسانين سلطان

الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -

عابدين - القاهرة

٢٠٨ صفحة ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ٢٩٠٧٠/٢٠١٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N.

977-17-8633-4

تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
ولمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير
مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا
الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه
على أجهزة استرجاع أو استرداد
إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي
وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله
على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية
مسبقة من الناشر والمؤلف.

All rights reserved to The Author And
Wahbah Publisher. No Part of this
Publication may be reproduced, stored
in a retrieval system, or transmitted,
in any form or by any means, electronic,
mechanical, photocopying, recording or
otherwise, without the prior written
permission of the publisher And Author.

إهداء

- إلى روح أُمى الطاهرة في الفردوس الأعلى من جنة النعيم .
- إلى روح أبى الطاهرة في الفردوس الأعلى من جنة النعيم .
- إلى زوجى وأولادى أصلح الله لى ولهم الحال والشأن .
- إلى من علمونى الألف باء في مكتب تحفيظ القرآن الكريم .
- إلى من تلقيت منهم وعنهم العلم في مراحل العمر المختلفة .

والله تعالى أسأل أن يجعله في ميزان الحسنات لى ولهم في يوم الدين .

دكتور
أحمد طه سلطان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الكريم الجواد ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بلغة الضاد ، وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن والاه .

ويعد :

فلم يكن اختيار هذا البحث « الهمز والتسهيل فى القراءات واللهجات العربية » - وليد المصادفة ، وإنما كانت الرغبة ملحة فى اختياره ، منذ أن كنت فى سنوات الدراسة العالية ثم العليا فى كلية اللغة العربية ، والسبب فى ذلك الإلحاح ، وتلك الرغبة ، هو أننى كنت كثيراً ما أردت النظر فى حديث : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فاقروا ما تيسر منه » ، وكنت قد وقفت على اختلاف العلماء فى تفسير لفظة الأحرف ، واستحسنتم مما قالوه فيها أنها : سبع لغات متفرقة فى جميع ألفاظ القرآن ، والعدد لا مفهوم له ، أو أنها سبعة أوجه ، والوجه السابع منها هو اختلاف اللغات من فتح وإمالة ، وترقيق وتفخيم ، وتحقيق وتسهيل ، وإدغام وإظهار ، ونحو ذلك^(١) . فوقر فى نفسى أن هذه اللهجات صالحة للدراسة المتخصصة ولا سيما فى رحاب القراءات القرآنية .

فعقدت العزم على أن أدرس ظاهرة الهمز والتسهيل من الناحية اللهجية ، وأن أدخل بهذه الدراسة فى رحاب القراءات القرآنية ، باعتبارها من أهم المصادر ، وأوثقها فى دراسة الظواهر اللغوية .

فرحت أفتش وأنقب عن مصادر ومراجع تلك الدراسة ، وعمما تحتوى من مادة تعين على الوصول إلى الهدف المرجو منها ، فوجدت المصادر والمراجع وفيرة ، وعثرت فيها على مادة غزيرة ومتنوعة ، وقد كانت تلك المادة موزعة فى كتب

(١) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ١ ص ٢٠٧ .

النحو : كالكتاب لسيوييه ، والمقتضب للمبرد ، وشرح المفصل لابن يعيش ،
وشرح الرضى على الشافية ، وشرح الشيخ زكريا الأنصارى على الشافية أيضاً ،
وشرح التسهيل للمرادى ، وارتشاف الضرب من كلام العرب لأبى حيان ،
والأشمونى ، وحاشية الصبان وغيرها وفى كتب اللغة : كالعين للخليل ،
والتهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد ، ونوادر أبى زيد ، والخصائص ،
وسر الصناعة لابن جنى ، ولسان العرب لابن منظور ، وغيرها . . . وفى كتب
التفسير : كالبحر المحيط ، والكشاف وفى كتب القراءات : ككتب
ابن الجزرى وكتب أبى عمرو الدانى ، والحجة لابن خالويه ، والحجة لأبى على
الفارسى ، والمحتسب لابن جنى ، ومختصر الشواذ لابن خالويه ، وبعض شروح
الشاطبية وغيرها . . . وفى كتب المُحدِّثين من علماء اللغة والأصوات : ككتب
الدكتور إبراهيم أنيس ، وكتب الدكتور عبد الصبور شاهين ، وكتب الدكتور كمال
بشر ، وكتاب الدكتور عبد الحليم النجار الذى عنوانه : (من مباحث الهمزة فى
العربية) وغيرها وفى بعض الرسائل العلمية : كرسالة الدكتور أحمد علم
الدين الجندى (اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة) ، وكرسالة
الدكتور عبد العظيم الشناوى (الهمزة .. أثرها وأحوالها فى لغة العرب) وغيرها . . .
وفى بعض كتب الأدب القديمة والحديثة ، وفى بعض كتب التاريخ ، وفى بعض
المقالات

وكنْتُ أحسب - فى أول الأمر - أن وفرة المادة وغزارتها سوف تجعل الطريق
إلى بلوغ الهدف سهلاً يسيراً ، لكننى وجدت العكس تماماً ، فالمادة الغزيرة
المبعثرة فى تلك المراجع ، كانت تمثل مشكلة كبيرة ، وصعوبة بالغة فى جمعها
وترتيبها وتوزيعها على الفصول المختلفة ، ثم فى شرحها أو التعليق عليها .
ومما زاد الأمر صعوبة اختلاف مناهج النحويين والقراء فى مناح عديدة ، تتعلق
بالمادة المدروسة وطريقة عرضها ، ثم فى الأسس التى استند إليها كل فريق فى
إقامة منهجه ، ومثل ذلك الاختلاف قد جعلنى أعيش كل فريق معاشة مستقلة
ولفترة قد تطول أو تقصر ، حتى أتفهم ما عند هؤلاء وأولئك ، وحتى ألمس
ما بين هذه المناهج من فروق .

والصعوبة الثالثة كانت تكمن فيما أريد لهذا المنهج ، وهو إيثار الإجمال على التفصيل ، والاختصار على التطويل ، مع الإلمام بأشتات المادة الغزيرة التى أشرت إليها سابقاً .

وقد اقتضى ذلك المنهج أن يأتى البحث فى سبعة فصول ، تسبقها مقدمة وتتلوها خلاصة ، وهاك إجمالاً لمحتويات تلك الفصول :

الفصل الأول : كان عنوانه : (الهمز والتسهيل عند اللغويين والنحاة) ، وفيه عرضت للمفهومين اللغوى والاصطلاحى لصوت الهمزة ، وبينت وجهتى نظر الأقدمين والمحدثين ، وإمكان تلاقيهما . ثم أوضحت مصطلحات الهمز والتسهيل ومدى دورانها فى كتب النحويين والقراء ، ثم كان الحديث عن موقع الهمزة من الكلمة فى اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ثم قسمتها إلى همزة القطع وهمزة الوصل ، مع بيان المواضع القياسية والسماعية لهمزة الوصل ، وكيفية التفريق بينهما . ثم عرضت لأحوال الهمزة من التحقيق والتسهيل ، وفُسِّرَت العنونة مع بيان وجهة الأقدمين والمحدثين ، ثم أوضحت المواضع القياسية وغير القياسية لأنواع التسهيل الثلاثة : بين بين ، والبدل ، والحذف ، ثم بينت أحكام الهمزتين من كلمة ومن كلمتين .

الفصل الثانى : كان عنوانه (القبائل العربية بين الهمز والتسهيل) ، وقد عرضت فى صدر هذا الفصل لما يناسب القبائل العربية من الأنماط اللهجية المختلفة ، ثم لما يناسبها من الهمز والتسهيل ، ثم أوضحت أن الهمز أصل وأن التسهيل فرع عنه ، وأن العربية النموذجية آثرت الهمز على التسهيل لأسباب تتعلق بنزول القرآن ، ومنهج الرواة فى جمع اللغة ، ومع هذا الإيثار للهمز فليس التسهيل لهجة عامية ، بل هو لهجة فصيحة أيضاً ، وبعد ذلك سقت الروايات التى تدل على أن بعض القبائل كان يبالغ فى الهمزة فيبدلها عينا ، وبعضها الآخر كان يهمز ما ليس بهموز ، وبعدها كانت روايات التحقيق ، ثم روايات التسهيل ، ومن خلال ذلك كله كانت القبائل التى تتكلم بالعنونة أو بالتهميز أو بالتحقيق قبائل بدوية ، وكانت القبائل التى تسهل - فى الغالب - حجازية .

الفصل الثالث : كان عنوانه (الهمز والتسهيل وعلاقته بالإبدال) ، وكان القصد منه الوقوف على السرّ فى حلول الهمزة محل حروف المد واللين وبالعكس ، وفيه عرضت لآراء القدماء والمحدثين حول تلك القضية .

الفصل الرابع : كان عنوانه (الهمز والتسهيل فى القراءات القرآنية) ، وفى هذا الفصل عرضت لأبواب الهمز فى كتب القراءات ، ثم أوضحت على أساس ذلك مَنْ يحقق من القراء وَمَنْ يسهل منهم ، ثم عللت لمذهب كل واحد من القراء المشهورين ، وفى هذا الفصل - أيضاً - عرضت لأبرز الفروق بين النحويين والقراء فى دراسة الهمز والتسهيل .

الفصل الخامس : كان عنوانه (الوقف على المهموز فى ضوء رسم المصحف) ، والذى دعا إلى هذه التسمية هو أن الإمام حمزة انفرد - من بين القراء السبعة - بالوقف على المهموز بالتسهيل ، وكان يتبع فى التسهيل أحياناً خط المصحف العثماني ، وفى أثناء هذا الفصل عرضت لمذاهب النحويين فى الوقف على المهموز .

الفصل السادس : كان عنوانه (علامات الهمز والتسهيل) ، وفيه عرضت لبيان المرحلتين اللتين ظهرت فيهما للهمز والتسهيل علامة مغايرة لصورة الهمزة التى هى الألف أو الواو أو الياء .

الفصل السابع : كان عنوانه (الهمز والتسهيل فى اللهجات العربية الحديثة) ، وفيه أجملت سلوك اللهجات العربية الحديثة إزاء الهمز بأنواعه المختلفة ، وحاولت ربط اللهجات الحديثة باللهجات القديمة بقدر الإمكان .

ثم كانت الخلاصة ، وفيها النقاط التى هى مظنة جذب انتباه القارئ . . .
ثم كانت المراجع والفهارس

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به طلاب العلم من الباحثين والدارسين ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب...

أحمد طه حسانين سلطان

الفصل الأول

الهمز والتسهيل عند اللغويين والنحاة

الهمز لغة :

لم يكن العربى فى الجزيرة العربية يفهم من كلمة الهمز سوى ما جاء فى القاموس المحيط من أن « الهمز هو الغمز والضغط والنخس والدفع والضرب والعض والكسر »^(١) ، أما إطلاقه على الصوت الأول من حروف (أبجد) فلم يكن معروفاً عند العرب الحضريين والبدويين على السواء ، تدلنا على ذلك تلك الروايات الأدبية المشهورة ، ومنها : « أن أحد علماء اللغة سأل رجلاً من قريش : أتهمز الفأرة ؟ يريد أن يعرف لهجة الرجل ، هل ينطق الهمزة فى كلمة الفأرة محققة أو مسهلة ؟ فلم يفهم القرشى مراد ذلك السائل ، وأجاب : إنما يهمزها القط »^(٢) . ومثلها فى الدلالة تلك الرواية التى تقول : « سئل أعرابى : أتهمز إسرائيل ؟ فقال : إني إذا لرجل سوء »^(٣) ، والرواية الأخرى : « قيل لأعرابى : أتهمز الفار ؟ فقال : السّور يهمزها »^(٤) ، فالمستول فى الرواية الأولى قرشى حضرى ، وفى الروايتين الأخريين أعرابيان بدويان ، وعدم معرفة هذين أو ذاك للمعنى الاصطلاحي للهمز أى النطق بالهمزة محققة غير مسهلة ، لا يدل على أنه كان مجهولاً لدى كل الناس ، بل يدل على أنه كان غير شائع بين عامة الناس ، أما الطبقة المثقفة فى عصر صدر الإسلام ، ومنها الإمام - على بن أبى طالب - فقد كانت تعرف الهمز بمعناه الاصطلاحي ، يفهم ذلك من قول الإمام على : « نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل - عليه السلام - نزل

(١) القاموس المحيط جـ ٢ ص ١٩٦ (مادة همز).

(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٩٦.

(٣) تاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص ٣٤.

(٤) لسان العرب جـ ٥ ص ٤٢٦ (مادة همز).

بالحمزة على النبى ﷺ ما همزنا^(١) ، وشيوع المعنى اللغوى للهمز أكثر من ذبوع المعنى الاصطلاحي لا يخلو من دلالة ، فربما دلّ على "أن لفظ الهمز ليس فى أصله علماً على صوت من أصوات اللغة"^(٢) .

والهمز بمعنى الضغط هو أحد المعانى اللغوية للنبر ، قال صاحب اللسان فى مادة (نبر) : النبر بالكلام : الهمز ، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبراً : همزه ، وفى الحديث قال رجل للنبي ﷺ : يا نبى الله فقال : لا تنبر باسمى ، والنبر همز الحرف ، ولم تكن قریش تنبر فى كلامها^(٣) .

فالحمز والنبر والضغط إذا وصف الكلام بها أو أضيفت إليه ، كانت ألفاظاً مترادفة ، وكان المقصود منها شيئاً واحداً « هو كيفية فى أداء الكلام ، وبعبارة أدق : كيفية فى نطق الحروف أو الأصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط ، لا يستأثر بذلك حرف دون آخر ، فإذا ضغط الناطق على مقطع الخاء فى الفعل (أخذ) كانت الخاء هنا مهموزة ، وإذا ضغط على مقطع الذال كانت مهموزة ، وكذا إذا ضغط على مقطع الألف فى بدايته كانت الألف مهموزة^(٤) . وقد ظلت المفاهيم اللغوية السابقة هى المتبادرة إلى الذهن من لفظ الهمز عند عامة الناس ، « حتى ابتكر الخليل بن أحمد علامة مميزة للهمزة هى عبارة عن رأس عين صغيرة (ع) فأخذت هذه العلامة الجديدة تلعب دورها فى تصوير صوت الهمزة ؛ وإنما اختار الخليل هذا الرمز بالذات لأنه على ما يروى أحس بقرب مخرج الهمزة من مخرج العين^(٥) . فالهمزة اسم مستحدث لا أصلى^(٦) "أصبح منذ عهد الخليل علماً على أحد أصوات اللغة العربية ، وسوف نشير - فيما بعد - إلى رسم الهمزة قديماً وحديثاً ، وإلى الأطوار أو المراحل التى مرت بها حتى استقرت على النحو الذى نعرفه الآن .

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضى ج ٣ ص ٣٢ .

(٢) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين ص ١٧ .

(٣) لسان العرب ج ٧ ص ٣٩ ، ٤٠ (مادة نبر) .

(٤) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ٢٢ .

(٥) دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر ص ٦٠ .

(٦) حاشية الصبان على الأشمونى ج ٤ ص ٢٨٧ .

الهمزة فى اصطلاح علماء اللغة الأقدمين :

الهمزة فى اصطلاحهم هى أحد أصوات اللغة العربية ، وعلى وجه التحديد هى الصوت الأول من حروف (أبجد) ، وقد اختلفوا فى بيان مخرجها وعلاقتها بصوت الألف ، فسيبويه^(١) كان يرى أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق ، وأنها صوت مجهور شديد ، وتابعة على ذلك من جاءوا من بعده ، كالمبرد^(٢) ، وابن جنى^(٣) ، وابن يعيش^(٤) ، والرضى^(٥) ، وغيرهم . أما الخليل بن أحمد فقد اضطربت الرواية عنه فى تحديد مخرج الهمزة ، فتارة كان يقول : إنها تخرج من أقصى الحلق ، وهاك عبارته من كتاب « العين » : (وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رُفَّ عنها لانت إلى الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح)^(٦) . وتارة كان يقول : إنها تخرج من الجوف ، وهاك عبارته من العين أيضاً : « فى العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهى الواو ، والياء ، والألف اللينة ، والهمزة ؛ وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هى هاوية فى الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة ، والواو ، والياء - هوائية ، أى إنها فى الهواء^(٧) . وقد نقل المتأخرون^(٨) من اللغويين والنحاة عن (العين) عبارة الخليل الأخيرة ، وذاعت فى كتبهم وصارت عندهم هى كل رأى الخليل . ومع ذلك فهناك أمور تشكك فى نسبة هذا الرأى لل خليل ، منها :

- (١) انظر : باب الإدغام فى كتاب سيبويه ج ٤ ص ٤٣٣ ، ص ٤٣٤ ط تراثنا .
- (٢) انظر : المقتضب للمبرد ج ١ ص ١٩٢ ، ص ١٩٥ .
- (٣) انظر : سر الصناعة ج ١ ص ٥٢ ، ٦٩ ، ٧٨ .
- (٤) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ج ١٠ ص ١٢٤ ، ص ١٢٩ .
- (٥) انظر : شرح الشافية ج ٣ ص ٢٥١ ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ .
- (٦) كتاب العين ج ١ ص ٥٨ تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، وانظر ٥٢/١ من كتاب العين بتحقيق الدكتورين : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي .
- (٧) كتاب العين لل خليل بن أحمد ج ١ ص ٦٤ ، وانظر ٥٧/١ من كتاب العين بتحقيق د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي .
- (٨) انظر : ابن يعيش ج ١٠ ص ١٢٤ ، وشرح الشافية للرضى ج ٣ ص ٢٥١ ، ولسان العرب ج ١ ص ٧ .

(١) لم نر أحداً من تلامذة الخليل - وعلى رأسهم «سيبويه» - نقل عنه مثل هذا الرأي ، أو أشار إليه ولو بإشارة عابرة .

(٢) هناك من ينسب ذلك إلى غير الخليل صراحة ، فقد نقل صاحب النشر عن مكى بن أبى طالب قوله : « وزاد غير الخليل معهن (أى مع حروف الجوف الثلاثة الألف والواو والياء) الهمزة ، لأن مخرجها من الصدر وهو متصل بالجوف^(١) .

(٣) العبارة الأولى التى نقلناها عن كتاب العين ، تناقض العبارة الثانية التى تناقلها المتأخرون كابن يعيش والرضى وابن منظور .

هذا ويمكن التوفيق بين العبارة الأولى والثانية ، فيقال : إن الخليل ربما كان يعد ما دون الحلق المعروف الآن فى علم التشريح (وهو يشمل : الحنجرة والقصبية الهوائية ، والرئتين) مخرجاً ، وكان يسميه الجوف ، فى الوقت الذى كان يسمى أعلى نقطة فيه : أقصى الحلق ، وعلى ذلك فأقصى الحلق عنده هو الحنجرة ، غير أن اسم الحنجرة لم يكن معروفاً لديه باعتباره علماً على أحد مخارج الحروف ، وبهذا يكون جمعه بين الهمزة والألف والواو والياء فى مخرج واحد هو الجوف صحيحاً ولا غبار عليه^(٢) ، ولا يؤخذ عليه إلا تسميته الهمزة حرفاً هوائياً مثل حروف العلة الثلاثة ، لأنها صوت شديد كما قال القدماء ، أو انحباسى كما قال المحدثون .

(١) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ١٩٩ وفيه بعد النص المذكور : (قلت) الصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة ؛ لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة .

(٢) وتوضيح ذلك: أن الجوف الذى نسبت إليه الهمزة فى كلام الخليل يساوى أقصى الحلق الذى نسبت إليه الهمزة فى كلام سيبويه ومن تابعه ، وهذا ما صرح به الخليل فى عبارته الأولى التى نقلناها عنه آنفاً. وأقصى الحلق عند الخليل وسيبويه وغيرهما ينحصر فيما أطلق عليه المحدثون فيما بعد الحنجرة ونسبوا إليه الهمزة. ولما كان الهواء المنضغط فى الجوف الذى هو (القصبية الهوائية ، والرئتان ، وأقصى الحلق = «الحنجرة») قوياً وشديداً بشكل ملحوظ صح أن يعبر الخليل عن مخرج الهمزة بالجوف فى عبارته الثانية ، مثلما صح أن يعبر ابن جنى عنه بالصدر فى كتابه سر صناعة الإعراب ٤٨/١ - وصح لدى الخليل أن ينسب الألف اللينة والواو والياء إلى الجوف لما وجد أن الهواء فى الرئتين وفى القصبية الهوائية متصلاً بالهواء فى جوف الحلق والقم معها من دون عوائق ، فأطلق عليها جوفية وهوائية ، وهذا قريب من تعبير ابن جنى عنها بالحروف المتسعة ، وذلك فى كتابه سر صناعة الإعراب ٨/١.

وهؤلاء جميعاً كانوا يفرقون بين الهمزة والألف الساكنة ، ويعدون كلا منهما حرفاً أو صوتاً مستقلاً ، وإن كانتا تخرجان من مخرج واحد هو أقصى الحلق عند سيبويه ومن تابعه ، أو الجوف على رأى الخليل .

أما سيبويه فقد فرق بينهما على أساس الحركة والسكون ، وعلى أساس الموقع ، فقال : « والهمزة حرف كالعين تحتل الحركة والسكون ، وتكون فى أول الكلمة وآخرها ووسطها ، والألف حرف آخر لا يكون إلا ساكناً ، ولا يكون فى أول الكلمة »^(١).

وأما ابن جنى فكان يفرق بينهما على أساس المخرج ، ويرى : « أن مخرج الألف المتحركة التى هى همزة من الصدر ، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق »^(٢).

ويظهر أن الذى دفع ابن جنى إلى أن يقول ذلك - مخالفاً ما ذكره فى موضع آخر من أن الهمزة والألف تخرجان من الحلق - هو رغبته فى التوفيق بين قولى الخليل وسيبويه ، واستحسانه لهما جميعاً ، وربما يكون ابن جنى قد أراد فى هذا الموضع أن يفسر قول الخليل بأن الهمزة والألف تخرجان من الجوف ، غير أن العبارة قد حدث فيها سهو أو تحريف وصوابها هكذا : "إن مخرج الألف المتحركة التى هى همزة من أول الحلق ، ومخرج الألف فوقها من الصدر" احتمالان جائزان ، وبذلك التفريق بين الهمزة والألف ، تبلغ الحروف الأبجدية عند هؤلاء تسعة وعشرين حرفاً ، أولها الهمزة وآخرها الياء ، وهى موزعة على سبعة عشر مخرجاً عند الخليل ، وعلى ستة عشر مخرجاً عند سيبويه ومن تابعه .

وهناك طائفة أخرى كانت لا تفرق بين الهمزة والألف الساكنة ، وتعد الحروف الأبجدية ثمانية وعشرين حرفاً ، ومن هذه الطائفة أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) الذى حكى عنه السيوطى أنه كان (يرى ترادف الهمزة والألف ، فيقول : الهمزة هى

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ج ٤ ص ٢٨٦ مطبعة عيسى البابى الحلبي .

(٢) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٤٨ .

الأصل ، والألف الساكنة هي الهمزة ترك همزها^(١) ، ولم تبد للفراء حجة فيما ذهب إليه إلا قوله : إن الهمزة هي الأصل ، وهذا لا يكاد يتضح له وجه ، إلا عند أكثر أهل الحجاز ، الذين يخففون الهمزة ، خلافاً للتمييزيين ومن يحققونها من العرب ، على أنها في حالة التخفيف عند الحجازيين لا تأخذ البتة صورة الألف الساكنة^(٢) . وقريب من ذلك رأى أبى العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) الذى حكى ابن جنى عنه أنه كان يعدها - أى الحروف الأبجدية - ثمانية وعشرين حرفاً ، ويجعل أولها الباء ، ويدع الألف من أولها ، ويقول : هي همزة ، ولا تثبت على صورة واحدة وليست لها صورة مستقرة ، فلا أعتدها مع الحروف التى أشكالها محفوظة معروفة^(٣) .

ويبدو أن اضطراب الفراء والمبرد فى أمر الهمزة مرجعه أمران :
أ - الخلط بين حالتى النطق والكتابة ، فالهمزة التى فى أول الكلمة تكتب ألفاً ، وإن كانت تنطق همزة ، مع أن العبرة فى إثبات الحروف - كما قال ابن جنى - بالنطق لا بالخط ، لوجود اللفظ قبل الخط ، والهمزة موجودة فى اللفظ كغيرها من الحروف^(٤) .

ب - صيرورة الهمزة إلى الألف والواو والياء فى حالة التخفيف ، على لغة أهل الحجاز ، والمفروض أن انقلابها فى بعض أحوالها لعارض ، كتخفيف أو إبدال ، لا يخرجها عن كونها حرفاً ، ألا ترى أن انقلاب غيرها فى بعض أحوالها لعارض لا يخرجها عن كونه حرفاً^(٥) !!

هذا وقد نبه ابن جنى إلى فساد ما ذهب إليه المبرد من إسقاط الهمزة من أول الحروف الأبجدية ، فذكر أن الهمزة موجودة فى أول الحروف الهجائية وإن كانت مصورة بصورة الألف ، ومن أدلة ذلك قوله :

(١) أن الهمزة لو أريد تحقيقها البتة ، لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال ، يدل

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ج ٤ ص ٢٨٦ .

(٢) من مباحث الهمزة فى العربية د. عبدالحليم التجار ص ٥ .

(٣) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٤٦ .

(٤) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٤٨ .

(٥) المرجع السابق نفسه .

على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها ، ولا تكون فيه إلا محققة ، لم يجز أن تكتب إلا ألفاً ، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة ، وذلك إذا وقعت أولاً ، نحو : أخذ وأخذ وإبراهيم ، فلما وقعت موقعاً لا بد فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفاً البتة ، وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف : (يستهزأون) بالألف قبل الواو ، ووجد فيها - أيضاً - (وإن) من شيئاً إلا يسبح بحمده) بالألف بعد الياء ، وإنما ذلك لتوكيد التحقيق^(١).

(٢) أن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه ، ألا ترى أنك إذا قلت : (جيم) فأول حروف الحرف جيم ، وإذا قلت : (دال) فأول حروف الحرف دال ، وإذا قلت : (خاء) فأول ما لفظت به خاء ، وكذلك إذا قلت : (ألف) فأول الحروف التي نطقت بها همزة ، فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً^(٢).

على أن هذه القاعدة التي ذكرها ابن جنى لا تنطبق على صوت الهمزة لأن الموجود في أول تسميتها حرف الهاء ، لا حرف الهمزة ، كما يلاحظ - أيضاً - من وجود حرف الهمزة في أول تسمية الألف ، أن الألف كانت تعنى - عند واضع الحروف الهجائية - صوت الهمزة لا الألف الساكنة التي هي الفتحة الطويلة ، وعلى هذا الأساس ، فالألف التي في أول حروف الهجاء ترادف الهمزة ، لكن الألف المشار إليها ألف متحركة وليست ساكنة ، وبذلك يظهر عدم صواب رأى الفراء في قوله بترادف الهمزة والألف الساكنة (الفتحة الطويلة) وعدم دقة القاعدة التي ذكرها ابن جنى .

إذن لا نشك في أن رأى الطائفة الأولى هو الأرجح ، وأن الهمزة غير الألف الساكنة وإن كانت هناك علاقة بينهما ، وخلاصة ذلك ما يأتي :

أ - أن الهمزة صوت ساكن أى ليس بحركة؛ لذا فهي تقع في أول الكلام ووسطه وطرفه ، وتقبل الحركة .

(١) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٤٧ .

أما الألف فهي لا تقبل الحركة ولا تقع في الابتداء ؛ لأنها حركة ولا يبدأ الكلام بحركة .

ب - أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق ، أما الألف فتخرج من الصدر أو من الجوف .

ج - أن الهمزة غير الألف ، وإنما سموا الهمزة - في بعض المواضع - ألفاً لأنها على صورتها فقط^(١) .

د - يوجد بين الهمزة والألف العموم والخصوص الوجهي ، فالحرف الأول من حروف (أبجد وأحمد) يسمى ألفاً ويسمى همزة أو (ألفاً مهموزة) والحرف الأوسط من (قال) يسمى ألفاً فقط ، والحرف الأوسط من (سئل) والأخير من (جاء) يسمى همزة فقط^(٢) .

الهمزة في اصطلاح المحدثين :

اتفق أغلب علماء اللغة والأصوات في العصر الحديث ، على أن الهمزة صوت صامت حنجري انفجاري ، وهو يحدث بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين ، وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً ، فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران ، فينفذ الهواء من بينهما فجأة ، محدثاً صوتاً انفجارياً^(٣) ، وعلى هذا الأساس قالوا : إن الهمزة تخرج من الحنجرة أو من فتحة المزمار ، أو من لسان المزمار ، وهذه التعبيرات عن مخرج الهمزة كلها تؤدي معنى واحداً ، ولا اختلاف بينها إلا في المصطلح ، ولا مشاحة في المصطلحات ، وإن كان الأجدر ما ينادى به البعض من ضرورة توحيد المصطلح اللغوي .

(١) الهمزة أثرها وأحوالها في لغة العرب للدكتور عبد العظيم الشناوي ص ٣.

(٢) الفرقان الأول والثاني روعي فيهما المصطلح الصوتي للهمزة والألف. أما الثالث والرابع فقد روعي فيهما المصطلح الكتابي.

(٣) علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي ص ١٧٠.

وبعض المحدثين ما زال يتابع الأقدمين فى أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق وأنها صوت مجهور^(١).

وانقسمت الطائفة الأولى فى وصف هذا الصوت إلى فريقين :

فريق يتابع « دانيال جونز » ، فيقرر : « أن الهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلافاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين »^(٢). والفريق الآخر يتابع « هفتر » فيرى : « أن الهمزة صوت حنجري انفجاري مهموس »^(٣). لأن الهمس - عندهم - يعنى عدم التذبذب^(٤).

والواقع أن كلا من الفريقين قد أصاب ، حين نفى عن الهمزة صفة الجهر ، وكل ما هنالك أن كل فريق أصدر حكمه بناء على نظرة إلى الحنجرة تختلف عن نظرة الآخر ، فجونز قد وجد أن للحنجرة ثلاث وظائف :

(١) الاحتباس (وذلك فى الهمزة وحدها).

(٢) الانفتاح بدون ذبذبة (وذلك فى المهموسات).

(٣) الانفتاح مع الذبذبة (وذلك فى المجهورات).

أما « هفتر » فقد اقتصر على أن للحنجرة وظيفتين : هما ذبذبة الأوتار الصوتية وهى صفة الجهر ، وعدم ذبذبتها وهى صفة الهمس ، ويدخل فى حالة عدم الذبذبة احتباس الحنجرة وذلك فى الهمزة^(٥).

(١) انظر : دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ٣٢٢ ، ٣٢٥. وتاريخ الأدب للأستاذ حفى ناصف ص ٦١ وفقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ودائرة المعارف الإسلامية ص ٧ من المجلد الأول - العدد الأول .

(٢) الأصوات اللغوية ص ٩١ وقد سار على هذا رأى أيضاً د. كمال بشر فى كتابه علم اللغة - القسم الثانى « الأصوات » ص ١٤٣ ، والدكتور محمود السعران فى كتابه علم اللغة ص ١٧٠ ، د. أحمد مختار فى دراسة الصوت اللغوى ص ١٠٧ .

(٣) العربية ولهجاتها د. عبدالرحمن أيوب ص ١٢ ط ١٩٦٨ م.

(٤) أصوات اللغة د. عبدالرحمن أيوب ص ١٨٣ ، وقد سار على هذا رأى د. تمام حسان فى كتابه مناهج البحث فى اللغة ص ٩٧ ، ود. عبدالصبور شاهين فى كتابه : فى التطور اللغوى ص ٦٦ ، ود. هنرى فليش فى كتابه العربية الفصحى ص ٣٨ .

(٥) الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص ١٤٣ ، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ٢٤ ، وأثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ص ١٦٧ .

ويبدو أن نظرية "دانيال جونز" إلى الحنجرة أكثر دقة وضبطاً لحالات انطلاق الهواء من الرئتين، لأنه « إذا انطلق إما أن يؤثر في الأوتار الصوتية، فيحدث الجهر، أو لا يؤثر فيحدث الهمس، واحتباس الهواء في الحنجرة شيء جديد، وحال أخرى مغايرة لسابقتها، فالأولى ملاحظتها في صوت الهمزة، وبخاصة أننا في مجال البحث العلمى الدقيق^(١).

حول آراء القدماء والمحدثين :

ظهر لنا من العرض السابق لآراء القدماء والمحدثين أنهم يتفقون في وصف الهمزة بأنها صوت شديد، لكنهم يفترون في أمرين هامين :

أولهما : فى مكان خروج الهمزة ، هل هو الحلق كما قال الأقدمون ، أو الحنجرة كما ذهب المحدثون؟؟ .

ثانيهما : هل الهمزة مجهورة كما قال الأقدمون ، أو غير مجهورة كما ذهب المحدثون؟؟ .

الواقع أن المحدثين قد بنوا رأيهم فى تحديد مخرج الهمزة وصفاتها على تجارب علمية قاموا بإجرائها فى معامل الأصوات الحديثة ، ومثل هذه المعامل لم تنح للأقدمين ، ولم تكن معروفة لديهم ، ومع ذلك لم يبعدوا عن الصواب كثيراً ، فقولهم عن الهمزة إنها تخرج من أقصى الحلق يمكن قبوله بافتراض واحد - كما قال الدكتور كمال بشر - وهو أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها ، وتكون الحنجرة - حينئذ - هى المقصودة بأقصى الحلق^(٢) . ويقوى هذا الاحتمال أنهم قسموا الحلق إلى ثلاث مناطق :

- أقصى الحلق وتخرج منه الهمزة والألف والهاء .

- وأوسط الحلق وتخرج منه العين والحاء .

(١) ابن جنى اللغوى ص ٤٥٨ د. عبد الغفار هلال - [ص ٥٩٩ عبقرى اللغويين] ، و (راجع علم اللغة العام - القسم الثانى « الأصوات » ص ١٤٣ طبعة ١٩٧٠).

(٢) علم اللغة العام - القسم الثانى « الأصوات » ص ١٤٦ .

- وأدنى الحلق إلى الفم وتخرج منه الغين والخاء .

بل أغلب الظن ، أن الحلق فى عرف الأقدمين ، كان يشمل الحنجرة ويشمل نهاية الحنك أيضاً ، والعلم الحديث قد أثبت فعلاً أن الهمزة والهاء تخرجان من الحنجرة ، وأن الغين والخاء تخرجان من مؤخر اللسان حين يرتفع ويتصل بالطبق الأعلى ، وعلى ذلك يكون فهم الأقدمين للاصطلاح (حلق) أوسع من فهمنا له حتى إنه ليشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق^(١) ، ويشمل الحنجرة أيضاً .

أما الأمر الثانى وهو وصف الأقدمين للهمزة بالجهر ، فيبدو أنهم حين نطقوها ليتعرفوا مكان خروجها ، نطقوها مصاحبة لإحدى الحركات - كما هو مذهب الخليل فى طريقة ذوق الحروف - والحركات كلها مجهورة ، فلما أحسوا بالجهر الناجم من الحركة المصاحبة ، ظنوا أنه من الهمزة لا من الحركة المصاحبة^(٢) . أو يمكن القول بأنهم حين وصفوا الهمزة بالجهر ، كانوا يقصدون الهمزة المسهلة (بين بين) وهى التى لا يكون إقفال الأوتار الصوتية حين النطق بها ، إقفالاً تاماً ، بل يكون إقفالاً تقريبياً ، وفى حال التسهيل هذه يحدث الجهر^(٣) .

بقى أمر ثالث : وهو كيف تأتى للأقدمين أن يضعوا الألف مع الهمزة والهاء ، وينسبونها إلى مخرج واحد هو أقصى الحلق ، مع أن الألف انطلاقى لا يتحكم فيه عضو بعينه هو أقصى الحلق أو الحنجرة كما يحدث مع الهمزة والهاء؟؟ إن دل هذا على شىء ، فإنما يدل على العلاقة القوية بين الهمزة والألف القائمة فى أذهان الأقدمين ، وإذا كنا قد اعتذرنا للرواية المضطربة عن الخليل فى جعل الهمزة من أقصى الحلق تارة ، ومن الجوف مع حروف المد واللين تارة أخرى ، بأنه ربما كان يطلق الجوف على ما دون الحلق المعروف الآن فى علم التشريح ، بحيث يشمل الحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين ، فيمكن الاعتذار عن فعل سيبويه فى جعل الألف مع الهمزة من أقصى الحلق ، بأنه أراد بأقصى الحلق هذا المخرج الكبير أى

(١) انظر: مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) انظر : القسم الثانى من علم اللغة العام - الأصوات ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) انظر : مناهج البحث فى اللغة ص ٩٧ .

ما دون الحلق فى عرف علم التشريح الحديث ، إلا أنه اقتصر على أحد اسميه اللذين سمعهما من أستاذه الخليل ، فسماه أقصى الحلق ، ولم يذكر الجوف الذى هو الاسم الآخر له عند الخليل .

ذلك تصور خاص يقرب بين وجهتى الخليل وسيبويه ، ولا يباعد بينهما ، على أنه يمكن الاعتذار - أيضاً - عن فعل سيبويه بواحد مما يأتى :

(١) يبدو أن سيبويه حين ذكر الهمزة قصد بها الهمزة المحققة ، وحين ذكر الألف كان يقصد بها الألف القريبة من الهمزة ، وهى التى كانت تسمى همزة بين بين .

(٢) ويمكن التعليل لذكر الأقدمين صوت الألف بين أصوات الحلق بأنهم ربما أرادوا : « تفسير المقصود من كلمة الهمزة التى - فيما يبدو - كانت مصطلحاً صوتياً غير مألوف ، فى تلك الأيام ، أو حديث العهد بين الدارسين ، فاقضى توضيح صوت الهمزة ذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة وهو كلمة (الألف) »^(١).
(٣) من الممكن - كذلك - أن يكون القدماء قد خدعوا برسم الهمزة المحققة ، حين وجدوها تكتب ألفاً فى كل حال ، فظنوا أن الهمزة والألف يمثلان حرفاً واحداً ، ومن حقهما أن يكونا من مخرج واحد أيضاً .

(٤) ويحتمل أن سيبويه حين لاحظ وجود ما سماه بصوت الصدر (الجهر) مع الألف نسبها إلى هذا الموضع ، ولكن كان على سيبويه أن يفرق بين ما هو حركة أصلية ، وحركة ثانوية ، أى أن حركة الأوتار هنا التى تؤدى إلى ما سماه سيبويه بصوت الصدر ، ليست حركة أصلية ، وبالتالي لا يعدّ الوتران مخرجاً ، وإلا لصح نسبة كل الأصوات المجهورة إلى هذا الموضع^(٢).

وبعد : نعود فنقول : إن الأقدمين لم يبعدوا عن الصواب كثيراً ، ما دامت كل هذه الاحتمالات قائمة ، ولهم فضل سبق فيما قدموه من نتائج صوتية مهما كان نصيبها من الصحة ، لأنه إذا كانت التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة قد أظهرتها

(١) الأصوات اللغوية دكتور إبراهيم أنيس ص ١١٦ .

(٢) دراسة الصوت اللغوى . دكتور أحمد مختار عمر ص ٢٩٨ ط: أولى ١٩٧٦ م .

بصور متنوعة ، وصوتاً غير مستقر ، ولا يأخذ شكلاً معيناً محدداً ، وصوتاً شبيهاً بالعلة فى بعض السياقات - فهى فى الأول : تظهر كأنفجار متبوع بفجوة سكوتية ، وأحياناً يتبع الانفجار بضجيج منخفض ، وفى حالات أخرى تظهر الهمزة كصوت انزلاقى قصير تبدأ به حزم العلة الثانية ، وفى الوسط - فيما عدا بين علتين - تظهر كفراغ سكوتى ، وبين علتين لا تظهر كفراغ ، ولكن كصوت انزلاقى شبيه بالعلة - فكيف نتظر من القدماء بوسائل ملاحظتهم البسيطة أن يصلوا إلى أوجه الصواب فيها؟^(١).

ونبه - هنا - قبل أن نغادر الحديث عن مخرج الهمزة وصفاتها إلى أن علماء التجويد والقراءات ، قالوا - فى ذلك - بما قال به سيبويه ، فهى عندهم تخرج من أقصى الحلق ، وصوت شديد مجهور^(٢).

* * *

مكان الهمزة من الكلمة :

من المعلوم أن الهمزة لا تختص بمكان فى الكلمة العربية ، فتارة تكون فى صدر الكلمات نحو : أحمد وإبراهيم ، وتارة تكون فى وسطها نحو : سأل وجؤنة ومثرة ، وآونة تكون فى طرفها نحو : باء ، وجاء ، والسماء ، والبناء .

وقد رأى بعض القدماء أن وقوع الهمزة فى وسط الكلمة أو فى طرفها من خصائص اللغة العربية ، ومن العبارات الدالة على ذلك ، قول أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) : « فأول الحروف الهمزة ، والعرب تنفرد بها فى عرض الكلام ، مثل قرأ ، ولا تكون فى شئ من اللغات إلا ابتداء»^(٣) ، وقد جرى على ذلك بعض المُحدثين ، كالأب « أنستاس الكرملى » حيث يقول : « ونبه القارئ على أن الهمزة فى أول الكلمة موجودة فى جميع اللغات ، فلا عبرة له هنا ، أما مهموز العين

(١) دراسة الصوت اللغوى ص ٢٩٧ بالأصل والهامش .

(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ١٩٩ ، ص ٢٠٣ - ط : دمشق سنة ١٣٤٥هـ .

(٣) كتاب الصحاح لابن فارس ص ٧١ نشر وتصحيح المكتبة السلفية مطبعة المؤيد .

واللام فخاصان بالعربية»^(١)، وجرى على ذلك - أيضاً - الشيخ طاهر بن العلامة صالح الجزائري ، فجعل وقوع الهمزة في وسط الكلمة أو في آخرها من الأمارات الدالة على كونها عربية ، ونص عبارته التي يقول فيها ذلك « وقد يعرف كون الكلمة من ذلك عربية ، من غير رجوع إلى كتب اللغة ، وذلك في مثل رأى ورؤية ، مما فيه همزة على هذه الصورة ، فإن الفارسية وأكثر اللغات المشهورة ، لا يوجد فيها مثل ذلك »^(٢).

ويبدو أن ابن فارس لم يكن يقصد اللغات السامية حين نفى وجود الهمزة في وسط الكلمة في غير اللغة العربية ، بل الأقرب إلى الاحتمال أنه كان يتحدث عن خصائص اللغة العربية في مقابلة اللغات الأعجمية التي كانت معروفة للأقدمين من علماء اللغة ، لأن هؤلاء لم تكن لهم درايات باللغات السامية^(٣).

* * *

موقف بعض اللغات من الهمزة :

أما في اللغات السامية ، فقد تميزت الهمزة لدى واضعي الأبجدية من الساميين القدماء بوصفها حرفاً أو صوتاً ساكناً ، ووضعوا لها رمزاً كتابياً مستقلاً ، وأطلقوا عليها اسماً خاصاً هو (الألف) الذي يقال إن معناه (الثور) ، لأن شكل الألف في الكتابات السامية القديمة ، كان يشبه رأس الثور ، وقد حافظوا على كتابتها حتى بعد أن سهلت في بعض اللغات السامية ، وأصبحت في النطق حرف مد ، فالهمزة في أول الكلمة العبرية وفي وسطها متميزة نطقاً وكتابة مثل الكلمات : $DK = \text{أم}$ ، $AB = \text{أب}$ ، $OL = \text{ذئب}$ ، $SL = \text{سأل}$. أما في آخر الكلمة العبرية ، فقد غلب تسهيلها إلى حرف مد في النطق فقط ، مع الإبقاء على الرمز الكتابي الخاص بالهمزة حتى يتميز في الكتابة مهموز الآخر من الفعل الناقص مثل : $QKOA = \text{قرأ}$ ، $HTCHLH = \text{بدأ}$.

(١) نشوء العربية ونموها واکتھالها ص ١٣ .

(٢) كتاب التقريب لأصول التعريب ص ١١ .

(٣) انظر: من مباحث الهمزة في العربية ص ٩ بالأصل والهامش .

وأما فى السورية فقد غلب تسهيلها إلى حرف مد فى وسط الكلمة وفى آخرها مثل : **أكل** = ذئب ، **مك** = قرأ . وهكذا يختلط فى هذه اللغة الفعل المهموز الآخر بالفعل الناقص ، أى أن موقف السورية هنا يشبه - إلى حد كبير - موقف الحجازيين من الهمزة ، وأما الحبشية فهى تحرص دائماً على الهمزة (التي كانت تعرف بالألف) نطقاً وكتابة^(١).

وقد نسمع الهمزة المحققة فى بعض اللغات الأوربية ولهجاتها ، كما فى لهجات اللغات الانجليزية فى «اسكتلندا» ، وفى نطق العامة من أهالى لندن قد نسمع الهمزة وقد حلت محل التاء فى كلمات مثل : little - Bottle - Hot ، ويتصور الناطق أنه ينطق بالتاء فى مثل هذه الكلمات ، ولكن الدارسين للأصوات من الإنجليز يدركون أنها همزة ، ويصفونها فى كتبهم ويطلقون عليها ذلك المصطلح glottal stop ، غير أن الهمزة الإنجليزية تعد مظهراً من مظاهر اللهجات ، ولا يعترف بها كفونيم من فونيمات الإنجليزية المشتركة ، إذ لا يغير وجودها أو النطق بها من وظيفة الكلمة أو دلالتها ، ولكن الهمزة فى اللغة الدنيمركية قد تقوم بدور دلالى ، أى أنها تشبه الساميات فى هذا^(٢) ، فالهمزة صوت هام فى اللغة الفصحى فى كل من الألمانية والعربية والدنيمركية وغيرها^(٣).

وكذلك توجد الهمزة فى الفرنسية وفى غيرها ، ولكنها دائماً فى صدر الكلمة ولا تنطق إلا فى ابتداء الكلام ، أما فى الإدراج والوصل ، فهى دائماً إما مخففة أو مسهلة^(٤) ، بل كثيراً ما نجد الهمزة الواقعة ابتداء فى بعض هذه اللغات كما فى الفرنسية مثل : homme تعامل معاملة همزة الوصل فى العربية ، فتسقط مثلاً إذا دخلت عليها أداة التعريف مثل : l'homme^(٥).

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٩٥ الطبعة الرابعة .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٣) دراسة الصوت اللغوى ص ١٠٧ ط أولى .

(٤) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها للأستاذ محمد الأنطاكى ج ١ ص ٨٤ .

(٥) من مباحث الهمزة فى العربية ص ٩ .

والآن يمكن أن نفيد مما سبق عدة أمور :

(١) شيوع الهمزة فى اللغات السامية ، أكثر كثيراً منها فى الفصيحة الهندية الأوربية^(١).

(٢) الهمزة حظيت فى اللغات السامية برمز كتابى خاص ، ولم يعترف بها كفونيم مستقل فى معظم اللغات الأوربية ، فلم يكن لها رمز كتابى مستقل .

(٣) إن ظاهرة تسهيل الهمزة وجدت فى اللغة العربية وفى اللغات السامية أيضاً .

(٤) إن موقف اللغات السامية من ظاهرة الهمز والتسهيل ، يشبه إلى حد كبير موقفى بنى تميم والحجازيين منها ، فالحبشية تحقق الهمزة - غالباً - كما يفعل بنو تميم ، أما العبرية والسوريانية فتسهل الهمزة وسطاً وآخرأ كما يفعل الحجازيون ، والسوريانية بالحجازية أشبه .

* * *

الهمزة فى اللغة العربية : (أنواعها) :

يوجد فى اللغة العربية نوعان من الهمزة :

النوع الأول : همزة الوصل : وهى كل همزة ثبتت فى الابتداء وسقطت فى الدرج ، وقد اختلف فى همزة الوصل ، هل وضعت همزة من أول الأمر أم أن أصلها الألف؟ قولان : وإن كان الأول هو الصحيح ، ولها عدة خصائص : منها أنها لا تكون إلا سابقة ، ولا تختص بقبيل ، فتدخل على الاسم والفعل والحرف ، ولا تثبت فى الدرج إلا لضرورة كما فى قول الشاعر :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة على حدثان الدهر منى ومن جُمْل^(٢)

(١) الأصوات اللغوية ص ٩٠.

(٢) البيت من بحر الطويل ، الشيمة = الخلق والطبيعة.

حدثان الدهر « النوائب والنوازل. جُمْل (بضم الجيم) « اسم امرأة. وهو شاهد على ثبات همزة الوصل فى درج الكلام ووصله على سبيل الضرورة الشعرية ؛ لأن الهمزة تقابل العين من (مفاعيلن) ، فلو حذفت لأدى ذلك إلى التقاء ساكنين ووجوب حذف أحدهما ، وحينئذ تختل التفعيلة ، ويختل الوزن الشعرى ، ولذلك قطعت الهمزة من (اثنين) فى الكلام المتصل.

واختلف فى سبب تسميتها بهمزة الوصل ، فقليل اتساعاً ، وقيل لأنها تسقط فيتصل ما قبلها بما بعدها ، وهذا قول الكوفيين ، وقيل لوصول المتكلم بها إلى النطق بالسكان ، وهذا قول البصريين ، وكان الخليل يسميها سلّم اللسان^(١) . وقال الصبان : كان المناسب أن تسمى همزة الابتداء^(٢) .

وقد أجمل ابن مالك المواضع القياسية لهمزة الوصل فى هذين البيتين :
هو لفعل ماض احتوى على أكثر من أربعة نحو انجلى
والأمر والمصدر منه وكذا أمر الثلاثى كاخش وامض وانفذا
وأجمل المواضع السماعية فى قوله :
وفى اسم است ابن ابنم سمع واثنين وامرئ وتأنيث تبع .
وأبـمن
فهذه عشرة أسماء^(٣) .

وقد اختلف فى همزتى (أيمن) و(أل) ، أما أيمن المخصوص بالقسم فألفه للوصل عند البصريين ، وللقطع عند الكوفيين ، لأنه عندهم جمع يمين ، وعند سيبويه اسم مفرد من اليمن وهو البركة^(٤) ، وأما همزة أل فمذهب ابن مالك أنها للوصل سواء كانت للتعريف أو موصولة أو زائدة . ومذهب الخليل أن همزة أل للقطة وصل لكثرة الاستعمال ، واختاره الناظم فى غير هذا الكتاب ، ومثل أل (أم) فى لغة أهل اليمن^(٥) .

ويبدو أن مذهب الخليل والكوفيين فى هاتين الهمزتين هو الراجح لما يأتى :
أ - إن نطقهما فى ابتداء الكلام هو نطق الهمزة المحققة ، ولهما صفات ما سموه بهمزة القطع ، أما سقوطهما فى درج الكلام ، فهو ظاهرة صوتية اقتضاها وصل الكلام بعضه ببعض .

(١) شرح الأشموني ج ٤ ص ٢٧٣ ط: عيسى البابى الحلبي (بتلخيص).

(٢) حاشية الصبان - الموضوع السابق.

(٣) شرح الأشموني ج ٤ ص ٢٧٤.

(٤) انظر: شرح الأشموني ج ٤ ص ٢٧٦.

(٥) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٧٧.

ب - لزوم الهمزة فى أل وأيمن حركة واحدة هى الفتح دليل على مخالفتها لهمزة الوصل التى تتشكل حركتها طبقاً للسياق الصوتى الذى تقع فيه^(١) .

ولهمزة الوصل - بالنسبة إلى حركتها - سبع حالات :

- (١) وجوب الفتح ، وذلك فى المبدوء بها أل .
- (٢) وجوب الضم ، وذلك فى نحو : انطلق واستخرج المبنيين للمفعول ، وفى أمر الثلاثى المضموم العين فى الأصل نحو : أقتل وأكتب بخلاف امشوا وامضوا .
- (٣) رجحان الضم على الكسر وذلك فيما جعلت ضمة عينه كسرة عارضة نحو : اغزى .

(٤) رجحان الفتح على الكسر وذلك فى أيمن وأيم .

(٥) رجحان الكسر على الضم وذلك فى كلمة اسم .

(٦) جواز الكسر والضم والإشمام ، وذلك نحو : اختار واتقاد مبنيين للمفعول .

(٧) وجوب الكسر وذلك فيما بقى وهو الأصل^(٢) .

وقد ذهب البصريون إلى أن أصل همزة الوصل الكسر ، وإنما فتحت فى بعض المواضع تخفيفاً ، وضمت فى بعضها إتباعاً ، وذهب الكوفيون إلى أن كسرها فى اضرب ، وضمها فى اسكن إتباعاً للثالث ، وعلى مذهبه لم تفتح فى اعلم لأنها لو فتحت لالتبس الأمر بالخبر^(٣) .

النوع الثانى : همزة القطع : وهى الهمزة الثابتة أصالة فى الابتداء والوصل والانتهاى ، وهذا لا يمنع ما يرد عليها عرضاً من تخفيف أو حذف - كما سيأتى - ، وهمزة القطع قابلة للحركات الثلاث كما هى قابلة للسكون^(٤) . ومواقع همزة القطع هى كل ما عدا مواقع همزة الوصل القياسية والسماعية .

(١) انظر : دراسات فى علم اللغة من ص ١٦٨ إلى ص ١٧٣ دكتور كمال بشر .

(٢) باختصار من شرح الأشموني ج ٤ ص ٢٧٨ .

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٧٩ .

(٤) انظر : من مباحث الهمزة فى العربية ص ٨ .

ويُفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع فى الأسماء بالتصغير ، فإن ثبتت فى التصغير فهى همزة قطع ، وإن سقطت فهى همزة وصل نحو همزة (أب وابن) فالهمزة فى (أب) همزة قطع لأنها ثبتت فى التصغير ؛ لأنك تقول فى تصغيره (أبى) ، والهمزة فى (ابن) همزة وصل لأنها تسقط فى التصغير ، لأنك تقول فى تصغيره : (بنى) . ويفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع فى الأفعال بأن تكون ياء المضارعة منها مفتوحة أو مضمومة ، فإن كانت مفتوحة فهى همزة وصل مثل (استكبر)؛ لأنك تقول فى المضارع يستكبر ، وإن كانت مضمومة فهى همزة قطع نحو : أجمل وأحسن وما أشبه ذلك ، لأنك تقول فى المضارع : يُجمل ويحسن وما أشبه ذلك^(١).

* * *

هذه آراء القدماء حول همزة الوصل والقطع ، أما المُحدثون فمنهم من نفى وجود همزة الوصل فى العربية ، ويرى أن ما سماه القدماء بهمزة الوصل ، ليس فى الحقيقة همزة ، وإنما هو نوع من التحريك الذى يسهل عملية النطق بالساكن ، وقدم على هذه الدعوى أدلة كثيرة نذكرها بإيجاز شديد :-

(١) أن طبيعة التكوين الصوتى للهمزة وما فى نطقها من صعوبة كبيرة يناقض استخدامها كوسيلة للتيسير والتسهيل فى التوصل إلى النطق بالساكن .

(٢) أن الهمزة وحدها صوت ساكن خال من الحركة ، فكيف نبدأ بالساكن على حين نريد التخلص منه؟ .

(٣) أن تعدد حالات حركة همزة الوصل من وجوب الفتح أو الضم أو الكسر أو رجحانه أو إشمائه ، لوحظ فيها أنها تناسب نوع الحركة التالية لها .

(١) انظر: كتاب أسرار العربية ص ١٥٩ طبعة ليدن ١٨٨٦م لكمال الدين أبى البركات الأنبارى. وفى لسان العرب فى أول باب الهمزة : أصول الألفات ثلاثة : ألف أصلية وهى فى الثلاثى من الأسماء مثل ألف وإلف ، وألفٌ قطعية وهى فى الرباعى من الأسماء مثل أحمد وأحمر ، وألف وصلية وهى فيما جاوز الرباعى مثل استنباط واستخراج ، وهى كذلك فى الأفعال فالأصلية مثل أكل ، والقطعية مثل: أحسن ، والوصلية مثل: استخرج .

(٤) أن همزة الوصل لو كانت صوتًا صامتًا ، لكان لها صفات الصوامت وخواصها ، ولم تنفرد بوظيفة الوصل أو التوصل إلى النطق بالساكن .

(٥) أن اللغويين فرقوا بين ما سموه همزة وصل ، وبين همزة القطع فى حالات كثيرة فقد نص البصريون على جواز نقل حركة همزة القطع إلى الساكن قبلها ، وامتناع ذلك مع همزة الوصل ، كذلك فرقوا بينهما وبين حركاتهما فى الرسم .

(٦) إمكانية الابتداء بالساكن فى بعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية يدل على احتمال خلو اللغة العربية من هذه الهمزة ، ولو فى فترة سابقة حيث كان من الجائز النطق بالساكن آنذاك^(١) .

وليس لنا كبير تعليق على ما سبق ، إلا أن نقول : إن همزة الوصل موجودة فلا يصح نفيها من اللغة العربية ، وإن صح تفسيرها بأنها نوع من التحريك ، وتبقى بعد ذلك التفسير كما هى همزة وصل ، لأن ذلك مصطلح تعارف الناس عليه من قديم الزمان ، كما أن إمكانية الابتداء بالساكن فى اللغات السامية ، لا يدل على وجوده فى اللغة العربية التى عرفت للدارسين من الجاهلية إلى صدر الإسلام إلى الآن ، وإنما قد يدل على وجوده فى اللغة السامية الأم فقط ، قبل أن تنشعب منها اللغة العربية .

كذلك يبدو أن الدكتور بشر أخذ هذا رأى من قول الأقدمين بأن أصل هذه الهمزة هو الألف الساكنة أى المقطوعة عن الحركة ، لكنهم لما لم يمكنهم الابتداء بها وهى ساكنة ، بالإضافة إلى أنهم جاءوا بها لمعنى وهو التوصل إلى النطق بالساكن بعدها - اضطروا إلى تحريكها ، ولما قبلت الحركة صارت من الصوامت ، وعلى كل حال فالهمزات والحركات - ومنها الألف بالذات - بينها علاقة قوية ، ويتطور بعضها إلى بعض ، كما يرشد الواقع اللهجى للغتنا العربية^(٢) .

(١) انظر : دراسات فى علم اللغة من ص ١٣٧ إلى ص ١٦٠ .

(٢) انظر سر صناعة الإعراب ١٠٢/١ - ١٢٧/١ .

والخلاصة - كما قال الدكتور بشر نفسه - أن هذا الصوت ليس حركة أو ليس جزءاً من نظام الحركات فى اللغة العربية ، وأنه لا يقع فى أى حيز من أحياز الحركات الثلاث قصيرها وطويلها ، فهو يختلف عنها جميعاً فى الصفات^(١).

* * *

حول مصطلحات الهمز والتسهيل :

عندما نقرأ فى أبواب الهمز ، سواء فى كتب اللغة والنحو أو فى كتب القراءات ، تصادفنا مصطلحات كثيرة تتعلق بظاهرة الهمز والتسهيل ، ومن تلك المصطلحات (التحقيق والتخفيف والتسهيل ، والتلين ، والإبدال والإسقاط والحذف وغيرها).

(١) التحقيق :

التحقيق مصدر من (حقق تحقيقاً) إذا أتى بالشئ على حقه ، وجانب الباطل فيه ، والعرب تقول : بلغت حقيقة هذا الأمر ، أى : بلغت يقين شأنه ، والاسم منه (الحق) ، ومعناه : أن يؤتى بالشئ على حقه من غير زيادة فيه ، ولا نقصان منه^(٢). وهو بهذا المعنى لا يختص بحرف دون آخر ، بل يكون فى جميع الحروف ، وحينئذ يمثل مرتبة من مراتب القراءة الثلاث التى هى التحقيق والتوسط والحد ، فتحقيق القراءة - كما ذكر ابن الجزرى - عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات^(٣) ، وقراءة التحقيق هذه تقابلها قراءة الحد وهى عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبذل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك مما صحت به الرواية ووردت به القراءة^(٤).

وللتحقيق معنى أخص من السابق ، وهو عبارة عن ضد التسهيل ، وهو الإتيان بالهمز أو بالهمزتين خارجات من مخارجهن متدافعات منهن كاملات فى صفاتهن^(٥). أو هو - كما قال صاحب لسان العرب - أن تعطى الهمزة حقها من

(١) انظر : دراسات فى علم اللغة ص ١٦٤.

(٢) التمهيد فى علم التجويد لابن الجزرى ص ٦.

(٣) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢٠٥.

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٧.

(٥) التمهيد فى علم التجويد ص ١١.

الإشباع ، فإذا أردت أن تعرف إشباع الهمزة فاجعل العين فى موضعها كقولك من الخبء : قد خبأت لك بوزن خبعت ، وقرأت بوزن قرعت^(١) . . .

إذن فالتحقيق عند القراء مصطلح عام قد يستعمل فى تمييز مرتبة من مراتب القراءة ، وقد يستعمل فى بيان صفة من صفات الهمزة ، أما عند اللغويين - كابن منظور - ، وعند النحويين^(٢) ، فلم يكن يستعمل إلا فى بيان الصفة الأصلية للهمزة .

(٢) التسهيل والتخفيف والبدل والحذف :

قال ابن الجزرى : «وأما التسهيل فهو عبارة عن تغيير يدخل الهمزة ، وهو أربعة أقسام : بين بين ، وبدل ، وحذف ، وتخفيف . فأما بين بين : فهو حرف بين همزة وبين حرف مد . وأما البدل : فهو إقامة الألف والياء والواو مقام الهمزة عوضاً عنها . وأما الحذف : فهو إعدامها (أى الهمزة) دون أن تبقى لها صورة . وأما التخفيف : فهو عبارة عن معنى التسهيل وعن حذف الصلوات من الهاءات ، وعن فك الحرف المشدد القائم عن مثلين ، ليكون النطق بحرف واحد من المضعفين خفيف الوزن ، عارياً من الضغط ، عاطلاً فى صناعة الخط من علامة الشد التى لها صورة فى النقط^(٣) .

فالتخفيف - إذن - أعم من التسهيل ويحتاج إلى نوع من التخصيص حتى يرادفه ، وبالرغم من ذلك ، ومن أن التسهيل هو ضد التحقيق (الذى هو الصفة الأصلية للهمزة) ، ومن أن التخفيف هو ضد (الثقل)^(٤) أو التشديد^(٥) ، فقد غلب على النحويين استعمال مصطلح (التخفيف) فى مقابلة (التحقيق) بدلاً من التسهيل ، بل إن سيبويه ، والمبرد ، والسيराى ، وابن يعش ، لم يستعملوا إلا التخفيف فى مقابلة

(١) لسان العرب ج ١ ص ١٢ - ونظير تلك الصفة فى المحسوسات : أنه يقال ثوب محقق إذا كان

محكم النسج ، ويقال صبغت الثوب صبغة تحقيقاً إذا كان مشبعاً (ح ق ق).

(٢) انظر : باب الهمزة فى كتاب سيبويه ، وفى المقتضب وفى شرح المفصل وفى شرح الشافية .

(٣) انظر : كتاب التمهيد فى علم التجويد ص ١٠ ، ١١ .

(٤) الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص ٣٢ .

(٥) التمهيد فى علم التجويد ص ١١ .

التحقيق ، أما الرضى - فى شرحه على الشافية - فقد استعمل مصطلحى التسهيل والتخفيف معاً فى مقابلة التحقيق . وموقف النحويين هذا ، على العكس من موقف القراء الذين كانوا كثيراً ما يستعملون التسهيل فى مقابلة التحقيق .

(٣) همزة بين بين :

ومن أقسام التسهيل : همزة بين بين ، والتسمية لسيبويه^(١) ، وقد تسمى عند القراء الهمزة المليئة ، أو الهمزة المطولة ، أو الهمزة الممدودة ، أو الهمزة المذابة ، إلى غير ذلك مما ورد على ألسنة علماء القراءات فى محاولتهم لضبط حالة بين بين^(٢) .

وقد قسم النحويون همزة بين بين إلى قسمين :

- أ - بين بين المشهور أو القريب : وهو جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها .
ب - وبين بين غير المشهور أو البعيد : وهو جعل الهمزة بينها وبين حرف حركة ما قبلها^(٣) .

هذا وقد عرف بعض المحدثين القسم الأول بقوله : هو أن تحذف الهمزة وينطق بحركتها فقط ، وعرف الثانى بقوله : هو أن تحذف الهمزة وينطق مكانها بحركة من جنس حرف ما قبلها^(٤) ، وسوف نناقش ذلك فى مكانه إن شاء الله تعالى .

(٤) الحذف :

أما الحذف فهو لغة الطرح والإزالة ، ويوجد منه قسمان :
الأول : حذف الهمزة مع حركتها ، وهذا القسم هو الذى يعبر عنه بالإسقاط غالباً .

الثانى : حذفها بعد نقل حركتها وهو الذى يسمى بالنقل^(٥) .

(١) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج ١ ص ٤٢ .

(٢) انظر : كتاب الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص ٢٩ ومقدمة فى أصول القراءات ٣٨ .

(٣) انظر هذين المصطلحين فى شرح الشافية ج ٣ ص ٤٦ .

(٤) انظر : المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج ١ ص ٨٥ .

(٥) انظر : الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص ٣١ .

وهذا التمييز بين المصطلحين (النقل والإسقاط) واضح عند القراء ، وهم غالباً ما يفردون للنقل فصلاً خاصاً عند حديثهم عن الهمز ، أما النحويون فيسمون كلا منهما حذفاً .

(٥) التليين :

لا نكاد نعثر على أثر لهذا المصطلح عند المتقدمين من النحويين ، أمثال سيويه في الكتاب ، والسيرافي في شرح الكتاب ، والمبرد في المقتضب ، ولا عند ابن الحاجب والرضي في الشافية وشرحها . أما ابن يعيش فقد ترددت مشتقات هذا المصطلح أربع مرات فقط في شرحه على المفصل عند حديثه عن تخفيف الهمزة ، وقد استعمله مرة واحدة في حديثه عن الهمزة المبدلة^(١) ، وفي الثلاث الأخرى استعمله في الحديث عن همزة بين بين^(٢) .

هذا موقف النحويين من هذا المصطلح ، أما القراء فقد استعملوا التليين في معنى التسهيل منذ وقت مبكر ، فقد استعمله ابن خالويه في كتابه (الحجة في القراءات السبع) في مواضع كثيرة ، لكن يبدو - لمن يتتبع كتاب الحجة - أنه كان يستعمله في معنى البذل غالباً^(٣) . فيقول مثلاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ۚ ﴾ (البقرة: ١٣) يقول في ﴿ السُّفَهَاءُ ۚ أَلَا ﴾ تقرأ بتحقيق الهمزتين وتحقيق الأولى وتخفيف الثانية تلييناً^(٤) ، وهو يشير بقراءة التخفيف أو التليين إلى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء حيث كانوا يبدلون الثانية واواً خالصة ويحققون الأولى^(٥) .

وكذلك استعمل هذا المصطلح ومشتقاته أبو عمرو الداني في كتبه : جامع البيان ، والمحكم في نقط المصاحف ، وكتاب النقط والشكل ، ولكنه كان يستعمله في

(١) انظر: ابن يعيش ج ٩ ص ١٠٧ سطر ٢٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق ج ٩ ص ١٠٩ سطر ٥ ، ص ١١٩ سطر ١ ، ص ١١٢ سطر ٢ .

(٣) انظر كتاب الحجة مثلاً ص ٦٩ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٨ ، ٢٧٨ ، ٣٧٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٩ .

(٥) انظر: كتاب غيث النفع في القراءات السبع ص ٨٣ ، ٨٤ على هامش سراج القارئ المبتدى .

تسهيل بين بين، وتسهيل البدل على السواء، فيقول مثلاً في جامع البيان (ورقة ٨٩)^(١) عن همزة الوصل : إذا دخلت عليها همزة الاستفهام في نحو : ﴿أَلَذَّكَرَيْنِ﴾ (الأنعام: ١٤٣)، ﴿أَلَلَّهُ أَذْرَبَ لَكُمْ﴾ (يونس: ٥٩) يقول فيها : إنها تثبت للدلالة على الفرق بين الاستفهام والخبر ، إلا أنها تلين بإجماع ، واختلف علماؤنا في كيفية تليينها ، فقال بعضهم : تبدل ألفا خالصة . . وقال آخرون : تجعل بين الهمزة والألف لثبوتها في حالة الوصل ، وتعذر حذفها فيه ، فهي كالهمزة اللازمة . أما في كتاب المحكم في نقط المصاحف ، فيكفي أن نذكر أنه عقد في (ص ٩٠) بابا بعنوان : (باب ذكر أحكام نقط الهمزة المفردة الملينة) ، والأمثلة التي أوردها في هذا الباب بعضها للهمزة المسهلة بين بين ، وبعضها الآخر للهمزات المبدلة . وفعل مثل ذلك في كتاب النقط والشكل (ص ١٣٤) حيث قال (باب ذكر أحكام تليين الهمزات) والحال أن بعضها يسهل بين بين ، وبعضها الآخر يبدل .

وتردد مصطلح (التليين) ومشتقاته في كتاب أبي البقاء العكبري ، (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات) ، ويبدو أنه كان يطلق الهمزة الملينة ، أو التليين على الهمزة المسهلة بين بين غالباً ، فهو - مثلاً - يقول في قوله تعالى ﴿أَنذَرْتَهُمْ﴾ (البقرة: ٦) : ومنهم من يحقق الأولى ويجعل الثانية بين بين ، أي بين الهمزة والألف ، وهذه في الحقيقة همزة ملينة وليست ألفاً^(٢) .

ومن هذا كله يمكن أن نخرج بنتيجة هامة ، وهي أن القراء كانوا أكثر ميلاً إلى الدقة في استعمال المصطلحات العلمية ، ذلك لأن مصطلح التسهيل ومشتقاته ، ومصطلح التليين ومشتقاته اللذين ترددا كثيراً في كتب القراءات أليق بحال عدم الهمز من مصطلح التخفيف ، لما فيهما من التخصيص وما فيه من التعميم من ناحية ، ولما فيهما من دلالة صريحة على حياة المسهلين وبيئاتهم ، فمنهما يستشف أن المتخلصين من الهمز مالوا إلى الرقة والليونة والسهولة في مختلف مظاهر حياتهم ، وأن الهمزة كانت تنحدر على ألسنتهم وتسيل كما لو كانوا

(١) وانظر المطبوع من جامع البيان ج ١ ص ٣٢٧ .

(٢) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ص ٨.

يسرون فى أرض سهلة ، لا وعورة فيها ولا صلابة ، فهما ناطقان بمظهر
الحصريين المسهلين وبمظهر بيئتهم . وهذا الأمر هو الذى دعا - من أول الأمر -
إلى أن يكون عنوان البحث : (الهمز والتسهيل) بدلاً من (تحقيق الهمز وتخفيفه)
لما فى الأول من الاختصار وصدق الدلالة .

* * *

أحوال الهمزة فى اللغة العربية ولهجاتها :

يبدو أن الهمزة العربية اتخذت أشكالاً متعددة فى أفواه الناطقين بها من العرب ،
تشير إلى ذلك تلك المصطلحات التى ظهرت فى كتب القدماء والمحدثين من
اللغويين والنحويين والقراء ، كالتى ذكرناها آنفاً . وإذا ما راعينا أحوال الناطقين
بهذه الأشكال وبيئاتهم ، أمكننا أن نقسم هذه الأشكال الكثيرة إلى شكلين : الهمزة
المحققة ، والهمزة المسهلة أو المخففة .

أما تحقيق الهمزة : فهو أن تخرج الهمزة نبرة (قوية) لا ينحى بها نحو حرف
من حروف اللين^(١) .

وأما تسهيل الهمزة : فهو أن تزال تلك النبرة بحذفها أو إبدالها حرف لين
أو بالميل بها نحوه^(٢) .

والهمزة المحققة تقع فى ابتداء الكلام وفى وسطه وفى طرفه ، أما المسهلة فلا
تقع ابتداء ، لأن ذلك الموقع خاص بالمحققة . وقد صرح ابن جنى بتحديد هذا
الموقع لها فى قوله : « إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها ولا تكون فيه إلا
محققة ، لم يجر أن تكتب إلا ألفاً ، وذلك إذا وقعت أولاً »^(٣) . وقد علل الرضى
لعدم إمكان التخفيف فى الهمزة الواقعة أولاً بقوله : « وإنما لم تخفف إذن لأن
إبدالها بتدبير حركة ما قبلها كما يجيء ، وكذا حذفها بعد نقل حركتها إلى ما قبلها ،
وكذلك المجعولة بين بين البعيد تدبر بحركة ما قبلها ، وإذا كانت فى ابتداء الكلام

(٢) المرجع السابق .

(١) من مباحث الهمزة العربية ص ٩ .

(٣) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٤٦ .

لم يكن قبلها شيء ، وأما بين بين المشهور فيقربها من الساكن كما يجيء ، والمبتدأ به لا يكون ساكناً ، ولا قريباً منه ، ولم تخفف في الابتداء نوعاً آخر من التخفيف ، غير الثلاثة المذكورة ، لأن المبتدأ به خفيف ، إذ الثقل يكون في الأواخر ، على أنه قد قلبت الهمزة في بعض المواقع في الابتداء هاء كهرحت وهرقت وهياك ، ولكن ذلك قلب شاذ^(١).

أما حكم التخفيف أو التسهيل ، فهو لمن يتكلم به من العرب من قبيل الاستحسان لا الوجوب ، فليس ممنوعاً أن يترك التخفيف ويعدل عنه إلى التحقيق الذي هو الأصل ، غير أن الظاهر أن أهل التخفيف من العرب كانوا يلتزمون به ، ولا سيما إذا صح ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام من قوله : « نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر (أى همز) ولولا أن جبرائيل - عليه السلام - نزل بالهمزة على النبي ﷺ ما همزنا »^(٢).

ويبدو أن السبب في عدول أهل التسهيل عن النطق بالهمزة محققة هو ما يكتنف نطقها من صعوبة كبيرة ، نستبين ذلك من كلام سيويه حين يقول : « واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يحققها لأنه بعد مخرجها ، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهى أبعد الحروف مخرجاً ، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع »^(٣) . ومن كلام الرضى فى ذلك قوله : « ثم اعلم أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف فى الحلق ، ولها نبرة كريهة تجرى مجرى التهوع ، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخففها قوم ، وهم أكثر أهل الحجاز ولا سيما قريش »^(٤) . ونستبينه - أيضاً - من تعبير المحدثين عنها بأنها (وقفة حنجرية) أو (احتباس حنجري).

ومن هذا وذاك يفهم أن الهمزة صوت عسير على اللسان ، ويحتاج إلى مجهود عضلى كبير فى إخراجه ، ولذا وصفه ابن سينا بقوله : « أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهالى

(١) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣١.

(٢) من مباحث الهمزة فى العربية ص ١٤ ، وانظر شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣٢.

(٣) كتاب سيويه ج ٣ ص ٥٤٨ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

(٤) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣١.

الحاصر زمانًا قليلًا ، لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معًا»^(١)، وهذا العمل المضنى من الحجاب وعضل الصدر ، والعضل الفاتحة... جعل الباحثين يقولون عنها : إنها « أشق الأصوات »^(٢) ، وإن « عملية النطق بها - وهى محققة - من أشق العمليات الصوتية »^(٣).

ولا شك فى أن طبيعة الهمزة المحققة ، وما فى تكوينها من صعوبة كبيرة ، تدل على طبائع الناطقين بها ، وأنهم كانوا أقوامًا فصحاء ، يميلون إلى نبر الأصوات وعلوها ، وأن البيئة التى كانت تنتشر فيها ظاهرة الهمز كانت بيئة شاسعة واسعة ، لا تكاد تتجاوب فيها الأصوات ، ومن هنا لم تخطئ الروايات حين تكاد تجمع على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص القبائل البدوية التى عرفت بالفصاحة ، والتى كانت تسكن الصحراء ، « ولا شك فى أن البيئة الصحراوية التى تنتشر فيها الأصوات فى مسافة شاسعة لا يعوقها عائق ، ولا يحول دونها حائل ، تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات »^(٤) وإظهارها للسامعين ، وإخراجها بكل صفاتها ، بل ربما رام البدوى توضيح صوت الهمزة أكثر مما هو شائع فى نطقها محققة ، فأخرجها عينا ، ونطق الهمزة عينا هو ما يسمى بـ (العننة) وسنتحدث عنها بعد قليل ، مفسرين إياها ، تاركين الحديث عن القبائل التى تتكلم بها ، إلى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

أما الهمزة المخففة أو المسهلة أو الملينة ، فحتاج فى نطقها إلى مجهود أقل مما تحتاج إليه الهمزة المحققة ، وهذه الطبيعة فى الهمزة المسهلة تناسب طبيعة أهل الحضر الذين عرفوا بدمائة الخلق ، ورقة الطباع ، فكانوا يميلون إلى خفض الأصوات ، وتقليل نبرها ، وهذا السلوك منهم أملتة عليهم يثبتهم التى تقاربت فيها

(١) أسباب حدوث الحروف لابن سينا ص ٩.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٩٧.

(٣) فى اللهجات العربية ص ٧٧.

(٤) فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٠٧ الطبعة الرابعة.

المسافات ، وكثرت الحواجز ، فلم يكن هناك شيء يدعو إلى نبر الهمزة ورفع الصوت بها ، وإخراجها محققة مظهرة بكل ما لها من صفات ، بل ربما بالغ الحضري في إخفاء صوت الهمزة فلم يقتصر على جعلها صوتاً قريباً من حروف المد واللين (همزة بين بين) ، وإنما يحولها إلى الألف أو الواو أو الياء ، وربما يبالغ في التسهيل فيحذفها من كلامه بالمرة . « والأصل في الأنواع الثلاثة (أى أنواع التسهيل): بين بين ؛ لأنه تخفيف مع بقاء الهمزة بوجه ، ثم الإبدال ؛ لأنه إذهاب الهمزة بعوض ، ثم الحذف ؛ لأنه إذهابها بلا عوض »^(١). ولذا قيل عن الحذف : إنه (أبلغ في التخفيف)^(٢).

إذن « فلتسهيل الهمزة مراحل تنازلية : سقوطها من الكلام ، ثم قلبها إلى حرف مد ، ثم تسهيلها بما يسمى بين بين . ولتحقيق الهمزة مراحل تصاعدية ، أن ينطق بها النطق المألوف لنا ، ثم أن ينطق بها شبيهة بالعين^(٣) وسوف نفسر مراحل التسهيل هذه - بعد قليل - ، تاركين الحديث عن القبائل التى تتكلم بالتسهيل أو بالتحقيق إلى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

* * *

العننة :

العننة هى إحدى الظواهر اللهجية التى شاعت بين القبائل البدوية ويمكن تعريفها بأنها : إبدال الهمزة عيناً قصداً للمبالغة فى تحقيق الهمزة وإظهارها للسامعين .

وقد كانت هذه الظاهرة مثار خلاف بين العلماء والباحثين ، فاللغويون العرب تعرضوا لتفسير هذه الظاهرة فى كتبهم ومؤلفاتهم ، لكنهم اختلفوا فى تحديد موضعها ، وفى مدى شيوعها بين القبائل العربية ، فبعضهم يحصر العننة فى جعل

(١) الناهج الكافية فى شرح الشافية لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ج ٢ ص ١٧٣.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ١٠٩.

(٣) فى اللهجات العربية ص ١١١ ، ص ١١٢.

همزة (أَنْ ، أَنْ) المفتوحة عينا . يقول ابن جنى : « فأما عنعنة تميم ، فإن تميماً تقول فى موضع أَنْ ، عَنْ تقول : عَنَّْ عبدالله قائم » وأنشد ذو الرمة عبد الملك :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم^(١)

قال الأصمعى : سمعت ابن هرمة ينشد هارون الرشيد :

أعن تغنت على ساق مطوقة ورقاء تدعو هديلاً فوق أعواد^(٢)

وحَصْرُ ابن جنى للعننة فى همزة هاتين الأديتين (أَنْ ، أَنْ) أخذناه من اقتصاره على التمثيل بهما ، كما هو واضح من نصه السابق^(٣).

وتتوالى الروايات فى تفسير العننة ، وحصرها فى (أَنْ ، أَنْ) مفتوحى الهمزة ، حتى إن ابن يعيش ينكر - صراحة - أن تقع العننة فى إن المكسورة الهمزة ، فيقول : « هذه لغة تميم وأسد يبدلون من الهمزة المفتوحة عينا ، وذلك فى أَنْ وَأَنْ خاصة ؛ إيثاراً للتخفيف لكثرة استعمالهما ، وطولهما بالصلة ، قالوا : أشهد عن محمداً رسول الله ، ولا يجوز مثل ذلك فى المكسورة^(٤) ».

ولكن الروايات الأخرى تأبى حصر العننة فى (أَنْ وَأَنْ) المفتوحى الهمزة فالسيوطى يقول : (ومن ذلك العننة ، وهى فى كثير من العرب ، فى لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون فى (أَنْك : عنك) وفى (أسلم :

(١) البيت من بحر البسيط ، قائله ذو الرمة ، وهو مطلع القصيدة الخامسة من ديوانه المطبوع فى كيمبريدج ١٩١٩م ص ٥٧٦ ، وسر الصناعة ٢٣٤/١ ، والخصائص ١١/٢ ، وخزانة الأدب ٤٩٥/٤ وترسمت : نظرت رسومها - خرقاء : اسم امرأة كان يشبب بها . منزلة : موضع النزول . الصبابة : رقة الشوق . مسجوم : مصبوب . الشاهد : قوله (أعن) أصله (أأن) قلبت الهمزة عيناً على لهجة تميم .

(٢) البيت من البسيط ، وهو فى مجالس ثعلب ٨١ وفيه « وكان ابن هرمة ربى فى ديار تميم » ، والخصائص ١١/٢ وسر الصناعة ٢٣٥/١ ، والمطوقة : حمامة ذات طوق وهو صنف خاص من الحمام . والورقاء : ما كان لونها لون الرماد . والهديل : ذكر الحمام مطلقاً ، وقيل فرخها . والشاهد فيه كما فى البيت السابق .

(٣) الخصائص لابن جنى ج ٢ ص ١١ وسر الصناعة ٢٣٤/١ ، وأصله فى مجالس ثعلب ٨١/١ .

(٤) شرح ابن يعيش ج ٨ ص ١٤٩ .

عسلم) وفي (أُذُن : عُذَن) ^(١) وواضح من هذا النص أن العننة تقع في (أَن) وفي غيرها ، وفي الهمزة المفتوحة وغير المفتوحة .

بل ربما وجدنا من يوسع دائرة العننة أكثر ، فيرى أنها تقع في أواسط الكلمات وأواخرها ، كما وقعت في أوائلها ، فأبو علي القالي ذكر في أماليه كثيراً من الأمثلة التي تعاقبت فيها الهمزة والعين في غير الأول ، ومنها : كَثَأُ اللَّبَنُ وكَثَعَ ، وهي : الكَثَأُ والكَثَعُ ، إذا علا دسمه وخثورته رأسه ، . . . ويقال : موت زَوَاف ، وزعاف ، وذَوَاف ، وذعاف ، إذا كان يعجل القتل ، وقال الأصمعي : يقال التَّمِيءُ لوُئِه ، والتَمَع ، وهو السَّأَفُ ، والسَّعْفُ ، وقال يعقوب : سمعت أبا عمرو يقول : الأُسْنُ : قديم الشَّحْم ، وبعضهم يقول : العُسْنُ ^(٢) .

كذلك ذكر الخليل بن أحمد ما يفيد إبدال العين من الهمزة في أواخر الكلمات فقال : (الخبع : الخبأ في لغة تميم) ^(٣) .

ويؤكد ابن دريد كلام الخليل فيقول : « خَبَعَ الرجل في المكان إذا دخل فيه ، وأحسب أن هذه العين همزة ، لأن بني تميم يحققون الهمزة فيجعلونها عيناً ، فيقولون : هذه خِبَاعُنَا ، يريدون : خِبَاؤُنَا ^(٤) . » والمراد بالتحقيق - هنا - المبالغة فيه ، وابن دريد كان على يقين من أن هذه المبالغة ظاهرة لهجوية شاعت على ألسنة البدو ، ولم (يتشكك ابن دريد في نسبة ما كان من هذا الضرب إلى تميم) ^(٥) كما قال الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، لأن (أحسب) تفيد الرجحان إن لم تفد اليقين .

وأمام هذه الروايات الصحيحة ، يحق لنا أن نقرر في اطمئنان : -

أ - أن العننة لا تقتصر على همزة (أَن أو أُن) المفتوحة الهمزة كما قال بعض اللغويين ، بل تقع في مطلق الهمزة ، مفتوحة أو غير مفتوحة ، وفي أُن وأن ،

(١) المزهري للسيوطي ج ١ ص ١٣٣ طبع سنة ١٣٣٥ هـ بمطبعة السعادة .

(٢) الأمالي لأبي علي القالي ج ٢ ص ٧٩ وأصله في كتاب الإبدال لابن السكيت ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) العين للخليل ج ١ ص ٥١ تحقيق الدكتور عبد الله درويش . ١٢٣/١ من العين / طبعة بيروت .

(٤) جمهرة كلام العرب لابن دريد ج ١ ص ٣٣٧ .

(٥) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص ٢٨٦ [ص ٣٦٩ اللهجات العربية في التراث]

دكتور أحمد علم الدين الجندى .

وفى غيرهما ، وفى أوائل الكلمات وأواسطها وأواخرها ، من غير تفريق بين كل هذه الحالات . (فاشترط البدء بالهمزة ، أو أن تكون مفتوحة ، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية ، وإنما الذى يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال ، هو أن هذه القبائل - وكلها من البدو - كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع ، أيا كان موضعها من الكلمة وبأية حركة تحركت)^(١).

ب - يؤكد ما سبق أن العننة « لا تزال شائعة فى بعض اللهجات الحديثة التى تتأخم الصحراء ، وقلب الهمزة عيناً فى هذه اللهجات غير مقيد بالبدء بها ، أو كونها محرركة بحركة خاصة »^(٢).

ففى صعيد مصر نسمعهم ينطقون (أسعل سعال) فى : أسأل سؤال ، ويقولون : (لع) فى لأ .

وفى لهجة صنعاء يقولون : (بدع) أى بدأ ، ويقولون : (البادع أظلم) أى : البادئ أظلم ، ويقولون : (ابدع بها) أى : ابدأ بها^(٣).

ويروى الدكتور خليل نامى أنه سمع (فى بيت الفقيه) من يقلب الهمزة عيناً ، وأنه قد علم من الثقات اليمنيين أن ذلك يحدث فى كل مدن تهامة ، فهم يقولون : عالة للآلة ، والعمام للإمام ، والعمير للأمير .

كذلك يوجد أثر قلب الهمزة عيناً فى لهجات الجزيرة بالسودان حيث يقولون : (أسعلكم سعال) فى : أسألکم سؤال^(٤) . وتوجد فى لهجة شمال المغرب أيضاً فهم يقولون : (تخبع) ، (نشاع الله) فى : تخبأ ، وإن شاء الله^(٥) .

ج- يضاف إلى ما سبق ذكره ، أن إبدال الهمزة عيناً ، على الصورة السابقة موجود فى بعض اللهجات السامية .

(١) فى اللهجات العربية ص ١١٠ الطبعة الرابعة.

(٢) فى اللهجات العربية ص ١١١ الطبعة الرابعة.

(٣) لهجات اليمن قديماً وحديثاً ص ٤٤.

(٤) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص ٢٨٧ [٣٦٩، ٣٧٠] اللهجات العربية فى التراث

(٥) لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) ص ٧٢ د. عبد المنعم سيد عبدالعال.

يقول الدكتور (أنوليتمان) : «وسمعت أهل الحبشة الشمالية يقولون : حبع عوضاً عن : حباً ، أى : خبأً ، ويظهر من ذلك أن العننة توجد فى أول الكلمة وتوجد فى آخرها^(١)».

إذن فإبدال الهمزة عيناً ، ظاهرة لغوية يغلب أنها كانت قديمة فى الأصل السامى ، كما أنها موجودة فى اللغة الحبشية .^(٢)

وعكس^(٣) هذه الظاهرة - أى إبدال العين همزة - كان موجوداً فى لسان العرب أيضاً ، فقد روى أن أهل الحجاز كانوا يلفظون استأدى بمعنى : استعدى أى (استعان) وآدى بمعنى : أعدى ، أى : أعان . وقال الطرماح - وهو شاعر طائى :-

فيؤديهم على فتاء منى حنانك ربنا يا ذا الحنان^(٤).

وروى الفراء أن بعض بنى نبهان ، وهم من بنى طيى ، كانوا يقولون : دأنى عوضاً عن : دغنى . ورويت صيغة : أبواب بمعنى : عباب (أى : أمواج) فى بيت الشاعر :

وماج ساعات من الوديق أبواب بحر ضاحك هزوق^(٥).

(١) مقال بعنوان: (بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى) مجلة كلية الآداب عدد مايو سنة ١٩٤٨
(٢) فى اللهجات العربية وأصول اختلافها د. عبدالحليم النجار ص ٤١ مطبعة جامعة فؤاد الأول.
(٣) وصف ابن جنى هذا الوجه بأنه غامض ، وفيه بعض الضعف وإن كان أبو على الفارسى قد أجازه: وقال إنه ينبغى أن يوقف فيه عندما سمع . انظر سر الصناعة ٢٤١/١ - ٢٤٦ .
(٤) البيت من الوافر .

(٥) البيت من الرجز ، ولم يعرف قائله ، ذكر ابن جنى عجزه فى سر الصناعة ١٢١/١ وقال فى التعقيب عليه: فليست الهمزة فيه بدلاً من عين عباب ، وإن كان بمعناه ، وإنما هو فعال من أب: إذا تهيأ ، .. لهذا كانت الهمزة أصلاً غير بدل من العين ، وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه ، وليس بالقوى اهـ

ووصف البحر بالضحك كناية عن امتلائه بالماء ، وهزوق أو زهوق فى الرواية الأخرى بمعنى مرتفع ، والعباب: الموج.

قال البغدادي فى شرح الشواهد على شافية ابن الحاجب: ومفهوم كلام ابن جنى أن إبدال العين همزة ضعيف لقلته ، وإليه ذهب ابن مالك فى التسهيل ، ولم يقيده الزمخشري فى المفصل ولا ابن يعيش فى شرحه بقله ، وإنما قال: «أبدل الهمزة من العين لقرب مخرجيهما كما أبدلت العين من الهمزة... وليس فى هذا شذوذ ، وما قاله الشارح (الرضى) تبعاً للمصنف ممنوع ، --

ثم روى ثؤاله بمعنى : ثعالة ، ولألّ بمعنى : لعلّ عند بعض العرب^(١) .

ومن ذلك يبدو أن بعض الألسنة استثقلت نطق العين فاطرحتها من كلامها ، كما حصل ذلك فى كثير من اللغات السامية ، وعلى الأخص الأكادية ، ومن هنا لجأت إلى إبدال العين همزة ، كما هو مشاهد فى الأجنبى الذى يتعلم العربية فى العصر الحديث ، إذ يبدل العين همزة لصعوبة العين على لسانه^(٢) . فالإنجليزى - مثلاً - ينطق كلمة (عمر) : Omer بالهمزة فى أولها لا بالعين كما نفعل نحن العرب ، وينطق كلمة (عرب) : Arab بالهمزة مكان العين . ومن المُحدّثين من يرى أن يطلق لقب (الأنانة) على قلب العين همزة ، نقيض (العننة)^(٣) .

* * *

-- فإنه جاءت كلمات كثيرة بالهمزة وبالعين ، وقد ذكر له ابن السكيت فى كتاب القلب والإبدال باباً عنوانه «باب العين والهمزة» نقل البغدادى منه نحو عشرين كلمة ، ثم قال معقّباً : «ولا شك أن هذه الكلمات المشهور فيها العين والهمزة بدل منها ، وقد أسقطنا من كلامه - ابن السكيت - ما المشهور فيه الهمزة والعين بدل منها ..

وأما ما أورده الزجاجى من هذا النوع فى الفصل الذى عقده فى أماليه الكبرى فقد نقل البغدادى منه فى شرح الشواهد نحو ست كلمات تقال بالعين وبالهمزة ، ثم قال : «وهذا ما أورده الزجاجى ، وقد أسقطنا منه أيضاً ما توافق فيه مع ابن السكيت ، وما المشهور فيه الهمزة وأبدلت عيناً ، وقلب العين همزة أقيس من العكس؛ لأن الهمزة أخف من العين .

ثم قال البغدادى فى نهاية تعليقه على المسألة «ولو استحضر ابن جنى عدة الكلمات لم يقل ما قال ، ولا ذهب ابن الحاجب إلى ما ذهب ، والله درّ الزمخشري فى صنعه ، والله الموفق تبارك وتعالى اهـ» .

يراجع فى ذلك : سر صناعة الإعراب ١/١٢١ . كتاب الإبدال لابن السكيت ٨٤ ، ٨٥ . شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٦ . شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٠٣ ، ٢٠٧ . شرح الشواهد للبغدادى ٤٣٢/٤ - ٤٣٥ .

(١) بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص ٢٥ مجلة كلية الآداب مايو ١٩٤٨ م .

(٢) فى اللهجات العربية وأصول اختلافها ص ٤٢ .

(٣) فى التطور اللغوى دكتور عبد الصبور شاهين ص ٦٠ .

العننة فى نظر علم الأصوات الحديث :

العننة - كما سبق تعريفها - هى إبدال الهمزة عيناً ، قصدًا للمبالغة فى إظهارها للسامعين ، والإبدال الواقع بين الحروف ، قد وضعت له شروط لابد أن يستوفىها ، ليكون قائماً على أساس صوتى ، وهذه الشروط هى ^(١) : -

(١) أن توجد بين الصوتين (المبدل والمبدل منه) علاقة مخرجية أو وصفية .

(٢) ضرورة اتحاد المعنى بين اللفظين المبدل والمبدل منه .

(٣) أن يتمشى الإبدال مع قوانين التطور الصوتى ، بأن يكون التطور من الصوت الأصعب إلى الأسهل .

وإذا طبقنا هذه الشروط الثلاثة على إبدال الهمزة عيناً ، كما هو الحال فى العننة ، وجدناه إبدالاً موافقاً لقوانين التطور الصوتى فى نظر المحدثين . فالهمزة تخرج من الحنجرة وهو مخرج قريب ، بلا ملاصق لمخرج العين الذى هو أقصى الحلق ، فهما على علاقة مخرجية . والشرط الثانى ينطبق على جميع الألفاظ التى ذكرت سابقاً فى معرض الحديث عن العننة ، فهى مع الهمزة ومع العين بمعنى واحد ، والشرط الثالث - أيضاً - متحقق فى العننة ، فالانتقال من الهمزة التى هى حبة حنجرية ، شديدة بالغة الشدة ، وليست مجهورة ولا مهموسة إلى العين الحلقية المجهورة المائلة إلى الرخاوة - انتقال من الأصعب إلى الأسهل ، « فليس بغريب أن يحدث هذا القلب للهمزة عيناً ، نزوعاً إلى إظهار صوت حنجرى مهموس ، فى صورة صوت حلقى قريب منه ، ولكنه مجهور قوى الاحتكاك ناصع الرنين » ^(٢) .

(١) انظر : الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، [ص ٢٦٩ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى] ، وانظر ابن جنى اللغوى ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، [ص ٧٠٨ عبرى اللغويين] وانظر مقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٩ وما بعدها ، وانظر مقاييس الأصول والفرعية فى الإبدال لابن السكيت دكتور أحمد سلطان ص ١٦ - ٢٧ حيث استوفيت الشروط .

(٢) فى التطور اللغوى ص ٦٦ د. عبد الصبور شاهين.

وهذا الأمر - أى العلاقة القائمة بين الهمزة والعين - أدركه من سبق المُحدِّثين ، فابن الجوزى فى رءوس القوارير « ص ٣٠ » يقول : ومن العرب من يبدل الهمزة عينا لتقاربهما فى المسلك ، وإن العين عندهم أخف من الهمزة^(١).

وبالرغم من وجود العلاقة الصوتية بين جميع ألفاظ العننة من غير تفريق بينها ، تجد بعض المُحدِّثين يقصرون العننة على (أُنْ ، أُنْ) قائلين : بأن « تسمية العننة توحى بأن الأقدمين يقصرونها على ما كانت تتعرض له الأداتان (أُنْ ، أُنْ) »^(٢) وحيثهم فى ذلك أن مصطلح (العننة) المقصود به قلب الهمزة عينا ، مبنى على أساس تكرار الأداة التى تحدث فيها الظاهرة وهى (أُنْ) التى تنطق لدى تميم وغيرها (عن) فهذا القلب الذى تصدق عليه التسمية ، مقتصر - فى رأيهم - على هذه الأداة ، بحيث لا يقصد به ما كان من باب الإبدال اللغوى كأباب وعباب^(٣).

ونحن لا نرى فى هذا المصطلح (العننة) دلالة توجب قصره على (أُنْ ، أُنْ) دون غيرهما ، فالعلماء العرب حين وضعوا هذا اللقب للدلالة على العننة ، لم يقصدوا بذلك أنه يقع فى هاتين الأداتين فقط ، لأنهم وضعوا ألقاباً لللهجات أخرى ، وكانت على وزن (الفعللة) مثل (الكشكشة) و(الكسكسة) و(العجعة) و(التلثة) و(الشنشة) و(الفحفة)؛ ولم تدل على أنها تقع فى أداة اسمها (كش أو كس أو عج أو شن أو فح)؛ وإنما كل ما فيها ، وما فى الألقاب الأخرى كالوكم ، والوهم ، والاستطاء ، والوتم . . . أنهم كانوا يعمدون إلى ذكر الحرف المبدل منه أو المبدل فى المصطلح أو الحرف الواقع فيه التغيير بالكسر أو بالإسكان مثلاً . فمصطلح العننة يدل على أن الحرف المبدل فيها هو العين ، ومصطلح الكسكسة يدل على أن الحرف المبدل هو السين ، وهكذا . . نجد الحرف المبدل هو الشين

(١) لهجات العرب للعلامة أحمد تيمور باشا ص ١٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٧٣ - وما قاله ابن الجوزى من كون العين أخف من الهمزة هو المشهور وقد خالف ذلك عبد القادر البغدادى فى شرح شواهد الرضى على شافية ابن الحاجب ٤/٤٣٥ .
(٢) فى التطور اللغوى د. عبد الصبور شاهين ص ٦٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٥٩ .

فى الكشكشة ، والجيم فى العجعة ، والتاء فى الوتم ، والشين فى الشنشة ، والنون فى الاستطاء ، وقد يكون المذكور فى المصطلح هو الحرف المبدل منه مثل الحاء فى الفحفحة . أما التثنية فتشير إلى كسر أول المضارع ويظهر أن الكسر كان يقع كثيراً فى المبدوء بالتاء . ومصطلح الوكم يشير إلى الكسر الذى يلحق الكاف بعد الياء أو الكسرة ، والوهم يشير إلى كسر الهاء فى الكلمة ، وهكذا ، فربما كان تكرار العين والنون فى مصطلح العننة من قبيل المصادفة .

إذن فالأجدر بنا ألا نفرق بين أجزاء الظاهرة الواحدة التى تنطبق عليها شروط موحدة ، وتتكلم بها قبائل ذات طبائع جغرافية واجتماعية متشابهة ، فكل الألفاظ التى أبدلت فيها العين من الهمزة ، داخلية فى ظاهرة العننة فى نظرنا؛ «لأن هذا الإبدال عام فى كل همزة عند تميم ومن جاورهم»^(١) وحتى على فرض صحة وجهة النظر القائلة بأن مصطلح العننة مبنى على أساس تكرار الأداة (أن) التى صارت (عن) فإن هذه التسمية (العننة) تدل على قصور ونقص فى الاستقراء لدى واضعى التسمية ، فليس هناك ما يمنع - بعد أن تم الاستقراء - من إطلاقها على كل همزة أبدلت عينا فى كلمتين متحدثين فى المعنى .

* * *

مراحل التسهيل :

أولاً : التسهيل بين بين :

التسهيل بين بين هو أن تجعل الهمزة المسهلة « بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركتها ، إن كانت مفتوحة فهى بين الهمزة والألف ، وإن كانت مكسورة فهى

(١) فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص ١٧٧ - ويقول الدكتور خليل نامى فى ص ٣٦ ، ٣٨ من كتابه دراسات فى اللغة العربية: العننة كانت فى قضاة ، وفى بنى قيس بن مضر ، وفى تميم بن مضر ، وفى أسد بن مضر ، وفيمن جاورهم من الأعراب - بين القبائل الشمالية واليمينية.

بين الهمزة والياء ، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو^(١) ، والمقصود بالواو وبالياء التي تنطق الهمزة بينها وبينهما - الواو الساكنة والياء الساكنة ، أما الألف فمعلوم أنها لا تكون إلا ساكنة . وتسمى الهمزة في حالة التسهيل هذه (همزة بين بين).

ومذهب سيويه أنها حرف واحد نظراً إلى مطلق التسهيل ، وذهب غيره إلى أنها ثلاثة أحرف ، نظراً إلى التفسير بالألف والواو والياء^(٢) ، وممن قرأت له من السابقين أنها ثلاثة أحرف أبو يحيى زكريا الأنصاري في كتابه (مناهج الكافية في شروح الشافية)^(٣) ، وقد سار على ذلك من المحدثين الأستاذ حفنى ناصف^(٤).

والتفسير السابق لهمزة (بين بين) هو ما قال به كل علماء اللغة والنحو من المتقدمين والمتأخرين ، وهو رأى أغلب القراء أيضاً ، قال الإمام الشاطبي :

والإبدال محض والمسهّل بين ما هو الهمز والحرف الذى منه أشكلا
وقد روى عن بعض علماء القراءات « أن تخفيف الهمزة - فى هذه الحالة - (أى فى حالة بين بين) يكون بجعلها بين الهمزة والهاء^(٥).

وقد أدرك اللغويون العرب أن الهمزة المسهلة بين بين صوت آخر غير الهمزة المحققة ، فالمحققة صوت أصيل فى اللغة العربية يتكلم به جميع العرب ، أما المسهلة فهي صوت فرعى عنها يستحسن فى بعض ألسنة العرب ، ويمكن إجمال

(١) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٥٣ .

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) انظر : مناهج الكافية فى شروح الشافية ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٤) انظر : تاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص ١٢ .

(٥) انظر : دائرة المعارف الإسلامية بالهامش ص ٧ من المجلد الأول - وفى إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ١٤٧ قال أبو شامة الدمشقى: وكان بعض أهل الأداء يقرب الهمزة المسهلة من مخرج الهاء ، وسمعت أنا منهم من ينطق بذلك ، وليس بشيء ، والله أعلم.

ما بينهما من فروق^(١) فيما يأتي :

(١) الهمزة المحققة تقع فى ابتداء الكلام وفى غيره . أما المسهلة فلا تقع فى ابتداء الكلام أبداً^(٢).

(٢) الهمزة المحققة همزة قوية ، متمكنة ومشبعة ، مظهرة . أما الهمزة المسهلة فهى ضعيفة وليس لها تمكن المحققة لقربها من الساكن .

(٣) الهمزة المحققة تأتى متحركة وساكنة . أما المسهلة فلا تكون إلا متحركة .

(٤) الهمزة المحققة صوت احتباسى ، ليس بالمجهور ولا بالمهموس . أما المسهلة فليست صوتاً احتباسياً « أى أن إقفال الأوتار الصوتية قد لا يكون تاماً حين النطق به ، بل يكون إقفالاً تقريبياً ، وفى حالة التسهيل هذه يحدث الجهر ، ولكن المجهور - حينئذ - ليس وقفة حنجرية ، بل تضيق حنجرى ، أشبه بأصوات العلة منه بهذا الصوت »^(٣) أى بالهمزة المحققة .

* * *

(١) الفروق الثلاثة الأولى أخذناها من كلام ابن جنى فى سر الصناعة ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) قال مكى بن أبى طالب فى كتابه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ج ١ ص ١٧٢ : «والعلة فى ذلك أن الهمزة المبتدأ بها لو خففت لم يكن بد أن تخفف بين بين ، أو على البدل ، أو بإلقاء الحركة ولا سبيل إلى جعلها بين بين وهى مبتدأ بها؛ لأن همزة بين بين معناها بين الهمزة المتحركة وبين الحرف الساكن الذى هو من حركتها ، فهى تقرب من الساكن ، ولا يبتدأ بساكن ، ولا بما يقرب من الساكن؛ لأن الساكن يحتاج إلى حركة يوصل بها إلى اللفظ بالساكن أبداً ، فكنت تحتاج أن تجعلها بين بين وتجلب لها حرفاً متحركاً ، تصل به إلى النطق بها ، وذلك تغيير وتكلف وخروج عن لغة العرب ، فليس هذا فى لغتهم ، ولا سبيل فيها وهى مبتدأ بها إلى تخفيفها بالبدل؛ لأن التخفيف بالبدل فى غيره إنما يجرى على حكم حركة ما قبل الهمزة ، وهذه الهمزة ليس قبلها شئ لازم لها . ولا سبيل إلى إلقاء حركتها؛ إذ ليس قبلها شئ تلقى عليه حركتها ، (إذن) فقد امتنع الابتداء بهمزة مخففة على أى وجوه التخفيف كان تخفيفها اهـ مطبعة دار الحديث بالقاهرة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

(٣) مناهج البحث فى اللغة ص ٩٧ .

المواضع القياسية لهزمة بين بين^(١) :

أ - مواضع الاتفاق :

اتفق النحويون على أن الهزمة تسهل بين بين على مقتضى القياس فى المواضع الآتية :

(١) إذا كانت الهزمة مفتوحة وقبلها مفتوح جعلتها متوسطة فى إخراجها بين الهزمة والألف ، لأن الفتحة من الألف ، وذلك قولك فى سأل : سال ، وفى : قرأ : قرا ، والمنفصل فى ذلك كله كالم متصل نحو : قال أحمد إذا أردت التخفيف قلت : قال احمد .

(٢) إذا كانت مكسورة وقبلها مفتوح أو مكسور تجعل بين بين قياساً ، فيقال فى سَمَّ وَيُسَّ : سيم ، ييس ، ويقال فى مِثْنٍ : ميين ، والمنفصل فى ذلك كالم متصل نحو : قال إبراهيم ، وعبد إبراهيم ، تصير : قال يبراهيم ، عبد يبراهيم ، بجعلها بين بين ، أى بين الهزمة والياء .

(٣) إذا كانت مضمومة وقبلها مفتوح أو مضموم تجعل بين بين قياساً ، فيقال فى لَوْمَ : لوم ، وفى رءوس : رووس ، والمنفصل فى ذلك كالم متصل ، ففى نحو : هذا عبد أختك ، ولعل عبد أختك التاجر ، تسهل بين بين أيضاً ، أى بين الهزمة والواو .

(٤) إذا كانت الهزمة مسبوقة بألف وأريد تخفيفها ، فحكمها أن تجعل بين بين على القياس ، إلا أنها تجعل بينها وبين الألف إن كانت مفتوحة نحو : تساءل وتفاعل (فعلين) وتجعل بينها وبين الواو إن كانت مضمومة ، نحو : تساؤل وتفاؤل (مصدرين) ، وتجعل بينها وبين الياء إن كانت مكسورة نحو : قائل وبائع .

ب - مواضع الاختلاف :

اختلف فى تسهيل الهزمة بين بين فى موضعين اثنين :

(١) إذا كانت الهزمة مكسورة وقبلها مضموم نحو : سئل (المبنى للمفعول) ، فذهب سيبويه إلى أن القياس فى تسهيلها أن تجعل بين الهزمة والياء الساكنة .

(١) لخصناها من كتاب سيبويه ج ٣ ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ ومن شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ . ومن شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، وما بعدها .

وأما أبو الحسن الأخفش ، فنسب إليه أنه كان يبدلها واواً فيقول : سُول في سُل .

(٢) إذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها مكسور ، نحو : مستهزئون ، فسيبويه ، يجعلها بين بين ، والأخفش يبدلها ياء خالصة فيقول : مستهزيون .

ولكل من الأخفش ، وسيبويه حجة فيما ذهب إليه ، فالأخفش يرى أن الهمزة المكسورة ، المضموم ما قبلها ، لو جعلت بين بين - كما يقول سيبويه - لكانت كالياء الساكنة ، وهى لا تجيء بعد الضمة . وكذلك الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها لو جعلت بين بين لكانت كالواو الساكنة ، وهى لا تجيء بعد الكسرة ، كما لا تجيء الألف بعد الضمة والكسرة .

أما سيبويه فيرى أن الواو الساكنة لا يستحيل مجيئها بعد الكسرة ، وكذلك الياء الساكنة لا يستحيل مجيئها بعد الضمة ، فلم يمتنع - إذن - مجيء شبه الواو الساكنة بعد الكسرة ، وشبه الياء الساكنة بعد الضمة^(١) .

وعلق ابن يعيش على ذلك الخلاف بأن قول الأخفش : « قول حسن » ، وقول سيبويه « أحسن » ، لأن الواو الساكنة لا يستحيل أن يكون قبلها كسرة كما استحال ذلك فى الألف ، وإنما عدولهم عن ذلك لضرب من الثقل ، وإذا لم يستحل ذلك فى الواو الساكنة ، لم يمتنع فيما قاربها^(٢) .

« وذهب بعضهم فى نحو (مستهزئون) و(سُل) إلى بين بين البعيد ، ونسب بعضهم هذا القول - أيضاً - إلى الأخفش ، وإنما ارتكب هذا الوجه من التسهيل هاهنا من ارتكبه ، وإن كان بعيداً نادراً؛ فراراً مما لزم سيبويه فى بين بين المشهور من مجيء شبه الواو الساكنة بعد الكسر ، وشبه الياء الساكنة بعد الضم ، كما مر؛ ومما لزم الأخفش من مجيء الواو الصريحة ، متحركة بالكسر بعد الضم فى (سُول) ، ومن مجيء الياء الصريحة متحركة بالضم بعد الكسر فى (مستهزيون) ، وذلك مرفوض فى كلامهم ، وليس بشيء ؛ لأنه لا يلزم سيبويه - على ما ذكرنا - محذور فى مجيء شبه الواو الساكنة بعد الكسر ، وشبه الياء الساكنة بعد الضم ،

(١) بتلخيص من شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٤٦ . (٢) شرح ابن يعيش ج ٩ ص ١١٢ .

وكذلك لا يلزم الأخفش فيما ذهب إليه أمر شنيع ؛ لأن تخفيف الهمزة عارض غير لازم»^(١)، وهذا الوجه الذى قال عنه الرضى ، إنه مرفوض فى كلامهم ، فيما هو فى الكلمة الواحدة ، قال عنه ابن الجزرى - أيضاً - فيما هو من كلمتين نحو (يشاء إلى) : وقد أبعد وأغرب ابن شريح فى كافيه حيث حكى تسهيل الثانية كالواو [أى بين بين البعيد] وقال : ولم يصب من وافقه على ذلك ؛ لعدم صحته نقلاً ، وعدم إمكانه لفظاً ، فإنه لا يتمكن منه إلا بعد تحويل كسرة الهمزة ضمة ، أو تكلف إشمامها الضم وكلاهما لا يجوز ولا يصح ، والله تعالى أعلم^(٢).

وننبه - هنا - إلى أن ما نسبته ابن يعيش والرضى ، إلى الأخفش ، من الإبدال المطلق فى الموضوعين السابقين ، قيده ابن الجزرى فى قوله : «والذى رأيته أنا فى كتاب معانى القرآن له (أى للأخفش) أنه لا يجيز ذلك إلا إذا كانت الهمزة لام الفعل نحو : (سنقرئك) ونحو (اللؤلؤ) . وأما إذا كانت عين الفعل نحو : (سئل) أو من منفصل نحو : (يرفع إبراهيم) و(يشاء إلى) فإنه يسهلها بين بين كمذهب سيويه^(٣) . . . وحكى الأستاذ أبو حيان النحوى عن الأخفش الإبدال فى النوعين ، ثم قال : وعنه فى المكسورة المضموم ما قبلها من كلمة أخرى - التسهيل بين بين ، فنص له على الوجهين جميعاً فى المنفصل^(٤).

وننبه - أيضاً - إلى أن أباحيان فى (الارتشاف) نسب إلى الأخفش الإبدال فى الموضوعين السابقين حال الاتصال ، ولم ينسب إليه بين بين البعيد ، وإنما نسبته إلى

(١) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) انظر النشر ١/ ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٣٨ طبعة بيروت ، وشرح الرضى على الشافية ٣/ ٥٤ ، ٤٦ ؛ لتعرف أن تسهيل الهمزة بين بين له وجهان:

الأول - يسمى بين بين المشهور ، ومعناه أن تأتى بالهمزة فى حال تسهيلها بين الهمزة وبين حرف حركتها ، وتجعل الحركة التى عليها مختلطة سهلة بحيث تكون كالساكنة وإن لم تكنها ، وهو مذهب أئمة النحو كالخليل وسيويه ، ومذهب جمهور القراء فى كل ما يجوز فيه بين بين.

الثانى - ويسمى بين بين البعيد ، ومعناه أن تأتى بالهمزة فى حال تسهيلها بين الهمزة وبين حرف حركة ما قبلها ، ونسب بعضهم هذا الوجه إلى الأخفش من النحويين فى تسهيل المضمومة بعد كسر ، والمكسورة بعد ضم ، ونسب إلى ابن شريح فى تسهيل المكسورة بعد ضم ، والوجه الأول هو المشهور والأوجه فى القياس ، وعليه عمل القراء .

(٣) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٤٤ .

(٤) انظر : من مباحث الهمزة ص ٢٣ - ونفس الموضوع من المرجع السابق .

أبى الحسن شريح^(١). ويبدو أن أبا الحسن شريحا هذا حكى هذا المذهب فقط عن أبيه أبي عبد الله محمد بن شريح صاحب كتاب الكافي الذى يظهر أنه حكاه أيضاً عن غيره كما يفهم من عبارة ابن الجزرى «وقد أبعد وأغرب ابن شريح فى كافيهِ حيث حكى تسهيلها كالواو»^(٢)، يريد حكى تسهيل الهمزة المكسورة بعد أخرى مضمومة كالواو ، وإذن ، فهذا المذهب قديم قبل أبى الحسن شريح وأبيه ابن شريح^(٣). ولا يفوتنا أن نذكر بأن للقراء وجوهاً أخرى فى تسهيل همزة (مستهزئون) ، وسوف نذكرها فى مكانها - إن شاء الله تعالى .

* * *

حكم همزة بين بين من حيث الحركة والسكون :

ذهب الكوفيون إلى أن همزة بين بين ساكنة ، واحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها ساكنة ، أن همزة بين بين لا يجوز أن تقع مبتدأة ، ولو كانت متحركة لجاز أن تقع مبتدأة ، فلما امتنع الابتداء بها دل على أنها ساكنة ، لأن الساكن لا يبدأ به^(٤). أما البصريون ، فذهبوا إلى أنها متحركة ، قال سيبويه : «والمخففة (أى بين بين) فيما ذكرنا بمنزلتها محققة فى الزنة»^(٥). ومعلوم - مما سبق فى بيان مواضع التسهيل بين بين القياسية - أن الهمزة المحققة لا يمكن أن تسهل بين بين إلا إذا كانت متحركة ، فإذا كانت المسهلة بين بين بوزن المحققة ، كانت دائماً متحركة مثلها .

وقد استدل سيبويه على ذلك بحجة قوية ، وهى أن همزة بين بين ، قد يقع بعدها حرف ساكن فى غير القافية من الشعر ، ولو كانت ساكنة لالتقى ساكنان فى

(١) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٦٤ تحقيق د. مصطفى خليل النماس.

(٢) النشر ج ١ ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ بتصحيح على محمد الضباع - دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) انظر : من مباحث الهمزة ص ٢٤.

(٤) الإنصاف فى مسائل الخلاف ج ٢ ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد - مطبعة

السعادة - الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٥ م - وانظر شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٤٥.

(٥) كتاب سيبويه ج ٣ ص ٥٤٩.

غير القافية ، وذلك مما لا يجوز ، وضرب لذلك مثلاً بيت الأعشى :
أَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضَرَّ بِهِ رِيبَ الْمُنُونِ وَدَهْرَ مَفْسَدِ خَيْلٍ^(١)

بناءً على أن العرب لا تحقق الهمزتين أبداً لما فيهما من الاستثقال ، فتكون الهمزة الثانية من قوله : (أَنْ) مسهلة بين بين ، لأنها مفتوحة بعد فتح ، وهى تقابل فى وزن العروض التاء من (مستفعِلن) والتاء متحركة كما ترى ، ولا تسكن أبداً لما يلزم عليه من اجتماع السواكن أو الساكنين ، وهذا البيت من البسيط ووزنه :

أَنْ رَأَتْ (متفعِلن) رجلن (فعلن) أَعْشَى أَضَرَّ (مستفعِلن) رِيبهى (فعلن) رِيبَ لمُنُو (مستفعِلن) نوده (فعلن) رن مفسدن (مستفعِلن) خيلو (فعلن) فالهمزة الثانية فيه مقابلة للتاء من مستفعِلن التى صارت (متفعِلن) بعد أن دخلها الخبن ، فلو كانت الهمزة الثانية المخففة فى حكم الساكنة لالتقى ساكنان فى غير القافية ، وذلك مما لا يجوز .

وقد استدل ابن جنى على أنها متحركة بمثل ذلك فقال : ويدلك على أنها وإن كانت قد قربت من الساكن ، فإنها فى الحقيقة متحركة ، أنك تعتدها فى وزن العروض حراً متحرراً ، وذلك نحو قول كثير (من الطويل) :

أَنْ زَمَ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جَيْرَةٌ وصاح غراب البين أنت حزين

ألا ترى أن وزن قولك : (أَنْ زَمَ) : «فعولن» ، فالهمزة « - إذن - مقابلة لعين (فعولن) وهى متحركة كما ترى^(٢) . والاستدلال بهذا البيت أقوى من بيت الأعشى ، لأن كثيراً من خزاعة ، وهى إحدى القبائل التى تسهل الهمزة ، فربما أنشده كثير بالهمزة المسهلة كما استدل به ابن جنى .

(١) البيت من البسيط ، وهو فى الديوان ٤٢ والكتاب ١٥٤/٣ ، ٥٥٠ ، والمقتضب ١٥٥/١ والإنصاف ٤٢٧ ، والحجة لأبى على الفارسى ٢١٣/١ وشرح الرضى على الشافى ٤٥/٣ ، وشرح ابن يعش ٨٣/٣ ، وشرح شواهد الشافى ٣٣٢ ، ويروى (مُتَبَل) مكان (مفسد) ، وروى (مُفَنَد) أيضاً بمعناه ، من الفَنَد وهو الفساد ، ومعنى دهر خَيْلٍ: مُلْتَوٍ على أهله .
(٢) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٥٤ .

وأقوى منهما فى الاحتجاج^(١) بيت أبى طالب :

أمن أجل جبل لا أباك ضربته بمنسأة قد جر حبلك أحبلا^(٢)

لأن أبا طالب من قريش التى لم تكن تحقق الهمزة فى كلامها - غالباً - فهناك احتمال كبير ، فى أنه أنشده بتسهيل الهمزة فى كلمة (بمنسأة) ، ولو كانت هذه الهمزة المسهلة ساكنة - كما يقول الكوفيون - لم يستقم وزن البيت لأنه من الطويل وأجزاؤه : فعولن مفاعيلن ، ووزن التفعيلة الأولى والثانية من الشطر الأخير :

بمنسـ (فعول) أتـن قد جر (مفاعيلن) فالهمزة المسهلة مقابلة للميم فى (مفاعيلن) كما ترى ، وهى لا تكون إلا متحركة .

هذه أدلة قوية على أن همزة بين بين متحركة ، ولا يثبت أمامها ما احتج به الكوفيون من أنه لا يجوز الابتداء بها ، « لأنها إذا جعلت بين بين اختلست حركتها ، وقربت من الساكن ، والابتداء إنما يكون بما تمكنت فيه حركته ، وإذا جعلت بين بين فقد زال ذلك التمكن وقربت من الساكن ، وكما لا يجوز الابتداء بالساكن ، فكذلك لا يجوز الابتداء بما قرب منه »^(٣) . وفوق ذلك فإن ما روى عن نطق القراء لهمزة بين بين ، يؤيد ما ذهب إليه البصريون من أنها متحركة ، فهذا هو ذا أبو إسحاق الزجاج يروى عن أبى عمرو بن العلاء كيفية نطقه لهمزة بين بين فيقول : « فأما الهمزتان إذا كانتا مكسورتين نحو قوله - عز وجل - : ﴿ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ (النور: ٣٣) ، وإذا كانتا مضمومتين نحو قوله : ﴿ أُولَئِكَ أُولُتِّك ﴾ (الأحقاف: ٣٢) ، فإن أبا عمرو يخفف الهمزة الأولى فيهما ، فيقول : ﴿ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ ﴾ (النور: ٣٣) و﴿ أُولَئِكَ أُولُتِّك ﴾ (الأحقاف: ٣٢) فيجعل الهمزة الأولى من (البغاء) بين الهمزة والياء ، ويكسرهما ، ويجعل الهمزة الأولى فى قوله :

(١) انظر من مباحث الهمزة فى العربية ص ٢٥.

(٢) البيت من الطويل ، منسوب لأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الصحاح واللسان (ن س أ) وفى الدر المنثور ٢٥١/٥ منسوب إلى عبد المطلب ، وبلا نسبة فى مجاز القرآن ١٤٥/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/١٤ ، والدر المصون ٤٣٦/٥.

(٣) الإنصاف فى مسائل الخلاف ج ٢ ص ٣٨٩ وقارن مع الكشف لمكى بن أبى طالب ١٧٢/١ ، وشرح الرضى على الشافية ٤٥/٣.

﴿أُولَآئِكَ﴾ (الأحقاف: ٣٢) بين الواو والهمزة ويضمها^(١). فقوله يكسرها ، وقوله : يضمها يدل صراحة على أنها متحركة ، ولا يقال إن أبا عمرو من البصريين ، فمذهبه مذهبهم ، لأن أبا عمرو فى هذه الحالة قارئ لا لغوى ، يعول على الرواية والتلقين الذى سمعه من شيوخه ، ولو خالف مذهبه اللغوى .

إذن فالأرجح هو مذهب البصريين ، لقوة أدلته من ناحية ، ولأنه يتفق مع النطق السليم لهمزة بين بين عند القراء ، والقراءات - كما نعلم - هى المرآة الصادقة لنطق العرب الخالص فى عصر صدر الإسلام .

همزة بين بين فى نظر المحدثين :

إن ما تقدم من الحديث عن همزة بين بين ، ينبى عن اضطراب القدماء من النحويين فى ضبط حالات هذه الهمزة ، فتقسيمهم لها إلى بين وبين المشهور أو القريب ، وبين وبين غير المشهور أو البعيد ، وتعدد أسمائها لدى القراء (الهمزة الممدودة والمطولة والمليئة والمسهلة والضعيفة والمخفأة والمختلصة والمذابة...) ^(٢) ، واختلاف النحويين فيها هل هى متحركة أو ساكنة ؟؟ ... ، كل ذلك يدل على ما نالت هذه الهمزة من عناية اللغويين والنحاة والقراء ، ورغم كل ذلك بقيت غامضة كل الغموض « لا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشاهدة » ^(٣) - كما قال ابن يعيش .

وهذا الغموض لم يثن المحدثين عن أن يقولوا كلمتهم فيها ، حتى وإن جاء تصورهم لها على نقيض ما تصوره الأقدمون الذين سمعوا وشافوها .

فالدكتور إبراهيم أنيس : كان على حذر كبير حين وصف همزة بين بين ، بأنها « الحالة الغامضة لنطق الهمزة » ^(٤) ، وكان منصفاً ودقيقاً فى التعبير ، حين قال : « أما التكييف الصوتى لهذه الحالة ، فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً ، وإذا صح النطق الذى سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج بتحقيق د. عبد الجليل شلبى ج ١ ص ٤٣ .

(٢) كتاب الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص ٢٩ ، ومقدمة فى أصول القراءات ص ٣٨ .

(٣) شرح ابن يعيش ج ٩ ص ١١٢ .

(٤) الأصوات اللغوية ص ٩٢ - الطبعة الرابعة .

الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركة وراءها حركة ، فالذى نسمعه - حينئذ - لا يمتُ إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير يسمى - عادة - حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة^(١) ، فهو فى هذا النص وصف ما سمعه هو ونطقه القراء المعاصرون ، أما فى نطق الفصحاء فى عصر صدر الإسلام ، وفى نطق القراء المتقدمين ، فلم يجزم بأنها كانت كذلك .

أما غيره ، كالأستاذ محمد الأنطاكى مثلاً : فلم يفرق بين نطق قديم أو حديث ، وقال : « الهمزة المُخَفَّفة وتسمى همزة بين بين ، والتسمية لسيبويه ، ومعنى بين بين أن تنطق الهمزة بين الهمز والألف إن كانت مفتوحة مثل : أن ، وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة مثل : أن ، وبينها وبين الواو إن كانت مضمومة مثل : أأخذ . وحقيقة هذا النطق أن تلفظ حركة الهمزة فقط من غير أن تلفظ الهمزة نفسها ، وفى المثال الأول يكون النطق هكذا : (أ - ن) وفى المثال الثانى هكذا : (أ - ن) وفى الثالث هكذا : (أ - خذ)^(٢) .

كذلك ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين ، إلى إنكار وجود همزة بين بين ، وإلى أنه « ليس للهمزة سوى حالة واحدة هى حالة أدائها أداء كاملاً »^(٣) ، أى محققاً ، « وليس من الصواب أن يقال : هذه همزة مسهلة أو همزة بين بين ، أو هذه همزة مقلوبة هاء ، إذ لا وجود - فى الواقع - للهمزة فى هذه الحالات ، حيث إن وضع الحنجرة قد تغير إلى وضع آخر غير وضع الهمزة »^(٤) . وبعد إجراء بعض التجارب على جهاز (السبكتروجراف) قرر : « أنه لا يوجد فى علم الأصوات ما يسمى بهمزة بين بين ، وإنما هى حركة فى إثر همزة متحركة »^(٥) . وفى مكان آخر قال : « إن بين بين يعنى - فى الواقع - سقوط الهمزة أساساً ، واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة بحيث يتكون لدينا المزدوج بمعناه الكامل ، وفى

(١) الأصوات اللغوية ص ٩٢ - الطبعة الرابعة .

(٢) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج ١ ص ٤٢ .

(٣) الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص ١٤٣ . [ص ١٦٨ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى] .

(٤) المرجع السابق ص ١٤٤ . [ص ١٦٨ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى] .

(٥) المرجع نفسه ص ١٤٧ . [ص ١٦٨ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى] .

هذه الصورة للمزدوج ، يضعف وجود الانزلاق الذى تنشأ عنه أنصاف الحركات (الواو والياء) ^(١).

أما الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، فلم ينكر همزة بين بين ، وإنما قال عنها : « إنها لا تتكون فى الحلق حيث تتكون الهمزة الأصلية ، بل فى الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم ، ولذلك يطلق عليها بين بين ، أى بين الحروف الحلقية والحروف الجوفية (ا . و . ي) » ^(٢).

* * *

تعقيبات :

(١) الواقع أنه يجب أن نفرق بين نطق العرب الفصحاء لهزمة بين بين ، فى صدر الإسلام ، وبين نطقنا لها ، إذا ما أردنا وصف همزة بين بين ، فالذى كان ينطقه العرب فى صدر الإسلام ، ووصفه النحاة السابقون ، ووردت به القراءات القرآنية ، شئ مجهول بالنسبة لنا تماماً ، لعدم المشافهة ، ولا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة ، كما قال ابن يعيش ، وما لا يمكن التعرف على حقيقته ، لا يجوز - بالطبع - إثباته أو نفيه .

(٢) إن وصف المحدثين لهزمة بين بين بأنها عبارة عن حركة تحل محل الهمزة ، ليس شيئاً جديداً ، بل هو رأى قديم كان يقول به أبو عبيدة ويحكيه ، قال أبو إسحاق الزجاج : « وحكى أبو عبيدة أن أبا عمرو كان يجعل مكان الهمزة الأولى كسرة فى (البغاء إن) وضمة فى (أولياء أولئك) . وأبو عبيدة لا يحكى إلا ما سمع لأنه الثقة المأمون عند العلماء ، إلا أنه لا يضبط مثل هذا الموضع ؛ لأن الذى قاله محال ، لأن الهمزة إذا سقطت ، وأبدلت منها كسرة أو ضمة - على ما وصف - بقيت الحركتان فى غير حرف ، وهذا محال ؛ لأن الحركة لا تكون فى غير محرك » ^(٣) قال أبو إسحاق : « والذى حكيناه أنفاً رواية سيبويه عن أبى عمرو ، وهو أضبط لهذا » ^(٤).

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ١٠٥ .

(٢) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص ٢٤٨ . [ص ٣٢٣ اللهجات العربية فى التراث] .

(٣) معانى القرآن وإعراجه للزجاج ج ١ ص ٤٣ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤٤ .

(٣) إن مثل هذا المحذور الذى رتبته الزجاجة على ما حكاه أبو عبيدة ، يترتب على قول المُحدِّثين ، وفى تعبير أوضح وأدل على المراد نلاحظ أن القول بنفى همزة بين بين وإحلال الحركة أو المزدوج محلها ، يؤدى إلى الخروج على النظام المقطعى فى كثير مما أثر عن العرب من أشعار ، فالأبيات الثلاثة التى ذكرناها قريباً وفيها الهمزة الثانية مسهلة بين بين فى (أ أن زم) و(أ أن رأ) وفى (بمنسأة) ، لو كانت هذه الهمزة عبارة عن حركة ، لكان المقطع الثانى فى (أ أن) مبدوءاً بحركة ، ولكان المقطع الرابع فى (بمنسأة) مبدوءاً بالحركة - أيضاً - بل عبارة عن حركة . . فهل يوجد مثل ذلك فى نظام المقاطع العربية؟؟ ، وهل يوجد فيها مقطع يتكون من حركة فقط؟؟ .

(٤) إن همزة بين بين لا تتكون فى الموضع الذى بين الحلق وجوف الفم - كما قال الدكتور الجندى - ، وإنما تتكون فى نفس الموضع الذى تتكون فيه الهمزة الأصلية ، وكل ما بينهما من فرق هو أن الاحتباس يحدث مع الهمزة الأصلية ، أما مع الهمزة المسهلة بين بين ، فيكون إقفال الأوتار الصوتية إقفالاً تقريبياً ، وفى حالة التسهيل هذه ، يحدث الجهر ، ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية ، بل تضيق حنجرى^(١).

* * *

ثانياً : التسهيل بالإبدال :

ذكرنا أن تسهيل الهمزة بالإبدال يأتى فى المرتبة الثانية بعد تسهيل الهمزة بين بين ، ونذكر - هنا - أن الهمزة « إنما تخفف بالبذل إذا امتنع تخفيفها بين بين كما لا تخفف بالحذف إلا إذا امتنع تخفيفها بين بين ، وبالبذل فهذه طريقة تخفيفها على القياس ، فإذا خففت بالحذف حيث يجوز البذل أو بين بين فهو من التخفيف الشاذ الذى لا يقاس عليه »^(٢).

وكذلك إذا خففت بالإبدال حيث يجوز بين بين يكون التخفيف شاذاً ، وسوف نقتصر - هنا - على بيان المواضع القياسية وغير القياسية التى تسهل الهمزة فيها

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٩٧ - د. تمام حسان .

(٢) كتاب الإقاع فى القراءات السبع لابن الباذش ورقة ٨٣ من المصورة بدار الكتب رقم (١٩٦٦ب) - وانظر المطبوع منه ص ٢٧٠ تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيلى .

بالإبدال ، تاركين الحديث عن علاقة الهمزة بالحروف التي تبدل منها إلى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

أ - المواضع القياسية :

(١) إذا كانت الهمزة مفتوحة ، وكان قبلها حرف مكسور ، فإنك تبدل مكانها ياء في التخفيف ، وذلك قولك في المِثْر : مِير ، وفي يريد أن يقرئك : يقرِيك . ومن ذلك : من غلام يبيك إذا أردت : من غلام أبيك^(١) .

(٢) إذا كانت الهمزة مفتوحة ، وكان قبلها ضمة ، وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واواً ، كما أبدلت مكانها ياء حيث كان ما قبلها مكسوراً ، وذلك قولك في (التؤدة) : تُوْدَة . وفي (الجُون) : جُون ، وتقول : غلامٌ ويك إذا أردت : غلام أبيك^(٢) .

ولا يجوز في الموضعين السابقين التسهيل بين بين ، لأنها - حينئذ - تقرب من الألف ، لأنها مفتوحة ، والألف لا يكون ما قبلها مضموماً ولا مكسوراً ، ولا يجوز الحذف فيهما ، لأن ما قبلهما متحرك ، والحذف لا يكون إلا بعد الساكن ، حتى يمكن إلقاء حركة الهمزة عليه^(٣) .

(٣) إذا كانت الهمزة ساكنة ، وقبلها فتحة ، فأردت أن تخفف ، أبدلت مكانها ألفاً ، وذلك قولك في رأس ، وبأس ، وقرأت : راس وباس وقرات^(٤) .

(١) كتاب سيويه ج ٣ ص ٥٤٣ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

(٢) انظر الموضع السابق.

(٣) بتلخيص من الموضع السابق.

(٤) وقد جاء هذا التخفيف بالإبدال على وجه القياس في شعر حبيب بن أوس الذي رفض فيه

إجابة المهلب بن أبي صفرة إلى طلب القتال في معركة غير متكافئة - يقول حبيب :

يقول لي الأمير بغير علم تقدم حين جد به المراس

فمالي إن أظعتك من حياة ومالي غير هذا الرأس راس

(الكامل للمبرد ٢٢١/٣) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع من دون تاريخ .

وجاء في بيت جندل :

بالكاس والأيدى دمُ البوائج

والكاس فيه مخفف من الكأس بالهمز على جهة القياس . وفي حديث عمر بن الخطاب لأجعلنَّ

الناس باجاً واحداً أى طريقة واحدة في العطاء ، ذكره ابن منظور في مادة (بأج)، والبأج =

وإن كان ما قبلها مضمومًا ، فأردت أن تخفف ، أبدلت مكانها واوًا ، وذلك قولك : - فى الجؤنة والبؤس والمؤمن : الجؤنة والبؤس والمؤمن .

وإن كان ما قبلها مكسورًا أبدلت مكانها ياء ... وذلك قولك فى الذئب والمثرة : ذيب وميرة^(١) . وحكم المنفصل فى ذلك كحكم المتصل ، فمن ذلك قوله تعالى : (إلى الهداتنا) (يقولون لى) (الذيتمن) فى ﴿ أَلْهَدَىٰ آتَيْنَا ﴾ (الأنعام: ٧١) ، ﴿ يَقُولُ أَتَذَن لِي ﴾ (التوبة: ٤٩) ، ﴿ الَّذِي أَوْثَمِنَ ﴾ (البقرة: ٢٨٣) ^(٢) ، ولا يجوز فى الهمزة الساكنة أن تجعل بين بين ، لأنه ليست لها حركة حتى تجعل بينها وبين حركتها ، ولا يجوز فيها الحذف لعدم وجود ما يدل عليها إذا حذفت .

(٤) إذا كانت الهمزة متحركة بعد واو أو ياء زائدة ساكنة ، لم تلحق لتلحق بناء ، وكانت مدة فى الاسم ، والحركة التى قبلها بمنزلة الألف ، أبدل مكانها واو إن كانت بعد واو - وياء إن كانت بعد ياء وأدغمتا ، وذلك قولك فى (خطيئة) : خطيئة ، وفى النسيء : النسيء يا فتى ، وفى مقروء ومقروءة : هذا مقروء وهذه مقروءة ، ويلحق بهذا الموضع الهمزة الواقعة بعد ياء التصغير ، لأنها لا تتحرك أبدًا ، فهى بمنزلة المد الزائد لمحض الإشباع ، وذلك نحو قولك فى أفيئس - تصغير أفؤس - « جمع فأس » : أفيئس^(٣) ، ولا يجوز التسهيل بين بين فى هذا الموضع لثلا يلتقى الساكن (حرف المد) مع شبه الساكن (بين بين) ولا يجوز الحذف لأن حرف المد لا يتحمل الحركة .

= أصله بالفارسية (باها) أى ألوان الأطعمة ، ويقال أول من تكلم به عثمان رضي الله عنه ، ومثله الجاش ، والفاس ، والكاس ، الرأس ، وذكره ابن منظور أيضا (ب و ح) وفيه : قال ابن سيده : حكاه أبو زيد غير مهموز ، وحكاه ابن السكيت مهموزا .

(١) انظر كتاب سيبويه ج ٣ ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، والكامل للمبرد ٨٠/٢ .

(٢) انظر ابن يعيش ج ٩ ص ١٠٨ .

(٣) مع بعض تلخيص من سيبويه ج ٣ ص ٥٤٧ .

(٥) تبدل الهمزة المكسورة بعد الضم واوًا ، والهمزة المضمومة بعد الكسر ياء على مقتضى القياس عند الأخفش خلافًا لسيبويه ، وقد سبق أن ذكرنا الخلاف بينهما وحجة كل منهما^(١).

ب - المواضع غير القياسية :

هذه المواضع تشمل كل همزة أبدلت ، وكان قياسها الحذف أو بين بين أو الإبدال على وجه آخر ، ويمكن تصنيف هذه المواضع إلى ما يأتي^(٢) :

(١) إبدال قصت به ضرورة الشعر : وهو الذى لو لم يرتكبه الشاعر لانكسر البيت الشعري ، وفسد الوزن العروضي ، ومن الشواهد التى ذكرها سيبويه لهذا اللون من الإبدال قول الفرزدق :

راحت بمسلمة البغال عشية فارعى فزارة لا هناك المرتع^(٣)

ولم يزد سيبويه على أن قال : فأبدل الألف مكانها (أى مكان الهمزة فى هناك) ولو جعلها بين بين لانكسر البيت^(٤) ، ولتوضيح ذلك نقول : إن هذا البيت من بحر الكامل ، وأجزاؤه (متفاعلن : ست مرات) ، والهمزة فى قوله (لا هناك) الأصل فيها أن تكون متحركة بالفتح ، ولكنها تقابل فى الوزن العروضي النون من (متفاعلن)

(١) انظر المواضع القياسية لهمزة بين بين رقم (ب) مما سبق فى ص ٤٨ وما بعدها.
(٢) هذا التصنيف قريب مما ذكره المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار فى كتابه «من مباحث الهمزة العربية» ص ٤٠.

(٣) هو فى الكتاب لسيبويه ج ٣ ص ٥٥٤ ، والمقتضب ١/١٦٧ ، والكامل ٢/٨٠ ، والخصائص ٣/١٥٢ ، والمحتسب ٢/١٧٣ ، وشرح المفصل ٤/١٢٢ - ٩/١١١ ، وشرح شواهد الشافية ٤/٣٣٧ وهو دعاء على قبيلة فزارة ألا تهنا بولاية عمر بن هبيرة الفزاري على العراق بعد عزل مسلمة بن عبد الملك ، وقد راحت به بغال البريد إلى حيث يقيم بعد العزل. والفرزدق تميمي ليس من لهجته تخفيف الهمزة ، لكنه اضطر إليه ، فأبدل الهمزة المفتوحة بعد فتح ألفًا ، ولم يسلك طريق القياس فى التخفيف وهو بين بين ؛ لئلا ينكسر البيت.

(٤) الكتاب لسيبويه ج ٣ ص ٥٥٤ .

والنون ساكنة أبداً ولا يمكن تحريكها ، فكان الشاعر مضطراً إلى تخفيف الهمزة ، والعدول عن القياس فيها وهو بين بين - لأن همزة بين بين متحركة على القول الصحيح - إلى الإبدال حرفاً من جنس حركة ما قبلها وهو الألف ، حتى يستقيم الوزن العروضي . ومن الشواهد - أيضاً - قول حسان بن ثابت :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما قالت ولم تصب^(١)
والأصل فيه (سألت) بالهمزة المفتوحة، لكن لما كان هذا البيت من بحر البسيط، وكانت الهمزة تقابل السين من (مستفعلن) وهي ساكنة أبداً ولا تقبل الحركة ، اضطر الشاعر إلى إبدالها ألفاً على غير القياس فيها ، لئلا ينكسر الوزن العروضي .

ومنها قول القرشي زيد بن عمرو بن نفيل :

سالتاني الطلاق إذ رأيتاني قل مالي قد جئتماني بنكر^(٢)
والأصل (سألتاني) لكن هذا البيت من بحر الخفيف ، وأجزاؤه : (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) مكررة ، فاضطر الشاعر إلى إبدال الهمزة ألفاً ، لأنها تقابل ألف (فاعلاتن) - ثانی السبب الخفيف - وهي لا يمكن تحريكها ، ومن شواهد

(١) البيت من البسيط ، قاله حسان بن ثابت ، وهو في ملحق ديوانه ٣٧٣ وفيه (بما جاءت) مكان (بما قالت) ، وفي الكتاب ٤٦٨/٣ ، ٥٥٥ والمقتضب ١٦٧/١ ، والحجة لأبي على الفارسي ١٦٩/٢ ، والمحتسب ٩٠/١ ، وشرح ابن يعيش ١١٤/٩ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي ٣٤١ ، والممتع ٤٠٥ ، والمخصص ٢١٨/١٢ ، والدر المصون ٣٧٣/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٨ ويرى أيضاً (بما سألت) و(بما جاءت) مكان (بما قالت) ، والبيان في مقاصد القرآن للقنوجي ٢١٩ (رسالة ماجستير).

(٢) البيت في الكتاب لسيبويه ٥٥٥/٣ ، وهو في شرح شواهد الشافية ٣٣٩/٤ ، وخزانة الأدب ٩٧/٣ والهمع ١٠٦/٢ - وقبله :

تلك عرسائ تنطقان بهجر
وتقولان قول زور وهجر
وعرسائ: مثني العرس بالكسر وهي الزوجة.
وقد أبدل الشاعر الهمزة في (سألتاني) ألفاً لئلا ينكسر وزن البيت.

سيبويه - أيضاً - قول عبدالرحمن بن حسان بن ثابت (من بحر الوافر) :

وكنيت أذلّ من وتد بقاع يُشجّج رأسه بالفهر واجي^(١)
وأصله (بالفهر واجي) أى : يشجّج واجيُّ رأسه ، وهذه الهمزة المضمومة بعد
الكسر حكمها أن تسهل بين بين على القياس عند سيبويه ، لكن لما كان هذا البيت
من بحر الوافر ووزنه :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْ مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْ

وكانت الهمزة المتحركة فى (واجي) تقابل اللام فى التفعيلة الأخيرة وهى
ساكنة ، اضطر الشاعر إلى إبدالها ياء ، لضرورة الشعر وإقامة الوزن العروضى .

هذا رأى سيبويه - كما يفهم من كلامه ، لكن شيخ الإسلام « زكريا الأنصارى »
علق على هذا البيت بما يخالف رأى سيبويه فقال : « وأما إبدالها ياء فى قول الشاعر :

وكنيت أذلّ من وتد إلخ

فعلى القياس لسكونها للوقف خلافاً لسيبويه فى قوله : إنه على خلاف
القياس^(٢) . وكذلك رأى الرضى فى شرح الشافية^(٣) ، وابن يعيش فى شرح
المفصل^(٤) ، والذى يبدو أن الأمر - كما قال سيبويه - ، لأن الجيم هى الروى فى
القصيدة ؛ إذ لو وقف على الهمزة المخففة لكانت الياء هى الروى ، لأن المخففة

(١) البيت فى الكتاب ٥٥٥/٣ والكامل للمبرد ١٧٩/١ ، ٨٢/٢ ، والخصائص ١٥٢/٣ ، وشرح
المفصل ١١١/٩ ، ١١٤ ، وشرح شواهد الشافية ٣٤١/٤ وفيه يخاطب عبد الرحمن بن حسان
عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى حينما افتخر الثانى على الأول بأن الخلافة فى قریش
ولست فى الأنصار ، فأجابه الأول بأنه لولا مكانه من الخلفاء لكان فى موضع الذلة والهوان .
ويشجّج: مبالغة فى يشج رأسه إذا جرحه وشق لحمه .

والفهر : الحجر ملء الكف. والواجي: الذى يدق ، اسم فاعل من وجأت عنقه إذا ضربته. وهو
شاهد على إبدال الهمزة من (واجي) ياء ؛ لئلا ينكسر وزن البيت - وفيه أقوال أخرى ذكرها
البغدادى فى شرح شواهد الشافية.

(٢) مناهج الكافية فى شروح الشافية ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٥٠ .

(٤) شرح ابن يعيش ج ٩ ص ١١٤ .

تخفيفاً قياسياً في حكم المحققة ، إذن فالروى هو الجيم^(١) ويجب أن تكون الياء في (واجى) ياء محضة ، أبدلت من الهمزة إبدالاً غير قياسى ، ولا يكون فيها شائبة التخفيف^(٢) ، (أى القياسى) . ويفهم من ذلك أن الهمزة عند سيبويه تبدل لضرورة الشعر ألفاً بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة ، وواواً بعد الضمة ، ما دامت متحركة أياً كانت حركتها ، فقد رأينا أن الهمزة المضمومة في (واجى) أبدلت ياء من أجل الكسرة قبلها للضرورة عنده ، وهذا يفهم - أيضاً - من عبارته المطلقة «واعلم أن الهمزة التى يحقق أمثالها أهل التحقيق من بنى تميم ، وأهل الحجاز ، وتجعل فى لغة أهل التخفيف بين يمين تبدل مكانها الألف ، إذا كان ما قبلها مفتوحاً ، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً ، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً ، وليس ذا بقياس متلب (أى لازم) نحو ما ذكرنا ، وإنما يحفظ عن العرب . . . إلى أن قال : «وقد يجوز فى ذا كله البديل حتى يكون قياساً متلباً إذا اضطر الشاعر»^(٣).

أما ابن يعيش فقد قيد هذا اللون من الإبدال بأن تتوافق حركة الهمزة مع الحركة قبلها ، فقال : «وقوم من العرب يبدلون من هذه الهمزات التى تكون بين بين حروف لين ، فيبدلون من المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفاً ، فيقولون فى (سأل) : (سال) وفى (قرأ) (قرا) وفى (منسأة) : (منساة) ، ومن المضمومة المضموم ما قبلها واواً ، ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء ، وذلك شاذ ليس بمطرّد كما قال سيبويه . . . وإنما باب ذلك الشعر ضرورة»^(٤). وقد تابعه فى هذا التقييد الرضى فى شرح الشافية ، واستدرك عليه أنه لم يقيد الواو والياء المقلوب إليهما بالسكون ،

(١) نعم الروى فى القصيدة الجيم ، وذلك واضح فى الأبيات التى قبل هذا البيت :

وأما قولك الخلفاء منا فهم منعوا وريدك من ودا ج

ولولا هم لكنت كحوت بحر هوى فى مظلم الغمرات داجى

وكنت أذل من وتد بقاع يشجع رأسه بالفهر واجى

(٢) انظر من مباحث الهمزة فى العربية ص ٤١ ، ص ٤٢.

(٣) كتاب سيبويه ج ٣ ص ٥٥٣ ، ٥٥٤.

(٤) شرح ابن يعيش ج ٩ ص ١١٢ ، ١١٣ .

والأولى أن يقول : ياء ساكنة ، وواواً ساكنة ، كما قدمنا ، فعلى هذا لا يقلب (لؤم) و(سئم) ألفاً لا فى الضرورة ولا فى غيرها ، وكذا لا يقلب نحو (مستهزئون) و(مائة) ياء ساكنة ، ونحو : (سئل) و(مؤجل) وواواً ساكنة^(١) .

ويبدو أن الحق فى جانب سيبويه ، لأن بعض الشواهد التى أبدلت فيها الهمزة للضرورة تؤيد ما ذهب إليه ، وقد ذكرنا بيت عبد الرحمن بن حسان قريباً ، وهو مؤيد لإطلاقه فى أن الهمزة تبدل ياء بعد الكسرة وإن لم تكن مكسورة ، ومثل هذا قول جبار بن جزء بن ضرار :

رب ابن عم لسليمى مُشْمَلٌ يحبه القوم وتشناه الإبل^(٢)
وإنما هو (تشنؤه) ، أبدلت فيه الهمزة بعد الفتحة ألفاً ، مع أنها ليست مفتوحة^(٣) . ومما يؤيد إطلاق سيبويه - أيضاً - قول البحترى كما جاء فى عبث الوليد (من بحر الخفيف) :

أجد النار تستعار من النار وينشو من سُقْم عينك سقمى^(٤)
والأصل فيه : (وينشأ) ، لكن الشاعر أبدل الهمزة ألفاً لضرورة الشعر ، لأنها تقابل النون من (فاعلاتن) ثم حولها إلى الواو بعد أن ضم ما قبلها^(٥) .
(٢) إبدال فى غير مكانه : وهو ما أبدلت فيه الهمزة فى غير ضرورة الشعر ، وكان قياسها بين بين أو الحذف .

(١) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٥٠ .

(٢) البيتان من الرجز ، نسبهما الأعلام إلى الشماخ ، والصحيح نسبتهما إلى ابن أخيه جبار ، كما فى ديوان الشماخ ١٠٩ ، والكتاب ١٧٧/١ (الهامش) ، وينظر : الكامل للمبرد ١١٦/١ ، ومجالس نعلب ١٢٦/١ ، وشرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى ١٦٨ ، والمخصص ٣٧/٣ ، ورسالة الملائكة ١٩٨ ، وخزانة الأدب ١٧٣/٢ ، ٢٣٣/٤ .

(٣) انظر : من مباحث الهمزة العربية ص ٤١ .

(٤) انظر : عبث الوليد ص ٢٠٥ شرح أبى العلاء وتصحيح محمد عبدالله المدنى .

(٥) وفى لسان العرب ٤٤٣٤/٦ : وحكى قطرب : نشا ينشو لغة فى نشأ ينشأ ، وليس عنده على التحويل .

أ - ومن الأمثلة التي أبدلت فيها الهمزة ، وكان حقها بين بين ، قولهم : (منساء) في (المنساء) ، وقولهم : (سال) في (سأل) ، وقد جاء ذلك في القراءات القرآنية ، ففي اللفظ الأول قال ابن خالويه : - في قوله تعالى : ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ ﴾ (سبأ: ١٤) يقرأ بالهمز وتركه ، فالحجة لمن همز أنه أتى باللفظ على أصل الاشتقاق ؛ لأن العصا سميت بذلك لأن الراعى ينسئ بها الإبل عن الحوض ، أى يؤخرها ، والحجة لمن ترك الهمز أنه أراد التخفيف^(١) ، والقراءة بالإبدال لنافع وأبى عمرو وأبى جعفر^(٢) . وفي اللفظ الثانى : قال ابن خالويه - في قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج: ١) : يقرآن بإثبات الهمز وطرحه ، فالحجة لمن همز أنه أتى به على الأصل ، والحجة لمن ترك الهمز أنه أراد التخفيف^(٣) . والقراءة بالإبدال - في هذا اللفظ - لنافع وابن عامر وأبى جعفر^(٤) .

هذا . . . وتوجد لهذا اللون من الإبدال أمثلة كثيرة في القراءات ، وسوف نرجئ ذلك لفصول مقبلة إن شاء الله تعالى .

وقد يلتزم هذا اللون من الإبدال فى بعض الكلمات ، ومن ذلك قولهم : فى جمع (ذوابة) : (ذوائب) ، وأصل الجمع : ذائب ، فأبدلوا من الهمزة الأولى وأوآ فراراً من اجتماع المتشابهات (همزتين بينهما ألف)؛ ويظهر أنهم جاءوا بالجمع على التخفيف هكذا مشاكلة للواحد المخفف (ذوابة) والتزموه ، وهذا على غير قياس ، ولو جرى على مهيح القياس للحق التخفيف الهمزة الثانية لا الأولى ، فإنها هى التى يحصل بها الثقل^(٥) ، ولكان التخفيف بالتسهيل بين بين .

ب - ومما أبدلت فيه الهمزة ، والقياس فيه الحذف ، قولهم فى (الكَمَاة) و(المَرَاة) : الكَمَاة ، والمَرَاة ، والإبدال - هنا - على غير القياس ، لأن الهمزة المتحركة المسبوقه بساكن صحيح ، قياس تخفيفها الحذف كما سيأتى .

(١) الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص ٢٩٣ .

(٢) تقريب النشر فى القراءات العشر ص ١٦٢ .

(٣) الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص ٣٥٢ .

(٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر فى القراءات ص ٤٢٣ .

(٥) لغويات الشيخ محمد على النجار ص ٧ لا تبصرف .

ولعدم قياسية ذلك الإبدال ، قال عنه سيبويه : « ومثله قليل »^(١) وقال أبو سعيد السيرافي : إن ذلك لا يطرد عند البصريين ، وحكى أن الكسائي والقراء طرداه ، وإنما قاسه الكوفيون جرياً على مذهبهم فى بناء القواعد على ما قل « وندر »^(٢) ، ويصلح شاهداً على ذلك الإبدال قول البحتري (الطويل) :

ولو كان ما خُبِّرته أو ظَنَنْتَه لما كان غَرُوا أن ألوم وتُكْرَمَا^(٣)

والأصل : أن ألوم ، فالهمزة تقابل الواو من (فعولن) وهى ساكنة فخففت الهمزة بإبدالها واواً ساكنة بعد نقل حركتها إلى اللام ، فصارت (ألوم) ، وذلك لضرورة الشعر . ومن الإبدال فى غير مكانه أنه يقال على مذهب الكوفيين فى (مَلَأَ) : (ملاك)^(٤) ، أما القياس عند البصريين فى تخفيفه فهو (ملك) لا غير . وهو الصحيح لوروده فى القرآن الكريم .

(٣) إبدال على غير وجهه : ذكرنا أن الهمزة الساكنة إذا سهلت ، أبدلت حرفاً من جنس حركة ما قبلها ، فيقال فى (يثر) و(رأس) و(لوم) : بير ، راس ، لوم ، ولكن هناك ألفاظاً خرجت على هذا القياس فسمع فيها الإبدال على غير هذا الوجه ، فقد جاء فى الارتشاف : « وروى أبو زيد والكوفيون أن من العرب من يبدل الهمزة على حسب إبدالها فى الفعل ، يقول فى (رَفَأَ) مصدر (رَفَأَ) : رَفَواً ، لأنه يقول رَفَوْتُ . وفى (خَبَأَ) مصدر (خَبَأَ) : خَبَيّاً ، لأنه يقول : خَبَيْتُ . وهذا عند سيبويه وسائر البصريين ردى لا يطرد »^(٥) ، ويبدو أن الألفاظ التى ورد فيها الإبدال على هذا النحو قليلة ، ويوقف فيها عند حد المسموع عن العرب ، فإذا حكى لنا صاحب تاج العروس^(٦) : أن الحسن قال تَوَضَّيْتُ ، فقليل له : أتَلَحَنَ يا أبا سعيد؟ فقال هذه لغة هذيل ، وفيهم نشأت

(١) سيبويه ج ٣/ ٥٤٥.

(٢) شرح التسهيل للمرادى ورقة ٣٦١ من المخطوط بدار الكتب تحت رقم (١٢٦٢ نحو).

(٣) عبث الوليد ص ٢٠٩.

(٤) صحيفة دار العلوم العدد الثالث يناير ١٩٣٥ م ، ص ٣٩.

(٥) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٦٤ ، وقال ابن الجزرى فى النشر ٤٤٥/١ : وذهب جماعة من النحاة إلى جواز إبدال الهمزة المتطرفة فى الوقف من جنس حركتها فى الوصل سواء كانت بعد متحرك أو بعد ساكن وحكوا ذلك سماعاً عن غير الحجازيين من العرب كتميم وقيس وهذيل وغيرهم فيقال : هذا الخبو ، ورأيت الخبا ومررت بالخبي.

(٦) انظر : تاج العروس ج ١ ص ١٣٤.

... عرفنا أن تلك اللهجة خاصة بهذيل ، وهى تخالف التسهيل القياسى فى هذا الفعل الذى هو (توضات) بإبدال الهمزة ألفاً لا ياء . وإذا حكى لنا ابن القطاع فى (بدأت بالشئ) قوله : (وبَدَيْتُ بالشئ ، وبَدَيْتُ به : قدمته ، وهى لغة للأنصار . . .)^(١) عرفنا أن هذه لهجة خاصة بالأنصار ، وهى تخالف التسهيل القياسى فى هذا الفعل الذى هو (بدأت) بالألف لا بالياء .

ومع أن الإبدال على هذا النحو ورد فى ألفاظ معدودة ، وفى لهجات خاصة ، فقد « جعل أبو زيد ذلك قياساً ، وكذلك الكوفيون »^(٢) ويظهر أن المبرد كان يقصدهم بعبارة : « واعلم أن قوماً من النحويين يرون بدل الهمزة من غير علة جائزاً ، فيجيزون (قَرَيْتُ) و(اجْتَزَيْتُ) فى معنى (قرأت) و(اجتزأت) ، وهذا القول لا وجه له عند أحد ممن تصح معرفته ، ولا رسم له عند العرب »^(٣) وأعتقد أن المبرد - فى هذا النص - يريد نفى القياس عن هذا اللون من الإبدال ، ويريد أنه غير شائع عند جمهور العرب المخففين ، وأن ما جاء منه إنما هو لهجات خاصة ، ونحن نؤيده إذا كان هذا مقصوده ، وإلا فإنه قد ورد فى مثل هذه اللهجات التى حكيناها وفى غيرها وسوف نعود إلى الحديث عن ذلك الإبدال عندما نعرض للقراءات إن شاء الله تعالى .

(٤) إبدال فى غير مكانه وعلى غير وجهه : الهمزة المتحركة إذا سكن ما قبلها ، وأزيد تخفيفها ، نقلت حركتها إلى الساكن قبلها ، وحذفت على مقتضى القياس ، فيقال فى تخفيف لفظتى : (الأحمر ، والأرض) : أَلَحْمَرُ وَالرَّضُ ، أو : لَحْمَرٌ وَلَرَضٌ ، وسنعرض لتفصيل هذه المسألة قريباً ، والذى نقصده - هنا - أن هاتين اللفظتين قد ورد فيهما التسهيل على وجه آخر ، فقد سهلتا بالإبدال فى مكان الحذف ، وبالقرب إلى حرف صحيح وهو اللام ، والوجه أن الهمزة تبدل إلى حرف مد أو لين لا إلى حرف صحيح ، قال ابن يعيش :

(١) كتاب الأفعال لابن القطاع ص ٩٩ . ط: أولى حيدر أباد ١٣٦٠هـ .

(٢) من مباحث الهمزة فى العربية ص ٤٣ .

(٣) المقتضب للمبرد ج ١ ص ١٦٥ .

« وحكى الكسائي والفراء أن من العرب من يقلب الهمزة لا ما فى مثل هذا ، فيقول : اللَّحْمَر فى (الأحمر) واللَّرى فى (الأرض) ، وكأن أهل هذه اللغة تنكبوا عن تحريك هذه اللام ، فقلّبوا الهمزة من جنس اللام كما قالوا : فى لو : لَوًّا ؛ إذا جعلوها اسمًا ، فيزيدون واوًا من جنس الواو^(١) .

وهذا اللون من الإبدال - وإن نسب إلى العرب - لا يرقى إلى درجة القياس ، ولا يعدو أن يكون من اللهجات الخاصة ببعض القبائل العربية التى تميل إلى التخلص من الهمزة ، لذا لا يصح القياس عليه ، ويوقف عند حد المسموع منه ، ويلاحظ أن إبدال الهمزة إلى الحرف الصحيح ، قد يكون إلى غير اللام ، وفى غير الموضع الذى بعد لام التعريف ، وهذا نص ما علق به الأب «أنستاس الكرملى» على لفظة «نَسْطَاس» المعربة عن اليونانية «أَسْطَاس» ، قال : «أى أن الهمزة جعلت نونًا على لغة بعضهم ، لغة أولئك الذين يقلّبون الهمزة نونًا أو بالعكس ، وذلك فى أى موقع وقعت فى الصدر أم القلب أم العجز ، فقد قالوا : أبهه ونَبَّهه ، والزَّئْجِيل والزَّئْجِيل والظَّرْبَاء والظَّرْبَان إلى غيرها^(٢).....

(٥) إبدال لا تجيزه العربية : تقول العامة : تايب وبايح وقايل وصايم ونحو ذلك ، فيبدلون من الهمزة فى اسم الفاعل من الأجوف ياء ، سواء أكانت عينه واوًا أم ياء ، وقد يرد عنهم الوجهان الواو والياء فى اسم الفاعل من الواوى ، يقولون : عاوز وعاييز من : عاز يعوز^(٣) .

وهذا اللون من الإبدال لم يجوزه أحد من النحويين ، ولو على سبيل الشذوذ ، بل عدوه من قبيل الخطأ واللحن ، قال الأشمونى : « يكتب نحو قائل ، وبائع بالياء على حكم التخفيف ، لأن قياس الهمزة فى ذلك أن تسهل بين الهمزة والياء ، فلذلك كتبت ياء ، وأما إبدال الهمزة فى ذلك ياء محضة ، فنصوا على أنه لحن ، وكذلك تصحيح الياء فى بائع ، ولو جاز تصحيح الياء فى (بائع) لجاز تصحيح

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ١١٦ .

(٢) نشوء العربية ونموها واكتهاها ص ٤٧ .

(٣) من مباحث الهمزة فى العربية ص ٤٥ .

الواو فى (قائل) ، ومن ثم امتنع نقط الياء من قائل وبائع ، قال المطرزى : نقط الياء من قائل وبائع عامى»^(١).

أما موقف القراء من هذا الإبدال ، فيكاد يتفق مع موقف النحويين السابق ، وقد عرض لذلك أبو عمرو الدانى حيث أورد عن ابن كثير الرواية الآتية : « حدثنا الفارسى قال : حدثنا أبو طاهر قال : حدثنا الخزاعى عن أصحابه الثلاثة ، عن ابن كثير أنه لم يهزم فاعلاً ولا فاعلين ولا فاعلات من ذوات الواو والياء ، نحو قوله : خائفين والقائمين والصائمين ، وخائف وقائم وضائق والصائمات وما أشبه»^(٢) ، وقد عقب على هذه الرواية بعد أسطر فقال : ولا أعلم أحداً من أهل الأداء أخذ فى مذهبه بما حكاه الخزاعى إلا الزينى وحده ، فإنه كان يأخذه ويحكيه من قراءته عليه ، وكان اختياره الهمز^(٣) . وربما كان أبو عمرو يقصد من التنبيه على انفراد الزينى بحكاية هذا الإبدال وقراءته به وحده التنبيه على أنه وجه ضعيف جداً ، وقد صرح ابن الجزرى بضعفه بل بفساده ، فقال : « فأما إبدال الهمزة ياء فى مثل خائفين وجائر وأولئك ، وإبدالها واواً فى نحو : أبناؤكم ، وأجباؤه ، فإنى تتبعته من كتب القراءات ونصوص الأئمة ومن يعتبر قولهم ، فلم أر أحداً ذكره ، ولا نص عليه ولا صرح به ولا أفهمه كلامه ولا دلت عليه إشارة ، سوى أبى بكر بن مهران ، فإنه ذكر فى كتابه فى وقف حمزة وجهان فى نحو : (تائبات) بإبدال الهمزة إلى الياء وفى نحو : (رءوف) بإبدال الهمزة إلى الواو ، ورأيت أبا على الأهوازى فى كتابه الإيضاح ، حكى هذا عن شيخه أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى وقال : ولم أر أحداً ذكره ولا حكاه من جميع من لقيت غيره . قلت : « أى قال ابن الجزرى » : ثم إنى راجعت كتاب الطبرى وهو الاستبصار فلم أره حكى فى جميع ذلك سوى بين بين لا غير . والقصد أن إبدال الهمزة إلى الياء والواو محضتين فى ذلك هو مما لم تجزه العريية ، بل نص أئمتها على أنه من اللحن

(١) شرح الأشموني ج ٤ ص ٢٨٨.

(٢) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١١١ - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) المرجع السابق نفس الموضع .

الذى لم يأت فى لغة العرب ، وإن تكلمت به النبط ، وإنما الجائز من ذلك هو بين بين لا غير»^(١).

ومع ذلك كله وجدنا من المُحدِّثين من يجوز هذا الإبدال ، قال الشيخ نصر الهورينى : « وأما ما يجوز إبداله ياء محضة ، فيجوز نقطه مثل مائة وفئة ورثة والأئمة ، نعم إذا كان قبلها ألف مسبوقه بالهمزة نحو : آيل ، وآيس ، وآيب ، تبدل ياء حقيقة بمقتضى القياس الصرفى ، نظيره ما قالوه فى جمع (ذؤابة) على (ذؤائب) حيث لم يجمعوه على أصله (ذآئب) ، وقد ورد من حديث الصحيحين قوله ﷺ : (آيئون تأيئون عابدون) ولم يروه أحد بالهمز »^(٢) وقد عقب الشيخ محمد على النجار على هذا النص بما يمكن إيجازه فى الآتى : -

(١) إن الياء لما صحت فى الفعل (آيس) صحت فى اسم الفاعل (آيس) مثل : عور ، وصيد ، اللذين يقال فيهما : عاور ، وصايد .

(٢) قوله : إن الهمزة فى آئب تبدل ياء حقيقة بمقتضى القياس الصرفى . . تنفيه النصوص المتقدمة عن النشر والأشمونى .

(٣) هناك فارق كبير بين آئب وذؤائب التى أصلها ذآئب ، لأن الهمزة المبدلة فى اللفظة الأولى هى الثانية ، وفى اللفظة الأخيرة هى الأولى ، وهى مبدلة فى الجمع ذؤائب لمشكلة المفردة ذؤابة بالتخفيف ، وذلك على غير قياس ، فلا محل للتنظير .

(٤) قوله : « إن الرواية جاءت فى الحديث بالياء فى (آيئون) لم يصرح به أحد من العلماء . قال الشيخ النجار : « وقد رجعت إلى شرح ابن حجر والعينى على البخارى فوجدت فى شرح العينى المطبوع فى القسطنطينية (آئبون) هكنا بالهمزة ، وفى شرح ابن حجر (آيئون) بالياء ، ورأيت هكنا فى شرح النووى لمسلم ، وكأن ما فى ابن حجر وغيره من رسم آيئون بالياء هو الذى دعا صاحب المطالع إلى أن يرى أن رواية الحديث بالياء بناء على أن صورة الياء

(١) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٥٤.

(٢) المطالع النصرى ص ٧١ ط: بولاق ، وانظر ص ٦ من لغويات الشيخ النجار.

لا تنقط إلا إذا كانت تقرأ ياء ، فإذا كانت لا تنطق ياء فمن الخطأ نقطها^(١) .
وقد تبع الشيخ حسين والى فى كتابه «الإملاء» طريقة الشيخ نصر الهورينى ،
فقال - فى ص ٢٢٦ - : فى مبحث الياء الواجب إهمالها : «الثنائى الياء
المتوسطة فى نحو : بائع ومساائل ما لم يكن قبل الياء رسماً همزة ، فإن
كانت فقد صح النطق حينئذ بالياء صريحة نحو آيل ، وآيب ، وذلك داع
للقط» . وقد عقب الشيخ النجار مرة أخرى على رأى صاحبى المطالع
والإملاء بقوله : « فقد علمت أنه لم تقم الدلائل البينة على أن النطق قد صح
بالياء فى آئب ، ولا سند لمن ذهب هذا المذهب - فيما أظن - إلا نقط الياء ،
وقد علمت ما فى هذا الدليل من ضعف»^(٢) .

ثم ختم حديثه قائلاً : وكأنى بالقارئ وقد خرج من هذا المقال بالتنبيه على أنه
يلتزم همز آئب وآئل وما انخرط فى سلكهما ، ولا يميل إلى هذا التخفيف الذى
درج عليه الناس ولا يجيزه سماع صحيح ولا قياس^(٣) .

وإذن هذا الإبدال غير وارد ولا جائز فى اللغة الفصحى المشتركة ، ولا يمكن
أن نتخذ من نقط الياء فى بعض الألفاظ دليلاً على قياسيته أو حتى على وروده فى
الفصحى ، لأن النقط يقع فيه التصحيف كثيراً ، وربما كان وجود ذلك الإبدال فى
اللغة العامية التى يتكلم بها العرب الآن ، وانفراد بعض القراء به كالزنى فى رواية
أبى عمرو الدانى ، وأبى بكر بن مهران فى رواية ابن الجزرى - ربما كان ذلك دليلاً
على وجوده فى إحدى اللهجات العربية القديمة غير المشهورة ، وعلى ذلك يكون
تطور همزة بين بين إلى الياء الصريحة فى اسم الفاعل من خصائص بعض
اللهجات العربية القديمة ، وإلا فهو تطور حديث فى لهجاتنا العامية ، والاحتمال
الأول أرجح؛ لأنه يباعد بيننا وبين الطعن فى رواية بعض القراء ويجعل للتطور فى
اللهجات العامية أساساً من اللهجات العربية القديمة .

(١) انظر : لغويات الشيخ النجار ص ٦ ، ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٩ .

(٣) السابق نفسه .

ثالثاً : التسهيل بالحذف :

قلنا إن هذا النوع من أنواع التسهيل يأتي في المرتبة الثالثة بعد تسهيل الهمزة بين بين ، وبعد تخفيفها بالإبدال ، فهو أبلغ مراحل التخفيف ، وأقصى درجاته ، ولا بد في هذا اللون من التسهيل أن يكون ما قبل الهمزة ساكناً يقبل الحركة ، حتى يمكنه أن يتحمل الحركة المنقولة إليه من الهمزة المحذوفة . والتسهيل بالحذف نوعان :-

أولهما : الحذف القياسي ويكون في موضعين^(١) :

(١) أن تقع الهمزة بعد حرف صحيح ساكن ، نحو : يسأل ويجأر والمسألة والخبء والكمأة والمرأة والأحمر وغيرها . فإذا أردت تخفيف الهمزة في هذه الكلمات ألقيت حركتها على الساكن قبلها وحذفتها ، فتصير بعد التخفيف أو التسهيل : يسأل ويجر والمسلة والخب والكمة والمرءة والأحمر أو لحرمر . ولا يجوز هنا التسهيل بين بين أو الإبدال ؛ لأن الحرف الصحيح ساكن ، وهمزة بين بين في حكم الساكن ، وحرف اللين المبدل ساكن ، فالعدول عن الحذف إليهما يؤدي إلى التقاء الساكنين أو شبه الساكن مع الساكن ، وذلك ممنوع ، ومن هنا لم يجز في هذا الموضع إلا التخفيف بالحذف ، وما خالف ذلك يكون خارجاً على القياس .

(٢) أن تقع الهمزة بعد واو أو ياء غير مزيدتين لمحض المد والإشباع ، ويشمل هذا الموضع الصور الآتية :

أ - الهمزة الواقعة بعد الواو والياء الأصليتين نحو : سواة ، وهياة ، ويدعو أباه ، ويرضى أمه ، تقول في تخفيفها : سوة ، وهية ، ويدعو باه ، ويرضى مه ، بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الواو والياء .

ب - الهمزة الواقعة بعد الواو والياء المزيدتين لمعنى الإلحاق ، نحو : جبال وتوأم الملحقين بجعفر ، تقول فيهما : - بعد النقل والحذف - : جبال وتوأم .

(١) لخصناها من كتاب سيبويه ج ٣ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ . ومن شرح المفصل ج ٩ ص ١٠٩ ، ١١٠ . ومن شرح الرضى للشافعية ج ٣ ص ٣٣ ، ٣٤ .

ج- الهمزة الواقعة بعد الواو والياء المزيديتين لغير معنى الإلحاق كالدلالة على الإعراب مثلاً ، نحو : أبو أيوب ، وأبو إسحاق وأبى إسحاق فيقال في تخفيفهما : أبو يُوب ، وأبو سُحاق ، وأبى سُحاق .

أو كالدلالة على المؤنثة وجمع الذكور فى الأفعال ، نحو : اتبعى أمرهم ، واتبعوا أمرهم ، إذ يقال فى تخفيفهما : اتبعى مُرهم واتبعو مُرهم . أو كالدلالة على معنى الجمع والتثنية فى الأسماء ، نحو قاضوايىك ، ومكرمى أيىك ، ونحو : خليلى أيىك ، فتصير بعد التخفيف : قاضويىك ، ومكرمى يىك ، و خليلى يىك .

ولا تستثقل الضمة والكسرة على الياء والواو ، لأنهما حركتان عارضتان ولما كانت الحركة المنقولة عارضة وجدنا أنه لا ينقلب لها الحرف إذا تحرك بها وانفتح ما قبله ، فلا يقال : - مثلاً - فى : جَيْلٌ (مخفف جبال) ، وفى تَوَمٌ (مخفف توأم) : جال وتام ، كما يقال فى قول ويبيع : قال وباع .

الحركة المنقولة وشبهها : -

رغم أن العلماء اتفقوا على أن الحركة المنقولة حركة عارضة ، ولا تستثقل على الواو وإن كانت كسرة ، ولا على الياء وإن كانت ضمة ، ولا ينقلب لها الحرف إذا تحرك بها وانفتح ما قبله - رغم كل ذلك اختلفوا فيها ، هل يعتد بها فتحذف لها همزة الوصل ، أو لا يعتد بها ولا تحذف لها همزة الوصل؟؟ . سنكتفى بإيجاز هذا الخلاف فى المسائل الآتية^(١) : -

أ - مسألة الأحمر : ويقصد بها كل همزة قطع دخلت عليها (أل) مثل الأحمر والأبيض والأحسن والأخدود . . . ونحوها ، فإذا خفت همزة القطع فى هذه الألفاظ حذفت بعد نقل حركتها إلى اللام قبلها ، وذلك التخفيف هو القياس فيها ولا خلاف فيه ، وإنما الخلاف فى همزة الوصل هل تبقى فيقال : الأحمر ، أو لا تبقى فيقال : لحر؟؟ .

(١) من أراد الوقوف على تفصيل الخلاف فيها ، فليرجع إلى رسالة الدكتوراه للدكتور عبدالعظيم الشناوى ، الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب من ص ٢٩٠ إلى ص ٢٩٥ ، وإلى كتاب من مباحث الهمزة فى العربية من ص ٢٦ : ٣١ .

وهذا الخلاف فى بقائها أو عدم بقائها مبنى على الاعتداد بالحركة المنقولة العارضة وعدم الاعتداد بها ، فمن اعتد بها يقول : لَحْمَر ، ويستغنى عن همزة الوصل ، لأنها إنما تدخل على الساكن لا على المتحرك . ومن لم يعتد بها؛ لكونها عارضة ، يقول : أَلَحْمَر - بإبقاء همزة الوصل - وكأن اللام ما زالت ساكنة كما كانت قبل التخفيف ، وهذا الوجه أكثر من الأول .

وتظهر ثمرة الخلاف - أيضاً - فى الاعتداد وعدمه ، فى إبقاء ما حذف لالتقاء الساكنين على حذفه أو رده ، فمن لم يعتد بالحركة العارضة يقول فى حالة التخفيف : (فَلَرَض) ، و(مِنْ لَانَ) دون أن يرد ياء حرف الجر (فى) وسكون (مِنْ) الجارة المحذوفين من أجل التخلص من التقاء الساكنين قبل التخفيف ، ومن يعتد بالحركة العارضة يقول فيهما : (فى لَرَض) و(مِنْ لَانَ) يرد الياء وسكون مِنْ ، لزوال علة حذفهما وهى التخلص من التقاء الساكنين ، وعلى الوجه الأخير جاء قول الشاعر :

فقد كنت تخفى حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذى أنت بائح^(١)

قال ابن جنى : فَأَسْكَنَ الحاء التى كانت متحركة لالتقاء الساكنين فى (بحْ الآن) لما تحركت اللام للتخفيف ، (أى : لام الآن) وعليه قراءة من قرأ : ﴿ قَالُوا أَلَفْنَنَ حَقَّتْ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة: ٧١) - فأثبت واو قالوا لما تحركت لام لان ، والقراءة القوية : (قَالُلَان) بإقرار الواو على حذفها؛ لأن الحركة عارضة للتخفيف^(٢) .

هذا ، وقد ذكر الجعبرى فى حواشى الجاربردى ، أن عدم الاعتداد بحركة اللام العارضة فى إبقاء همزة الوصل بناء على أن أداة التعريف اللام ، هو رأى سيبويه . فأما على رأى الخليل - وهو أن الأداة (أل) وأن الهمزة همزة قطع بدليل فتحها -

(١) البيت من الطويل ، قاله عنترة العبسى ، وهو فى ديوانه ٢٩٨ ، والخصائص ٩٠/٣ ، ورسالة الملائكة ٩٤ ، ولسان العرب (أى ن) والأشباه والنظائر ٥٦/١ ، والمقاصد النحوية ٤٧٨/١ ، وتذكرة النحاة ٣١ ، وشرح الأشمونى ٨١/١ ، وشرح التصريح ١٤٧/١ ، والمعجم المفصل ٧١/٢ .
(٢) انظر : الخصائص ج ٣ ص ٩٠ ، ٩١ .

فإنها تبقى سواء أهمل العارض أم أعتد به . وذهب إلى ذلك - أيضاً - ابن الجزرى فى النشر^(١)، وإذا كان الوجهان واردين فى العربية ، فلا يسع الخليل إنكار حذف الهمزة ابتداء ، فإما أن يبطل مذهبه فى أداة التعريف ، وإما أن يجعل لهمزة القطع حكم همزة الوصل فى كل شيء ، فسواء قلنا أداة التعريف (أل) أو اللام ، فالوجهان جاريان^(٢) .

ب - مسألة الاستغفار والانطلاق ، ويقصد بها كل همزة وصل دخلت عليها (أل) ومعلوم أن همزة الوصل تسقط فى الدرج فيلتقى ساكنان اللام وما يلى همزة الوصل المحذوفة ، وللتخلص من الساكنين حركوا اللام بالكسر على الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين . فقالوا : أَلَسْتَغْفَر ، بإبقاء همزة أل ، بناء على أن حركة التخلص من الساكنين عارضة ، فلا يعتد بها ، ومنهم من يقول : لَسْتَغْفَر بحذف همزة أل بناء على أن حركة التخلص من الساكنين واجبة ويعتد بها . وإلى القول الأول ذهب ابن يعش^(٣) ، وأما الجاربردى فقد ذهب إلى الوجهين كباب الأحمر ، فقال : « والأظهر أن باب الاقتدار والاستغفار كذلك فى جواز أَلَسْتَغْفَر ولَسْتَغْفَر ، وكتب فى حواشيه . . . ويقابل الأظهر فى هذا الباب وجوب الحذف ، لأن حركة اللام لموجب ، وهو التقاء الساكنين بخلافهما فى باب الأحمر فإنها لمجرد التخفيف »^(٤) .

ففى المسألة - إذن - ثلاثة أقوال :

(١) قول بوجوب حذف الهمزة فى الابتداء ، بناء على أن حركة اللام واجبة فأشبهت الحركة الأصلية . . . ولو صح هذا لأعيد الساكن - الذى هو عين

(١) النشر فى القراءات العشر ١/٤١٥ دار الكتب العلمية بيروت ، وانظر : الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب ص ٢٩٢ ، وانظر : من مباحث الهمزة فى العربية ص ٢٨ نقلاً عن حواشى الجاربردى ص ٢٥٨ .

(٢) انظر نفس الموضع من المرجعين السابقين .

(٣) شرح المفصل ج ٩ ص ١١٥ .

(٤) انظر : الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب ص ٢٩٣ ، ومن مباحث الهمزة فى العربية ص ٢٩ نقلاً عن حواشى الجاربردى ص ٢٥٩ .

الفعل المحذوفة - فى نحو : لم يرقم الرجل ، لأن الميم محرقة بحركة واجبة وليست عارضة ، فلا وجه لوجوب حذف العين من الفعل المذكور .

(٢) وقول بوجوب إثبات الهمزة فى الابتداء ، لأن حركة التخلص من الساكنين عارضة .

(٣) وقول بجواز الأمرين مع ترجيح إثباتها قياساً على مسألة (الأحمر) ، وهذا الوجه ليس بقوى ؛ لأن حركة التخفيف لها أصل فى الهمزة المفتوحة ، فمن الجائز أن يعتد بها ، أما حركة التخلص من الساكنين فلا أصل لها ، فلا ينبغى أن يعتد بها ، فالمختار - إذن - هو الرأى الثانى^(١) .

(جـ) فعل الأمر من (سأل) إذا خفف فالمشهور أنه (سَلَّ) بإسقاط همزة الوصل التزاماً ، فلا يقال (إِسَلَّ) إلا عند الأخفش ، وذلك مبنى عند الجمهور على الاعتداد بالحركة المنقولة دائماً ؛ لأن السين لها أصل فى الحركة كما فى سأل ؛ ولأن الحرفين - المنقول منه والمنقول إليه - من كلمة واحدة بخلاف الأحمر ، فإن اللام أصلها السكون ، وهى من كلمة والهمزة من كلمة أخرى ، فجاز ألا يعتد فيها بالحركة المنقولة . أما الأخفش فيظهر أنه لم يفرق بين المسألتين^(٢) ، وكذلك فعل ابن يعيش حيث قال : « ويلزم من قال ألحمر فيثبت الهمزة أن يقول فى اسأل إذا خفف إسَلَّ ، ومن قال : لَحْمَر يلزمه أن يقول : سَلَّ ، إلا أن الأكثر مع لام المعرفة إبقاء ألف الوصل ، وحذفها فى غير ذلك ؛ لأن هذه اللام التى للمعرفة موضوعة على السكون لا تعتورها الحركة إلا بسبب عارض ، فالسكون فيها أقوى^(٣) . ومن البديهي أن رأى الجمهور هو الأرجح لوضوحه ، ولأنه الذى عليه الاستعمال .

(١) بتلخيص من ص ٢٩٣ : الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب .

(٢) انظر: شرح الرضى ج ٣ ص ٤٢ ، ٤٣ ، الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب ص ٢٩٤ ، من مباحث الهمزة ص ٣٠ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١١٥/٩ .

(ثانیهما) الحذف غیر القیاسی :

وهو يشمل كل ما خرج عن ضابط الحذف القیاسی ، ويمكن تصنيفه إلى عدة أنواع :

(١) الحذف فی غیر مكانه :

قد يأتي الحذف فی مكان الإبدال كما فی أفعال الأمر : خُذْ ، كُلْ ، مُرْ وأصلها : اؤخذ ، اؤكل ، اؤمر بهمزيين الأولى مضمومة والثانية ساكنة ولو خففت على القیاس لأبدلت الهمزة الثانية الساكنة واواً ، ولكنهم - كما قال ابن يعيش - : حذفوا الهمزة التي هي فاء تخفيفاً ، لاجتماع الهمزيين فيما يكثر استعماله ، فحينئذ استغنى عن همزة الوصل لزوال الساكن ، وتحرك ما يتلوه به وهو الخاء فی (خذ) والكاف فی (كل) والميم فی (مر) فحذفوها . ووزنه من الفعل (عَلْ) محذوف الفاء ، ولزم هذا الحذف لكثرة استعمال هذه الكلم ، ولذلك جعله صاحب الكتاب غیر قیاسی ، ثم ألزموه فی اثنين دون الثالث ، یعنی فی خذ وكل دون مر ، فإنك تقول فيه : مر ، وأمر . قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾ (طه: ١٣٢) جاء فيه الأمران ، إلا أن الحذف أكثر؛ كأنه لنقصه عن مرتبة خذ ، وكل ، فی كثرة الاستعمال ، فاعرفه^(١).

وقد يأتي الحذف فی مكان التسهيل بين بين ، كما فی الهمزة المتطرفة بعد الألف ، ففي « لغة ضعيفة تحذف الهمزة المتطرفة بعد الألف عند إرادة تخفيفها ، فيقال فی : يشاء وجاء : يشا وجا »^(٢).

ومعلوم مما سبق أن القیاس فی مثل هذه الهمزة أن تسهل بين بين . وقد يكون من ذلك ما حكاه الرضی عن السيرافي بقوله : « قال السيرافي : وما جاء من الشاذ نقل بعضهم حركة الهمزة المنفصلة إلى آخر الكلمة المتحركة بحركة بنائية نحو : قال سحاق ، وقال سامة ، وإن كانت الحركة إعرابية لم ينقل ، فلا نقول : يقول

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ١١٥.

(٢) انظر: صحيفة دار العلوم ص ٣٦ العدد الثالث يناير ١٩٣٥.

سُحاق ، ولن يقولُ سامة ؛ احتراماً لحركة الإعراب . قال : وبعضهم يحذف الهمزة من غير نقل الحركة إلى آخر الكلمة ، فيقول : قالَ سُحاق ، وقالَ سامة ، والأول أجود^(١) .

وهذا الحذف أو ذاك على غير قياس ، لأن الهمزة في المثال الأول مكسورة بعد فتح ، وفي المثال الثاني مضمومة بعد فتح ، وقياسها في الموضعين أن تسهل بين بين لا أن تحذف .

ومن هذا اللون - أيضاً - قولهم في (أرأيت) : أرَيْتَ - بحذف عينه ، وهى همزة مفتوحة مفتوح ما قبلها ، فكان قياسها بين بين ، لكنهم عدلوا عن القياس إلى الحذف ، وقد سمع ذلك في الشعر ، ومنه بيت أبي الأسود :

أَرَيْتَ امراً كنتُ لم أبله أتاني فقال اتخذني خليلاً^(٢)

ومنه بيت إسماعيل بن يسار مولى بنى تيم بن مرة تيم قريش :
صاح هل رَيْتَ أو سمعت براع رَدُّ في الضَّرْع ما قرى في العلاب^(٣)

(١) انظر: شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) البيت من بحر المتقارب ، قائله أبو الأسود الدؤلى ، وهو فى ديوانه ٢٠٣ والأغاني ١٠٧/١١ ، وشرح الشافية ٣٧/٣ ، والخزانة ٤٥٤/٤ - ٤٥٦ ، وهامش الكتاب ١٦٩/١ ، وهامش مجالس نعلب ١٢٣/١ - وفيه يتحدث أبو الأسود عن امرأته التى أسرعت فى ماله ، وأفشت سِرّه ، فجمع أهلها ، وأنشد البيت ، وبعده :

فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لديه فتىلا
والفتية حين جربته كذوب الحديث سروقاً بخيلا

والبيت شاهد على حذف الهمزة التى هى عين الفعل من (أرأيت) على غير القياس ، وعلى ذلك وردت قراءة الكسائى ﴿ أَرَيْتَ الَّذِى يُكْذِبُ بِالَّذِينَ ﴾ . (الماعون: ١) .

(٣) البيت من بحر الخفيف ، قائله إسماعيل بن يسار مولى بنى تيم بن مرة (تيم قريش) من أبيات أولها :

ما على رسم مزلٍ بالجناب لو أبان الغداة رجع الجواب

وهو فى لسان العرب ٩٥٧/٢ ، وفى الجمهرة ٢٢٩/١ قال ابن دريد :

ويروى للحارث بن مضاض الجرهى ، وفى الهامش : عزوه لإسماعيل بن بشار ، ومعنى قرى : جمع . والعلاب : جمع غلبة بضم العين وسكون اللام ، وهى وعاء من جلد أو من خشب ، ويجمع على غلب - والشاهد فيه كاليبت الذى قبله . انظر ٣٨/٣ شرح الرضى على شافية ابن الحاجب .

(٢) الحذف على غير وجهه :

ويندرج تحته ما حكاه سيبويه عن بعض العرب فى الفعلين المضارعين المرفوعين « هو يَجِيكُ وَيَسُوكُ بحذف الهمزة ، ويكره الضم مع الواو والياء»^(١) أى أن الحذف تم بدون نقل حركة الهمزة إلى الياء والواو الساكنين قبلها ، وذلك مخالف لطريقة الحذف القياسى ، ولو جرت العرب على القياس لقلت : هو يَجِيكُ بضم الياء ، وهو يَسُوكُ بضم الواو ، ومن هذا اللون أيضاً قولك : هو يَرْمِ خَوَانَهُ بحذف الهمزة ولا تطرح الكسرة على الياء ولكن تحذف الياء لالتقاء الساكنين^(٢).

(٣) الحذف لضرورة الشعر :

ويدخل فى ذلك كل همزة حذفت فى الشعر ، وكان بقاءها يؤدى إلى فساد الوزن ، ويمكن التمثيل لذلك بما ورد فى لسان العرب من قول الشاعر :

إذا قل مال المرء قل صديقه وأومت إليه بالعيوب الأصابع^(٣)

فقوله : (وأومت) أصلها (وأومت) لكن هذا البيت من بحر الطويل ، و(وأومت) وزنها فعولن ، فكان بقاء الهمزة يؤدى إلى إنكسار الوزن . ومن ذلك - أيضاً - قول الشاعر :

نحن اللذو بعكاظ طيروا شررا من روس قومك ضربا بالعقاقيل^(٤)

فقوله (من روس) أصلها (من رءوس) لكن الشاعر اضطر إلى حذف الهمزة ليستقيم وزن البيت لأنه من بحر البسيط ، وأول تفعيلة من الشطر الثانى (من روسقو) بوزن مستعلن ، فكانت زيادة الهمزة تفسدها .

(١) انظر : سيبويه ج ٣ ص ٥٥٦ .

(٢) المرجع السابق نفس الموضع .

(٣) البيت من الطويل ، بلا نسبة فى اللسان (روى) ، (وما) ، وتاج العروس (وما) ، (ش و ر) ، والمعجم المفصل ٢٥٩/٤ .

(٤) البيت من بحر البسيط ، وهو فى خزنة الأدب ٥٠٣/٢ ، اللهجات العربية فى التراث ٥٥٧ ويروى أوله (قوى اللذو) ، وآخره (بالمصاقيل) . وفى لسان العرب (ع ق ل) : وعقاقيل الكرم : ما غرس منه أهد .

ومن ذلك - أيضاً - قول الراجز^(١) :

بصرية تزوجت بصرياً يطعمها المالح والطرياً
وجيد البر لها مقلية حتى نتت سرقماً تتيأ
فقلوه (نتت) أصلها : (نتأت) فحذف الهمزة للشعر ، وهو فى التوجيه مثل البيت السابق تماماً .

(٤) الحذف بلا علة ولا ضابط :

قال الرضى : وربما حذفت الهمزة بلا علة ولا ضابط نحو (ناس) فى (أناس)^(٢)
وقد جاء الأصل فى قول الشاعر :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رآته عامر وسلول^(٣)
ولا تكاد الهمزة تستعمل مع لام التعريف ، غير أن أبا عثمان أنشد :
إن المنايا يطلعن على الأناس الآمين^(٤)

هذا .. وباب الحذف غير القياسى باب واسع يدخل فيه كل ما خرج على القياس ، كما قلنا ، فيدخل فيه نحو قولهم فى : ما أحسن زيدا : مَحْسَنٌ زَيْدًا .

(١) انظر : من مباحث الهمزة فى العربية ص ٣٢ ، والأبيات من الرجز ، نسبت لعذافر فى إصلاح المنطق ٢٨٨ ، والأول والثانى فى المخصص ١٣٦/٩ ، والمحتسب ١٢٤/٢ ، واللسان (ملح) ٤٢٥٥/٦ .

(٢) انظر: شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣٧ .

(٣) البيت من الطويل ، قاله السموأل بن عاد ياء ، وهو فى ديوانه ٩١ ، والخصائص ٢٨٠/١ ، وشرح التبريزى للحماسة ١١١/١ ، والمخصص ٤١/١٧ ، واللسان والتاج (س ل ل) ، والمعجم المفصل ٣١٤/٦ .

(٤) البيت من مجزوء الكامل ، وهو من مقطوعة لذى جدن الحميرى ، ينظر: الخصائص ١٥١/٣ ، المخصص ١٤٠/١٧ ، ١٤٥ ، الخزانة رقم ١٢٧ - ٢٨٠/٢ ، ٢٨٨ ، والجنى الدانى ٢٠٠ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٢ ، وشرح شواهد الشافية ٢٩٦ ، والأشباه والنظائر ٣١٢/١ ، وجواهر الأدب ٣١٣ ، ولسان العرب (أ ن س) ، والمعجم المفصل ٩٩/٨ .

بحذف الهمزة والألف قبلها . ونحو قولهم ما شَدَّ في : ما أَشدَّ^(١) . وقولهم : وَيُلْمُهُ ، وأصلها : ويل لأمه^(٢) . إلى غير ذلك مما خرج على القياس ولا سبيل إلى حصره .

* * *

حكم الهمزتين المجتمعتين في كلمتين :

قال أبو عمرو الداني : اعلم أن التسهيل لإحدى الهمزتين في الكلمة والكلمتين في مذهب أهل التسهيل ، إنما يكون إذا تلاصقتا معاً ، ولفظ بالثانية بعد الأولى من غير حائل بينهما ، فإن حال حائل بينهما ، ألف أو واو ، أو تنوين أو غير ذلك من متحرك وساكن ، فالتسهيل للهمزة الثانية ممتنع ، وتحقيقهما إجماع لأجل ذلك الحائل^(٣) .

ولتفصيل أحكام الهمزتين في الكلمتين نقول : إذا اجتمعت الهمزتان في كلمتين ، فالثانية منهما لا بد أن تكون متحركة ، لأنها واقعة في أول الكلمة الثانية أما الهمزة الأولى فلها حالتان : الأولى أن تكون للاستفهام وهي متحركة دائماً لأنها في بدء الكلام ، وتدخل على همزة القطع والوصل ، ولها مع كل منهما أحكام . والثانية أن تكون الهمزة الأولى لغير الاستفهام ، وهي حينئذ إما متحركة وإما ساكنة ، ولكل منهما مع الهمزة التي تليها أحكام .

(١) انظر: شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣٧ - ومن شواهد - مما يعد ضرورة شعرية - قول الشاعر :

ما شَدَّ أنفسهم وأعلمهم بما يحمى الذمار به الكريم المسلم

(٢) انظر : الخصائص ج ٣ ص ١٥٠ - ويصلح شاهداً على ذلك الرجز الذي ذكره المبرد في الكامل (٢٦/١) على لسان رجل من الخوارج يصف خطيباً منهم بالجبن والرعب ، وأن ذلك أذهله عن إجادة القول التي هي من طبعه في الأحوال العادية - يقول :

نَحْنُ زَيْدٌ وَسَقَلْ لِمَا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ

وَيُلْمُهُ إِذَا ارْتَجَلْ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ

والشاهد (وَيُلْمُهُ) بكسر اللام وضمها ، وهي كلمة تقال للدهاء المجيد ، أصلها ويل لأمه ، فحذفوا الهمزة ، وركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ، واستعملوه في التعجب .

(٣) انظر : جامع البيان في القراءات السبع ورقة ٩٥ . وقارن مع المطبوع من جامع البيان ج ١ ص ٣٤٢

الحالة الأولى :

أ - إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة القطع ، ففيهما مذهبان :

الأول : مذهب أهل التحقيق وهو تحقيق الهمزتين دون فصل بينهما ، وتمثله قراءة حفص لقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة: ٦) ، وقوله : ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠) ، وبعض هؤلاء المحققين من العرب يفصل بين الهمزتين بألف ، كما جاء في قول ذى الرمة :

فيا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا آنت أم أم سالم^(١)
وكما جاء في قول جامع بن عمرو بن مرخية الكلابي :

حزق إذا ما الناس أبدوا فكاهة تفكر آياها يعنون أم قرذا^(٢)
قال أبو حيان : « وهو أحسن من الجمع بينهما بغير فصل »^(٣) .

الثاني : أهل التخفيف من الحجازيين يسهلون الهمزة الثانية بين بين ، لأنها متحركة بعد همزة مفتوحة ولا يفصلون بينهما ، وبعض هؤلاء العرب المسهلين يدخلون ألفاً بين الهمزة المحققة والمسهلة . قال سيويه : « وأما أهل الحجاز فمنهم من يقول : أنك وآنت ، وهى التى يختار أبو عمرو ، وذلك لأنهم يخففون الهمزة كما يخفف بنو تميم فى اجتماع الهمزتين ، فكهوا التقاء الهمزة والذى بين بين ، فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم فى التحقيق »^(٤) .

(١) البيت من الطويل ، وهو فى ديوان ذى الرمة ٦٢٢ ، والكتاب ٥٥١/٣ ، والمقتضب للمبرد ١٦٣/١ ، والكامل له ٦٤٢ ، والخصائص ٤٥٨/٢ ، وابن يعيش ٩٤/١ - ١٩٩/٩ ، وشرح شواهد الشافية ص ٣٤٧ ، والهمع ١٧٢/١ .

الوعاء : رملة لينة . جلاجل : موضع . النقا : الكتيب من الرمل .
(٢) البيت من الطويل ، وهو فى سر الصناعة ٧٢٣/٢ ، ووصف المباني ٢٦ ، وشرح المفصل ١١٨/٩ ، ١١٩ ، وشرح شواهد الشافية ٣٤٩/٤ ، ٣٥٠ ، وجمع الهوامع ١٥٥/١ ، والأزهية ٤٠ ، والصاح واللسان والتاج (ح ز ق) والحزق بوزن عتل : القصير من الرجال . الفكاهة : ما يتفكه به من الحديث - تفكر آياها يعنون : اشتبه عليه الأمر - ويروى (القوم) مكان (الناس) و(تذكر) مكان (تفكر) .

(٣) ارتشاف الضرب ج ١ ص ٢١٢ .

(٤) سيويه ج ٣ ص ٥٥١ ط : ترأنا .

ب - إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل ، فالأخيرة إما مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة . فإن كانت مكسورة أو مضمومة حذفت^(١) وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة ، وعلى ذلك قرئ - باتفاق القراء - ﴿ قُلْ أَتُخَذَتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ (البقرة: ٨٠) ، ﴿ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَتُخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (مريم: ٧٨) ، ﴿ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (سبا: ٨) ، ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ (ص: ٧٥) ، ﴿ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ ﴾ (النافقون: ٦)^(٢) . وأما إذا وليت همزة الوصل وهى مفتوحة - وذلك فى أل ، وأيم ، وأيمن - همزة الاستفهام ، فقال ابن الباذش : الذى يوجهه قول سيويوه فى باب الهمزة أنها تخفف بين بين ، وذكر الفارسي أنها تبدل ألفاً ، وقرئ فى السبعة : (قل آلذكرين) بالإبدال والتسهيل ، وزعم أبو عمرو وابن عطية أن إثبات ألف الوصل فى ذلك خطأ ، وإنما هذه المدة ألف زائدة ليست بدلاً من همزة ، وإنما زيدت للفرق بين الاستفهام والخبر^(٣) . ويبدو أن هذا الزعم فى غير موضعه ، لأنه مخالف لما ثبت فى القراءات الصحيحة المتواترة من أن البدل والتسهيل وجهان صحيحان ومأخوذ بهما ، وذلك فى ست كلمات متفق عليها ﴿ قُلْ ءَآلُذِكْرَيْنِ ﴾ (الأنعام: ١٤٣، ١٤٤) ، ﴿ ءَآلُثْنَيْنِ ﴾ (يونس: ٩١، ٥١) ، ﴿ ءَآلُثَلَاثَتَيْنِ ﴾ (يونس: ٥٩) ، ﴿ ءَآلُخَمْسَتَيْنِ ﴾ (النمل: ٥٩) . وواحدة مختلف فيها ﴿ أَلَسَّخَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطِيعُ لَهُ ﴾ (يونس: ٨١) ، فقد قرأها أبو عمرو وأبو جعفر بالإبدال ألفاً أو بالتسهيل بين بين ، وقرأها الجماعة بالإخبار^(٤) .

الحالة الثانية :

إذا التقت الهمزتان فى كلمتين ، ولم تكن الأولى للاستفهام ، بل كانت إحداهما فى آخر الكلمة الأولى ، والأخرى فى ابتداء الكلمة الثانية ، فإما أن تتحركا ، وإما أن تسكن الأولى وتتحرك الثانية :

(١) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٦٤ .

(٢) انظر: نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٨٣ تأليف المرحوم الشيخ محمد مكى نصر .

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ١٤٦ - وكتاب الإقناع ٢٢٣ ، ٢٢٤ ط ١٩٩٩ م .

(٤) انظر : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ .

(١) فإذا تحركت الهمزتان وجب تخفيف إحداهما عند غير أهل الحجاز ، لأنه ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فَتُحَقَّقًا^(١) لكنهم اختلفوا فى أى الهمزتين أحق بالتخفيف ، وفى كَيْفِيَّتِهِ على النحو التالى :

أ - من العرب من يخفف الأولى ويحقق الهمزة الثانية . قال أبو حيان : « وهو اختيار أبى عمر وهو أقيس »^(٢) ؛ وإنما كانت الأولى عندهم أولى بالتخفيف لكونها آخر الكلمة ، والأواخر محل التغيير^(٣) ، أما كيفية التخفيف فالظاهر أنه يجرى على قواعد تخفيف الهمزة المفردة من التسهيل بين بين أو الإبدال أو الحذف .

ب - ومنهم من يخفف الثانية دون الأولى ، لأن الاستئصال منها جاء ، كما فعلوا فى الهمزتين فى كلمة ، وهو قول الخليل^(٤) ، وقد سمع ذلك سيبويه من العرب وأنشد :

كل غراء إذا ما برزت ترهب العين عليها والحسد^(٥)

ثم قال : « سمعنا ممن يوثق به من العرب ينشده هكذا »^(٦) بتخفيف الهمزة الثانية فى (غراء إذا) ، أما كيفية تخفيفها فهى (كالهمزة المتحركة بعد متحرك)^(٧) .

ج - وأما أهل الحجاز فيخففون الهمزتين معاً ، وكيفيته أن تخفف كل واحدة منهما على قياس تخفيفها إذا كانت مفردة ، مع ملاحظة أن التخفيف يكون فى الأولى أولاً ، ثم يكون فى الثانية ، فهم يقولون - مثلاً - فى (اقرأ آية) : (اقرأ آية) بإبدال الأولى ألفاً ، وتسهيل الثانية بين بين لكونها بعد ألف^(٨) ، ويفعلون مثل ذلك فى المتحركتين .

(١) سيبويه ج ٣ ص ٥٤٩ .

(٢) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٢١١ .

(٣) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٦٥ .

(٤) الموضوع السابق .

(٥) البيت من الرمل ، وهو فى الكتاب ٥٤٩/٣ ، ٥٥١ - وشرح المفصل ١١٨/٩ ، والحجة لأبى على الفارسى ٢١٣/١ ، والمعجم المفصل ١٦٥/٢ .

(٦) سيبويه ج ٣ ص ٥٤٩ ط : تراثنا .

(٧) شرح الرضى ج ٣ ص ٦٥ أى تجعل بين بين لأنها مكسورة بعد فتحة .

(٨) سيبويه ج ٣ ص ٥٥٠ ط : تراثنا .

د - إذا اتفقت الهمزتان في الحركة ، بأن كانتا مفتوحتين أو مضمومتين أو مكسورتين ، فقد « نقل عن أبي عمرو حذف أولى المتفقين نحو : ﴿أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ﴾ (الأحقاف: ٣٢) و ﴿جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد: ١٨) و ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ (الشعراء: ١٨٧) ونقل عن ورش وقنبل في ثانية المتفقين قلبها حرف مد صريحاً أى ألفاً إن انفتحت الأولى ، وواواً إن انضمت ، وياء إن انكسرت^(١) .

هـ - قد اختار جماعة ، وهم قراء الكوفة وابن عامر التحقيق فيهما معاً ، كما فعلوا بالهمزتين في كلمة ، وهو هنا أولى لافتراق الهمزتين تقديرأ^(٢) .

قال أبو حيان : « قال أصحابنا : وقد سمع التحقيق فيهما وهو من الشذوذ والقلّة بحيث لا يقاس عليه ، وقد قرأ بالتحقيق فيهما الكوفيون وابن عامر من السبعة وليس بشاذ^(٣) ، وأبو حيان في هذه العبارة جمع بين مذهبي النحويين والقراء في تحقيق الهمزتين ، فهو شاذ لا يقاس عليه عند النحويين ، أما عند القراء فقد ورد في القراءات الصحيحة غير الشاذة ، وربما كان يقصد أن القراء يقيسون عليه .

(٢) إذا سكنت الأولى وتحركت الثانية ، فقد ورد فيهما خمسة مذاهب^(٤) :

- أ - تحقيق الهمزتين وهو مذهب الكوفيين .
- ب - تخفيف الهمزتين وهو مذهب الحجازيين .
- ج - تخفيف الأولى دون الثانية وهو مذهب لبعض العرب .
- د - تخفيف الثانية دون الأولى وهو مذهب لبعض العرب .
- هـ - إدغام الأولى في الثانية ، وهذا المذهب حكاه أبو زيد عن بعض العرب .

(١) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٢١١ .

(٤) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٦٦ .

حكم الهمزتين المجتمعتين فى كلمة :

قال سيويه : « واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة ، لم يكن بد من بدل الآخرة ولا تخفف ، لأنهما إذا كانتا فى حرف واحد ، لزم التقاء الهمزتين الحرف »^(١) وقد فصل الرضى أحوال الهمزتين فى كلمة فقسمها إلى ثلاثة أقسام :

(١) قال : فإن تحركت الأولى فقط (أى وسكنت الثانية) دبرت الثانية بحركة الأولى ، أى قلبت واواً إن انضمت الأولى كأوتمن ، وياء إن انكسرت كإيت ، وألفاً إن انفتحت كآمن ، وإنما قلبت الثانية لأن الثقل منها حصل^(٢).

(٢) وقال : وإن سكنت الأولى وتحركت الثانية ، فإن كان ذلك فى صيغة موضوعة على التضعيف ، كسئال وسؤال وجب الإدغام محافظة على وضع الصيغة ، ولا يكون ذلك إلا إذا اتصلت الأولى بالفاء ، وذلك أن الهمزة ثقيلة ، ولا سيما ما ضُعِفَ منها ، فإذا وُكِّتِ الأولى أول الكلمة خفت ، وأما فى غير ذلك فلا يجوز^(٣).

(٣) وقال : فإن تحركتا قلبت الثانية وجوباً ، ثم إن كانت الثانية لاما قلبت ياء مطلقاً بأى حركة تحركتا ، لأن الآخر محل التخفيف والياء أخف من الواو^(٤). ومثال ذلك اسم الفاعل من (جاء) تقول : جاء وأصله (جائى) قلبت الثانية ياء فصارت (جائى) ثم استثقلت الضمة على الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان الياء والتوين فحذفت الياء وصارت (جاء).

أما إذا لم تكن الثانية فى موضع اللام من الكلمة ، فتارة تقلب ياء ، وتارة تقلب واواً ، وذلك فى تسع صور ناشئة من ضرب حركات الأولى فى الثانية ، وسنقتصر على ذكر ماله كلمات مستعملة من هذه الصور ، أما ما لا يتوصل إلى أمثلته

(١) سيويه ج ٣ ص ٥٥٢ .

(٢) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٥٣ .

(٣) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٥٥ .

(٤) المرجع السابق .

إلا بياب البناء والتمرين ، فذلك أمر ينبغى أن نصون أعمارنا وأوقاتنا من الضياع فى أمثاله ، فإنما الحياة عمل لا ظنون .

أولاً : قلب الثانية ياء :

إذا كانت الثانية مكسورة قلبت ياء نحو : أيمة « بالياء » فى (أئمة) .

ثانياً : قلبها واواً :

- (١) إذا كانت الثانية مفتوحة بعد ضمة نحو : أويدم فى تصغير آدم .
- (٢) إذا كانت الثانية مفتوحة بعد فتحة نحو : أوادم فى جمع آدم عند غير المازنى الذى يجعل الواو فى الجمع منقلبة عن الألف التى فى المفرد .
- (٣) إذا كانت الثانية مضمومة بعد فتحة نحو : أوبّ جمع أبّ بمعنى المرعى (على مثال كلب وأكلب) وأصل الجمع أأبّ ، نقلت حركة الباء الأولى إلى الهمزة الثانية فصارت أأبّ ، وبتخفيف الهمزة الثانية صارت أوبّ .

تعقيب :

يفهم من النص السابق الذى نقلناه عن سيبويه أن إبدال الثانية من الهمزتين المجتمعين فى كلمة هو القياس الذى لا يجوز غيره ، وأن هذا الإبدال لغة العرب جميعاً ، ولا يختص بالمسهلين منهم . ولذلك عد سيبويه والبصريون تحقيق الهمزتين فى كلمة من قبيل الشذوذ ، وقد ذكر ابن جنى من ذلك الشاذ ما حكاه عنهم أبو زيد وأبو الحسن من قولهم : غفر الله خطائى ، وحكى أبو زيد وغيره : دريئة ودرائى ، وروينا عن قطرب لفيفة ولفائى وأنشدوا :

فإنك لا تدري متى الموت جائئ إليك ولا ما يحدث الله فى غد^(١)

ثم قال ابن جنى : ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائى (أئمة) بالتحقيق فهما ، فالهمزتان لا تلتقيان فى كلمة واحدة إلا أن تكونا عينين نحو : سئال وسئار وجئار فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين فضعيف عندنا وليس لحنا لكن

(١) انظر : الخصائص ج ٣ ص ١٤٣ .

التقاؤهما فى كلمة واحدة غير عينين لحن ، إلا ما شذ مما حكيناه من خطائى وبابه^(١).

ويبدو أن ما حكاه سيويه والبصريون ليس كل ما ورد عن العرب ، ذلك لأن تحقيق الهمزتين فى الكلمة الواحدة وردت به القراءة القرآنية الصحيحة ، فابن عامر والكوفيون الثلاثة : عاصم وحمة والكسائى قرأوا : (أئمة) بتحقيق الهمزتين ، ولو لم يكن تحقيقهما من كلام العرب لما وجدت هذه القراءة ، كما أن البدل ليس هو الوجه الوحيد فى التخلص من ثانى الهمزتين فى كلمة كما قال سيويه ، بل يجوز تسهيلها بين بين ، وبهذين الوجهين قرأ الباقون من الأئمة العشرة كلمة (أئمة) فى جميع مواضعها وهى : ﴿أَيُّمَّةُ الْكُفْرِ﴾ (التوبة: ١٢)، و﴿أَيُّمَّةُ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣)، و﴿أَيُّمَّةُ وَنَجَّعْلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥)، و﴿أَيُّمَّةُ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (القصص: ٤١)، و﴿أَيُّمَّةُ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (السجدة: ٢٤)، وقد قال ابن الجزرى فى النشر : «والصحيح ثبوت كل وجه من الوجوه الثلاثة أعنى التحقيق ، وبين بين ، والياء المحضة عن العرب ، وصحته فى الرواية كما ذكرناه عمّن تقدم ، ولكل وجه فى العربية سائغ قبوله - والله تعالى أعلم -»^(٢).

* * *

(١) النشر ج ١ ص ٣٧٤.

(٢) النشر ج ١ ص ٣٧٤.

القبائل العربية بين الهمز والتسهيل

القبائل العربية وما يناسبها من أنماط لهجية :

درج اللغويون العرب ، والدارسون^(١) اللهجات العربية القديمة على تقسيم القبائل العربية إلى شطرين كبيرين ، عندما يتحدثون عن اللهجات ومظاهر اختلافها ، الشطر الأول : هو القبائل البدوية «أو قبائل المجموعة الشرقية» ، وهى تتوطن فى وسط الجزيرة وشرقيها ، وتعرف أيضاً بقبائل نجد ، وأحياناً تعرف بأشهر قبائلها وهى قبيلة تميم^(٢). الشطر الثانى : وهو القبائل الحضرية «أو قبائل المجموعة الغربية وهى التى تسكن فى بلاد الحجاز»^(٣)، وتعرف بالقبائل الحجازية» وأشهر قبائلها قريش .

والواقع أن كلا من المجموعتين كانت تتميز عن الأخرى فى لهجتها وطريقة نطقها لأصوات وألفاظ اللغة العربية ، وهذا الاختلاف فى طريقة النطق له ما يبرره ، وهو ما يعرف بأسباب اختلاف اللهجات ، ومن أهم هذه الأسباب : الاختلاف فى البيئتين الجغرافية والاجتماعية ، لكل من القبائل البدوية والحضرية ، فالقبائل

(١) انظر المدخل إلى دراسة النحو على ضوء اللغات السامية ص ٤٤ ، وانظر القراءات واللهجات ص ٣٦ دكتور عبد الوهاب حمودة ، وانظر كتاب فى اللهجات العربية ص ٩٠ ، وانظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٠٦ .

(٢) هى قبيلة عظيمة تنزل جانباً عظيماً من الساحل الشرقى لبلاد العرب أى بلاد نجد بأسرها تقريباً ، وجزءاً من البحرين ، وقسمًا من اليمامة ، وتمتد منازلهم جنوباً حتى فيافى الدهناء ، كما تمتد فى الشمال الشرقى إلى ضفاف الفرات ، ويجاورهم فى الشمال أسد ، وفى الجنوب الغربى باهلة وغطفان ، وامتزجت تميم فى منازلها ببطون من عبد القيس وحنيفة ، كما امتزجت ب بكر وتغلب فى الشمال (انظر ص ٧ نسب عدنان وقحطان للمبرد).

(٣) روى عمر بن شبه عن رجاله عن محمد بن عبد الملك الأسدى قال : الحجاز اثنتا عشرة داراً : المدينة ، وخيبر ، وفدك ، وذو المروة ، وداريلى ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ودار بعض بنى بكر من معاوية ، ودار بعض هوازن ، وجل سليم ، وجل هلال . (انظر ص ١٠ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى) .

البدوية كانت لا تعرف الاستقرار ، ولا تألف الحياة الهادئة الآمنة ، بل كانت دائمة التنقل والترحال وراء الكلاً والماء ، وكانت كل قبيلة أشبه بوحدة منعزلة عن الأخرى ، ولها عاداتها المتبعة فى السلوك اليومى من العمل والراحة ، والبيع والشراء ، والطرب والغناء ، والأفراح والأحزان ، والضيافة والعبادة وغيرها ، ولها أيضاً قانونها الخاص وأوامرها المطاعة التى يصدرها شيخ القبيلة ورئيسها .

أما القبائل الحضرية فكانت تألف حياة المدن والقرى والأرياف ، وهى من غير شك حياة ناعمة مستقرة يسودها الأمن والهدوء ، لا تعرف السلب والنهب ولا الإغارة ، وكانت لهذه القبائل أيضاً عاداتها الخاصة فى السلم والحرب ، والبيع والشراء ، وقوانين الزواج والضيافة ، ومراسم العبادة وغيرها .

ومن هنا اختلفت ألسنة المجموعة البدوية عن ألسنة المجموعة الحضرية مثلما اختلفت البيئات عند هؤلاء وهؤلاء ، فالقبائل البدوية كانت تؤثر الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة ، لأن المجهورة فيها من القوة والوضوح ما ليس فى المهموسة وذلك الوضوح أمر يتناسب مع وضوح البيئة البدوية ، من أرض وجبال وإبل وسماء وأبراج ونجوم . . . وكانت أيضاً تؤثر الأصوات الشديدة على الرخوة ، أو على الأقل فى الشدة ؛ ذلك لأن الشديدة تنطلق فى قوة وسرعة من أعضاء النطق ، والسرعة شىء مركب فى طبع البدوى ودمه ، ومن هنا كانت القبائل البدوية تُميل فى كلامها ، وتدغم الحروف المتماثلة أو المتقاربة ، وتنفخ الألفاظ ، وهذه من لوازمها السرعة والقوة أيضاً .

أما القبائل الحضرية فكانت تنهج فى نطقها نهجاً مخالفاً لطريقة البدو ، فكانت تفضل الأصوات الرخوة والمهموسة على الشديدة والمجهورة ، وكانت تفتح أفواهها بالكلام ، وتفك الحروف المتماثلة والمتقاربة وترقق الألفاظ . . . وهذا السلوك الأدائى من هذه القبائل أو تلك يتفق مع ما عرفناه من ظروف البيئة الجغرافية والاجتماعية لكل منها ، فالنطق بالألفاظ الممالاة والحروف المدغمة يستغرق زمناً أقل من نطق الألفاظ المفتوحة والحروف المفكوكة ، والسرعة فى نطق الألفاظ والحروف أمر يتناسب مع طبيعة البدوى الذى ألف السرعة فى كل مظاهر حياته ، من الرحلة والانتقال والكر والفر ، والإغارة ، فهو - غالباً - لا يغدو فى مكان راح .

منه ، ولا يمسى فى أرض أصبح فيها ، لذا كان من الطبيعى أن يسرع فى النطق بلغته ، فيميل ، ويدغم الحروف ، وكان من المناسب أيضاً أن يفخم الألفاظ ويخرجها خشنة غليظة حتى تتلاءم مع غلظ الحياة الجبلية وخشونتها ، وحتى تتلاءم مع ما جبل عليه من جفاء فى الطبع وصلابة فى الرأى وصلف وكبرياء . أما الفتح وفك الحروف وترقيق الألفاظ فكلها مظاهر لهجية تتفق مع طبيعة الإنسان الحضرى الذى يعيش على أرض سهلة ، ويحيا حياة هادئة مطمئنة ، وهى أيضاً تتناسب مع أخلاق الحضريين ومع ما جبلوا عليه من دماثة فى الخلق ورقة فى الطباع .

ولقد اختلفت أيضاً ألسنة المجموعتين البدوية والحضرية فى النطق بصوت الهمزة بين التحقيق والتسهيل ، فكانت القبائل البدوية تنطق بها نطقاً كاملاً ، فتخرجها من الحنجرة صوتاً شديداً خالص الشدة ، وذلك النطق عرف بالهمز أو بالنبر أو تحقيق الهمز . أما القبائل الحضرية ، فكانت تفر من النطق بالهمزة المحققة ، فكانت تتصرف فيها بالتغيير إلى صوت قريب من أصوات اللين ، أو بتحويلها تحويلاً كاملاً إلى الألف أو الواو أو الياء ، وأحياناً كانت تتخلص منها بالحذف ، وهذا التصرف فى الهمزة عرف بالتسهيل أو بالتخفيف ، فتحقيق الهمزة إذن مظهر من مظاهر البداوة ، وتسهيلها أو التخلص منها مظهر من مظاهر الحضارة ، وهذا كله يفسر ما كان القدماء يشعرون به من أن بعض العرب أشد تصويئاً من بعض .

وإذا دققنا النظر فى موقف البدويين والحضرين من الهمزة تحقيقاً وتسهيلاً ، وجدنا أن الهمزة صوت عسير على اللسان ، يحتاج إلى مجهود عضلى كبير فى إخراجه كاملاً ، ونطقه محققاً ، وهذا المجهود الكبير لا يستطيع أن يقوم به ويؤديه ويحافظ عليه إلا الإنسان البدوى الذى ألف الحياة القاسية من وعورة فى الجبل وصعوبة فى النقلة والمواصلات ، وندرة فى الكأ والماء ، زد على ذلك أن البيئة الصحراوية تخلو من الحواجز والعقبات التى تعين على توضيح الأصوات وإبرازها للسمع ، لذا كان من الأنسب للبدوى أن يحقق الهمزة وأن ينطق بها نطقاً كاملاً . أما النطق بالهمزة المسهلة فلا يحتاج إلى كبير عناء ، ولذلك فهو يتناسب مع الطبيعة

الحضرية التي تمتاز بالركة والسهولة فى كل شىء ، كما أن البيئة الحضرية تقرب فيها المسافات وتكثر الحواجز التي تعين على إبراز الأصوات وتوضيحها ، لذا كان من الأنسب للحضرى أن يترك النبرة الكريهة فى السمع إلى صوت أقل منها جهداً وعناء ، وأحسن منها فى السمع .

هذا ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن تحقيق الهمزة فى لسان القبائل البدوية ، « كان الخاصة التي تخفف من عيب هذه السرعة ، أى أن الناطق البدوى تعود النبر فى موضع الهمزة ، وفيما يقابل موقعها فى الكلمات الخالية منها ، وهى عادة أملتأ ضرورة انتظام الإيقاع النطقى ، كما حتمتها ضرورة الإبانة عما يريد من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة السريعة الانطلاق على لسانه ، فموقع النبر فى نطقه كان دائماً أبرز المقاطع ، وهو ما كان يمنحه كل اهتمامه وضغطه - وأن القبائل الحضرية لم تكن بها حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة فأهملت همز كلماتها ، أعنى المبالغة فى النبر والتوتر ، واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة ، كالتسهيل والتخفيف والتليين والإبدال والإسقاط^(١) ووضح من ذلك أن النطق بصوت الهمزة المحققة عنده أطول من النطق بها مسهلة ، ونحن لا نوافقه على ذلك ، لأن الهمزة صوت ساكن وهى تستغرق زمناً أقل فى النطق إذا ما قورنت بأصوات اللين ، فضلاً عن أن الهمزة شديدة بالغة الشدة ومعلوم أن أقل الأصوات الساكنة طولاً هى الأصوات الشديدة أو الانفجارية^(٢) ويرد عليه أيضاً بأنه يفرق فى النبر وانتظام المقاطع بين أكل وسأل وقرأ وبين نصر ، حيث توجد الهمزة فى مواقع مختلفة ، وحيث لا توجد !! فإذا كان المقطع المنبور هو الأول فى أكل ، وهو الثانى فى سأل ، وهو الثالث فى قرأ ، فما هو فى نصر ؟ هل هو الأول أو الثانى أو الثالث ؟ ولم يكون ؟

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ٣٠ ، ص ٣١ .

(٢) راجع طول الصوت اللغوى فى كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٥٥ وما بعدها .

أيهما الأصل : الهمز أم التسهيل ؟؟

بعد أن عرفنا أن الهمز لهجة تناسب قبائل البدو ، وأن التسهيل لهجة تناسب قبائل الحضار ، ينبغي أن ننبه إلى أمر هام ، وهو أن تحقيق الهمز يمثل اللغة العربية في مراحلها الأولى ، وأنه يعدّ الصفة اللهجية التي التزمتها العربية حينما كانت منعزلة في كبد الصحراء ، قبل أن تعرف حياة المدن والأرياف ، فلما استقرت بعض القبائل العربية قبيل الإسلام وبعده ، وانتقلت من البداوة وسذاجتها إلى الحضارة ورقياها ، صاحب هذا التطور في الحياة الاجتماعية تطور في كل مظاهر هذه الحياة ومنها اللغة .

فلا عجب إذن إن قلنا إن تحقيق الهمزة هو الأصل في العربية ، وأن تسهيله يعد مرحلة لغوية تالية ، حدثت من جراء ذلك التطور في الحياة الاجتماعية ، وانتقال العرب من البداوة إلى الحضارة ، على أن يلاحظ أن النطقين بالتحقيق والتسهيل وجدا في فترة زمنية واحدة ، هي فترة ما قبل الإسلام وبعده ، إلا أنّ التحقيق كان في لسان القبائل البدوية ، والتسهيل كان في لسان القبائل الحجازية المتحضرة ، ونظير ذلك الذي تتخيله بالنسبة لهاتين الصفتين اللهجيتين هو ما نجده الآن ، حيث إنّ تحقيق الهمزة ملتزم في اللغة الفصحى بينما اللهجات المحلية تلتزم التسهيل غالباً . والذي يؤكد لنا أن الهمز أصيل في العربية ، وأسبق في الزمن من التسهيل أمران :

(أولهما) النصوص الواردة في كتب اللغة والأدب :

- ١- جاء في شرح الشافية : وتخفيفها (أي الهمزة) لغة قريش وأكثر الحجازيين وهو استحسان ، وتحقيقها كسائر الحروف لغة تميم وقيس وهو الأصل^(١) ومنها قول الأستاذ حفنى ناصف «والأصل في الهمز التحقيق»^(٢).

(١) المناهج الكافية في شرح الشافية ج ٢ ص ١٧٣ لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى.

(٢) تاريخ الأدب ص ١٢.

٢- نصَّ علماء اللغة على أن حروف الهجاء فى العربية تتكون من تسعة وعشرين حرفاً ، أو من ثمانية وعشرين حرفاً ، وقالوا عن هذه الحروف إنها حروف أصلية ، وعدوا منها الهمزة المحققة ، ثم قالوا إن هناك حروفاً فرعية مستحسنة ومستقبحة ، وعدوا من الحروف الفرعية المستحسنة الهمزة المسهلة بين بين ، والأصل دائماً يسبق الفرع^(١) .

(ثانیهما) أن قانون تطور الأصوات يحكى أن الأصوات تتجه فى تطورها من الأصعب إلى الأسهل غالباً ، فالشدید يتطور إلى نظيره الرخو ، والمجهور يتطور إلى نظيره المهموس ، وهكذا . . . وتطور الهمزة المحققة إلى أحد أصوات اللين أو إلى ما هو قريب منها يتفق مع هذا القانون ، فالهمزة حبسة حنجرية ، أى أنها شديدة بالغة الشدة ، أما أصوات اللين فهى انطلاقية مائلة إلى الرخاوة والنطق بالصوت الانطلاقى أسهل بكثير من الصوت المحبوس الشديد .

لكن لماذا آثرت العربية الفصحى التزام الهمز مع صعوبته على التسهيل مع جريانه على اللسان وسهولة نطقه؟؟

يبدو أنه كانت لتلك الأصالة من جانب الهمز المحقق دخل كبير ، ونصيب وافر فى جعل القبائل العربية عامة تميل إلى النبر بالهمز وإدخاله فى اللغة النموذجية المشتركة ، لغة الشعر والخطابة ، ولغة التدوين والكتابة أيضاً . ولقد أكد هذا المفهوم لدى القبائل العربية نزول القرآن الكريم بالهمز المحقق مع أنه نزل فى بيئة حجازية لم يتعود أهلها على غير التسهيل ، وفى ذلك يقول الإمام على كرم الله وجهه : (نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا)^(٢) ، ولعل مثل هذا الموقف من القرآن الكريم تجاه الهمز المحقق كان السبب فى خروج الحجازيين من سليقتهم فى تسهيل الهمزة فى غير لهجات خطابهم العادية ، ربما لشعورهم بأن تحقيق الهمزة

(١) يؤخذ ذلك من أول باب الإدغام فى الكتاب لسيبويه ج ٤ ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ .

(٢) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٣٢ .

فى الأساليب الأدبية من شعر وخطابة أقرب إلى الفصاحة من تسهيلها^(١). ومن هنا فضل العلماء المحققون على تسهيل الحجازيين نبر التميميين آخذين بالقرآن متأثرين بصنيعه^(٢). ويظهر أن هذا الشعور قد ازداد رسوخاً فى الأذهان ، وأصبح قضية مسلمة ، عندما رحل الرواد من علماء اللغة ورواتها ، إلى قلب الجزيرة العربية ، يجمعون اللغة ويدونونها ، وإذا كانوا قد اعتمدوا فى ذلك الجمع والتدوين على نطق الأعراب وأهل البادية ، وعدوا كل ما خالفه أقل مرتبة فى الفصاحة مهما كانت فصاحته ، ومهما كان الناطقون به ، لم يكن غريباً ولا خارجاً على المؤلف أن تلتزم العربية الفصحى تحقيق الهمز وإن كان صعباً فى النطق ، وتأثره على التسهيل وإن كان أقل صعوبة ، لأن الهمز لهجة الأعراب التى لا يحدون عنها .

تسهيل الهمز ليس من العامية فى شىء :

قد يتبادر إلى الذهن من القول بأن اللغة الفصحى التزمت الهمز المحقق فى أدائها اللغوى ، أن تسهيل الهمز ليس من الفصح أو أنه لهجة عامية ، لذلك كان من إتمام الفكرة السابقة أن ننبه إلى أن تسهيل الهمزة صفة لهجية فصيحة وإن لم تلتزمها اللغة المثالية نطقاً وتدويناً ، وأنه كان يجرى على ألسنة الفصحاء ، مثله فى ذلك مثل سائر الصفات الأخرى ، « فالتسهيل والتسهيل ، أو الفتح والإمالة مثلاً ليسا من العامية فى شىء ، وإنما هما مستوى من الفصاحة معروف ومقرر لدى القدماء الفصحاء »^(٣) . وليس أدل على ذلك من أن الرسول ﷺ وهو أفصح اللاهجين ، كان ينطق بكل هذه الصفات ، فكما كان يهزم فى كلامه إذا ما تكلم إلى الخاصة أو حديثهم ، كان يسهل الهمزة إذا ما تحدث إلى أهله وأصحابه ، وقد يؤكد ذلك ما جاء فى جمهرة ابن دريد « قال أبو بكر : جاء قوم بأسير إلى النبى ﷺ وهو يرعد ، فقال : (أدفوه) فقتلوه ، أراد عليه السلام (أدفتوه) ولغته ترك الهمزة ، وهم

(١) دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص ٧٨.

(٢) دراسات فى فقه اللغة (المحققون » المدققون).

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٢.

ذهبوا إلى لغتهم أذفوه أى اقتلوه»^(١) فلفظة (أذفوه) المسهلة الهمزة ، لا يمكن أن نعتبرها عامية ، أو غير فصيحة ، لأن الذى نطق بها فصيح بل فى قمة الفصاحة . وثمت شىء آخر ، وهو أن شطراً كبيراً من القراءات القرآنية ، التزمت تسهيل الهمزة كقراءة نافع وأبى جعفر المدينين ، «والقراءات القرآنية لا تمثل شيئاً من العامية»^(٢) ، بل أكثر من ذلك أن القراء الذين التزموا تحقيق الهمز ، كانوا يفضلون التسهيل أحياناً ، «فأبو عمرو بن العلاء كان إذا أدرج القراءة ، أو قرأ فى الصلاة ، لم يهمز كل همزة ساكنة»^(٣) ، وكذلك روى عن الشمونى محمد بن حبيب عن الأعشى عن أبى بكر عن عاصم أنه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة^(٤) ، وروى مثل ذلك أيضاً عن سليم عن حمزة أنه كان إذا قرأ فى الصلاة لم يكن يهمز^(٥) ، وكان الكسائى يقول «من علامة الأستاذية» ترك الهمزة فى القراءة»^(٦) .

وهناك أمر ثالث يزيد القضية تأكيداً ، وهو أن اللغة المثالية التزمت تسهيل الهمز فى بعض الألفاظ ، جاء فى لسان العرب «اجتمعت العرب الذين يهمزون والذين لا يهمزون على ترك الهمزة ، كقولك : يرى ، وترى ، ونرى ، وأرى ، قال : وبها نزل القرآن الكريم»^(٧) ، إذن لم يبق لقائل بعد ذلك كله أن يقول إن تسهيل الهمز لهجة عامية ، أو أقل مرتبة فى الفصاحة ، بل بالغ بعض المحدثين فى أصالة التسهيل وفصاحته مقررًا «أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، والتى اصطنعت فى تراثنا قبل الإسلام ، كانت تؤثر تسهيل الهمز وهو صفة حضرية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الهمز ، مؤثرين هنا الأداء البدوى ، فشاع بيننا الآن أن تحقيق الهمز هو الأفصح»^(٨) .

(١) جمهرة كلام العرب ج ١ ص ٧٤ .

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٢ .

(٣) الحجة لأبى على الفارسى ج ١ ص ١٦٠ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص ٣٥٠ .

(٧) اللسان ج ١٩ ص ٤ ، ص ٥ .

(٨) فى اللهجات العربية ص ٢٢٦ .

قبائل الهمز وقبائل التسهيل :

بيننا فيما سبق أن الهمز لهجة بدوية ، وأن التسهيل لهجة حضرية ، وأن الهمز أقدم من التسهيل ، وأنهما لهجتان فصيحتان ، وإن أثرت اللغة المثالية الهمز دون التسهيل نطقاً وتدويناً . وبقي علينا الآن أن نعرض بالتفصيل للقبائل التي أثر عنها الهمز ، وللقبائل التي أثر عنها التسهيل ، وقد رأينا أن نصنف هذه القبائل إلى أصناف تبين كيف أن بعض القبائل تألف الهمز وتميل إليه؟؟ وكيف أن بعضها الآخر ينفر من الهمز ويفر منه؟؟ . ولسوف نعرض أولاً للقبائل التي تبالغ في تحقيق الهمز ، حتى يتحول من مكان خروجه إلى مخرج العين ، وذلك تحت عنوان قبائل العننة ، ثم نعرض للقبائل التي تهتمز ما ليس بمهموز فتبدل من الألف والواو والياء همزة ، تحت عنوان قبائل التهميز ، وبعد ذلك يأتي دور القبائل التي تحافظ على النطق بالهمزة فيما أصله الهمز ، وذلك تحت عنوان قبائل التحقيق ، ثم يأتي الحديث عن القبائل التي تفر من النطق بالهمزة تحت عنوان قبائل التسهيل .

أولاً : قبائل العننة :

كنا قد تحدثنا في الفصل الأول عن تفسير ظاهرة العننة عند اللغويين وعلماء الأصوات ، ونريد هنا أن نتعرف على القبائل التي تتكلم بالعننة ، ونقول ابتداء إن أكثر الروايات تنسب العننة إلى قبيلة بنى تميم ، ومن تلك الروايات ما ذكره ابن جنى في الخصائص وما أثر عن الخليل في كتاب العين ، وما أثر عن ابن دريد في الجمهرة ، وبعضها الآخر ينسبها إلى تميم وأسد ، كما ورد في شرح المفصل لابن يعيش ، وأحياناً ينسبونها إلى تميم وقيس كما فعل السيوطي في المزهري^(١) وهناك روايات أخرى وردت في كتب اللغة ويفهم منها أن حلود العننة أوسع مما ذكرته الروايات المشار إليها ، فصاحب اللسان نقل رواية عن الفراء جاء فيها : « قال الفراء : لغة قريش ومن جاورهم (أن) . وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون

(١) ذكرنا جميع هذه الروايات في الفصل الأول عندما حاولنا تفسير ظاهرة العننة .

ألف (أن) إذا كانت مفتوحة عينا ، يقولون (أشهد عنك رسول الله) وإذا كسروا رجعوا إلى الألف^(١)» فقلوه «وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم» يعنى أن العننة لا تقف عند حدود هذه القبائل الثلاثة ، بل توجد فى القبائل الأخرى المجاورة لها ، فقد توجد مثلاً فى القبائل الواقعة فى ناحية الشرق من تميم مثل قبائل سعد ودارم ومجاشع وحنظلة وعجل ويكر بن وائل وعبد القيس أو فى الواقعة إلى الشمال منها مثل قبيلة كلب ، أو فى الواقعة إلى الغرب منها مثل يربوع وجعدة وكعب ابن ربيعة ونمير وكلاب وغنى^(٢) ، وكذلك الحال بالنسبة إلى قبيلة أسد وقيس ، ولكن هل تسعفنا الروايات بما يؤيد وجود العننة عند كل القبائل المجاورة لتميم وأسد وقيس؟؟ الواقع أن الروايات لم تسجل كل ما ورد عن القبائل من العننة ، بل اقتصرت على نسبتها إلى قليل من هذه القبائل ، فقد جاء فى سر الصناعة «وقد أبدلوا الهمزة عينا فى غير (عن) أخبرنى أبو على قراءة عليه ، يرفعه إلى الأصمعى ، قال : سمعت أبا ثعلب ينشد بيت طفيل :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير معتلى^(٣)

قال : يريد غير مؤتلى^(٤) «وقال : محققو الكتاب إن الرواية التى وردت فى ديوان طفيل «غير مؤتلى» بالهمز لا بالعين ومعناه : غير مبطئ^(٥) . وعلى هذا القول الأخير لا شاهد فى البيت ، أما على فرض صحة الرواية التى ساقها ابن جنى فإننا نقول إن طفيلاً قائل هذا البيت اشتهر «بطفيل الغنوى»^(٦) نسبة إلى قبيلة غنى ،

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٩٥ .

(٢) انظر مصور جزيرة العرب قبيل الإسلام ص ٢ من كتاب الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه .

(٣) البيت من الطويل ، وهو فى ديوان طفيل الغنوى ٣٧ ، وشرح شواهد الشافية للبخندى ٤٣٤ ، والمعجم المفصل ٤٦٣/٦ ، واللهجات العربية فى التراث ٢٨٥ ، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٣٧ ، (حرس) بالحاء المهملة المفتوحة: ماء من مياه بنى عقيل بنجد - وقالوا فى تفسير بيت طفيل: إن حرسا ماء لغنى (التحقيق من شرح شواهد الشافية).

(٤) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الأملى لأبى على القالى ج ٢ ص ٧٨ .

وهى تجاور قبيلة تميم ، وتقع إلى الغرب منها كما أشرنا سابقاً ، كما أن نسبها يتصل فى النهاية بقيس عيلان ، فهى : غنى بن أعصر بن سعد بن قيس^(١) . وعلى ذلك فلا غبار على نسبة العننة إليها . وجاء فى سر الصناعة أيضاً .
وأنشدنى أبو على :

مَنْ لِي مِنْ هُجْرَانٍ لَيْلَى مَنْ لِي
وَالْحَبْلُ مَنْ جِبَاهَهَا الْمُتَحَلِّ
تَعَرَّضْتُ لِي بِمَكَانٍ حِل
تعرض المهرة فى الطول
تَعَرَّضًا لَمْ تَأَلُ عَنْ قَتْلًا لِي^(٢)

قال ابن جنى : هكذا أنشدني « عن قتلاً » ، وحمله تأويلين : أحدهما : أنه قال : يجوز أن يكون أرادَ الحكاية ، كأنه حكى النصب الذى كان معتاداً من قولها فى بابه ، أى كانت تقول « قتلاً قتلاً » أى أنا أقتله قتلاً ، ثم حكى ما كانت تلفظ به . . . والوجه الآخر الذى أجازَه أبو على فى قوله : « عن قتلاً لى » أنه قال : يجوز أن يكون أراد « أن قتلاً لى » أى أن قتلتى قتلاً ، فأبدل الهمزة عينا . فهذا أيضاً من عننة تميم^(٣) . فإذا أخذنا بالوجه الأخير من الوجهين السابقين ، يكون البيت الأخير شاهداً على وقوع العننة فى لهجة قائله ، ولكنها ليست من عننة تميم كما

(١) انظر نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى - السفر الثانى ص ٣٤٣ .

(٢) الأبيات من الرجز، قائلها منظور بن مرثد الفقعى الأسدى، ينظر إصلاح المنطق ١٧٠، وهى فى مجالس ثعلب ٥٣٣/٢ وما بعدها ضمن سبعة عشر بيتاً، وفى سر صناعة الإعراب ١٧٧/١، ١٧٨، ٢٣٥، والأول والثانى فى الخصائص ٢٦٢/٢، وشرح شواهد الشافىة للبغدادى ٢٤٨، ٢٤٩، والثالث والرابع والخامس فى اللسان (طول)، (قتل)، وقال أبو على فى المسائل العسكرية : (المنحل لا يخلو من أن يكون محمولاً على الحبل أو الحبال، وكلا الأمرين قبيح). والطول : الحبل الطويل تربط الدابة فيه ويشد بوتد؛ لترعى ما حوله - وتشديد اللام إنما يكون فى الوقف، وقد أجرى الشاعر هنا الوصل مجرى الوقف .

(٣) انظر سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

قال ابن جنى ، لأن قائل هذه الأبيات كما ترجم له الأستاذ محمود محمد شاكر محقق كتاب الطبرى « هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسى الأسدى ، وهو نفسه منظور بن حبة الفقعسى الأسدى^(١) ، إذن فقبيلة فقعس - إحدى بطون قبيلة بنى أسد كان من لهجتها العنينة أيضاً ».

ومن الروايات التى تسبب العنينة إلى قبائلها ، تلك التى جاءت فى نوادر أبى زيد الأنصارى ، قال : « وأنشدتنى أعرابية من بنى كلاب :

فَتَعْلَمَنَّ وَإِنْ هُوَيْتُكَ عَنِّي قَطَاعَ أَرْحَامِ الْحَبَالِ صَرُومِ

فقلت لها ما هذا؟ فقالت : هذه عنتنا^(٢) . وبنو كلاب هؤلاء كانوا يجاورون بنى تميم من ناحية الغرب كما أشرنا سابقاً ، وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة من هوازن إحدى بطون قيس عيلان^(٣) ، فهم يجاورون تميمًا ، وينتسبون إلى قيس ، وهاتان القبيلتان إذا ضفنا إليهما أسدًا نكون قد وقفنا على أشهر القبائل التى أثرت عنها العنينة ، فنسبة العنينة إلى بنى كلاب نسبة صحيحة .

ومن تلك الروايات أيضاً ما نقله العلامة أحمد تيمور باشا عن الثعالبي قال : « وفى فقه اللغة للثعالبي : العنينة تعرض فى لغة قضاعة كقولهم ظَنَنْتَ عَنكَ ذَاهِبَ أَى أَنْكَ »^(٤) ونقل الدكتور إبراهيم السامرائى عن الثعالبي مثل ذلك^(٥) . ولو صح هذا النقل لقلنا إن المراد بقضاعة أحد بطونها التى كانت تسكن البادية مثل كلب التى قال عنها الهمذانى : « وأما كلب فمساكنها السماوة ، ولا يخالط بطونها فى السماوة أحد »^(٦) ، لكن يبدو أن ذكر قضاعة فيما نقله تيمور والسامرائى من

(١) تفسير الطبرى ج ٦ ص ١٧١ (بالهامش) ، وفى القاموس المحيط (ن ظ ر) : ومنظور بن حبة راجزٌ، وحبّة أمه ، وأبوه مرثد.

(٢) النوادر فى اللغة - لأبى زيد الأنصارى ص ٢٨ ط: بيروت ١٩٦٧ م.

(٣) راجع قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص ١١٥ ، ص ١١٦ .

(٤) لهجات العرب ص ٤٦ ، ٦٧ ، وقارن مع فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص ١٠٧ - الفصل التاسع والعشرون - ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٥) فقه اللغة المقارن ص ٣٧ . ط: بيروت ١٩٦٨ م.

(٦) صفة جزيرة العرب للهمذانى ص ١٣٥ .

قبيل الخطأ فى النقل لأن الموجود فعلاً فى النسخة المحققة من كتاب فقه اللغة للثعالبي : العننة تعرض فى لغة تميم^(١) « وبالرغم من ذلك فإننا لا نستبعد أن تكون العننة لهجة لقضاة كما هى لهجة تميم ، لأن قضاة قبيلة عظيمة ولها بطون كثيرة ، منها الحضرى ومنها البدوى مثل كلب التى أشرنا إليها ، بل يرى بعض الباحثين أن دائرة العننة فى قضاة أوسع منها فى تميم ، فالدكتور عبدالمجيد عابدين يرى أن عننة تميم كانت فى همزة أن المفتوحة ، أما قضاة فجعلت الهمزة عينا دون تقييد بحركة أو موقع^(٢) » ، ونحن من جانبنا لا نجد دليلاً على هذه الدعوى ، بل ما قدمناه فى الفصل الأول من الروايات التى جاءت عن الخليل وابن دريد والسيوطى ، ينقض هذا القول ، فهناك عرفنا أن بنى تميم يقولون : الخبع ويريدون الخبء ، أو يقولون هذه خباعنا ويريدون : خباؤنا .

وخلاصة ما ذكرنا فى الفصل الأول ، وما ذكرناه هنا ، أن العننة إحدى لهجات القبائل البدوية التى تبالغ فى الجهر بالهمزة فتقلبها عيناً ، وقد حددت الروايات بعض هذه القبائل كتميم وأسد وقيس ومن جاورهم ، وكغنى إحدى بطون قيس ، وكفقس إحدى بطون بنى أسد ، وكبنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التى ينتهى نسبها إلى قيس ، وكقضاة التى نرجح نسبة العننة إلى إحدى بطونها البدوية مثل قبيلة كلب .

ثانياً : قبائل التهميز :

تميز نطق البدو زمن تدوين اللغة بظاهرة سماها القدماء النبر ، وهى لا تقتصر على تحقيق الهمز فى الكلمة المهموزة الأصل ، بل تتجاوز ذلك إلى تهميز ما ليس بمهموز أصلاً ، فكانوا يهْمَزون الهاء ، ويهْمَزون الواو والياء ، ولذلك لقبهم بعض القدماء بأصحاب النبر^(٣) ، ولعل القدماء أرادوا بالنبر تلك العملية النطقية التى مصدرها الحنجرة حين تتوتر عضلاتها توتراً شديداً ، وهذه الظاهرة يمكن أن

(١) فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٥ تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأيبارى وعبد الحفيظ شلبى .

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان ص ٣٥ .

(٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٩٩ .

يطلق عليها التهميز أى إيثار الهمز فى كثير من الكلمات^(١). ومن هذين النصين يفهم أن النبر يشمل لونين متميزين فى نطق البدو : (أولهما) تحقيق الهمزة فى الكلمة المهموزة الأصل ، (وثانيهما) تهميز ما ليس بمهموز أصلاً ، كقولهم (أَزَّ) فى (هَزَّ) وكقولهم (العالم) فى (العالم) وستقتصر هنا على الحديث عن اللون الثانى ، وهو ما نعبر عنه بظاهرة التهميز .

ويبدو أن هذه الظاهرة لم تكن متميزة على الأقل فى فترة ما قبل الإسلام وبعده ، «وبعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى ، تسابق العرب فى النطق به ، فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز ، مبالغة فى التفصح ، لأنه إذا كانت خذأت فصيحة ، وخذيت غير فصيحة ، فإنه لا مانع من تحول حَلَّتِ السويق ، وليَّت بالحج ، ورثيت زوجى ، إلى حَلَّت^(٢) ، ولبأت ، ورثأت ، عن طريق القياس الخاطئ مبالغة فى التفصح»^(٣).

ويغلب على الظن أن هذا الخطأ فى القياس أتى من جهة «أن الناس لم يكونوا يهمزون فى الكلام العامى فى حياتهم اليومية ، فإذا أرادوا محاكاة اللغة الفصحى فى مواقف الجد ، حدث خلط كبير فى همز ما لا يستحق الهمز ، لأنهم إذا كانوا يقولون فى الكلام العامى قرئت الكتاب ، وقرئت الضيف ، فإنهم فى حالة محاكاتهم للفصحى يقولون قرأت الكتاب ، وقرأت الضيف مثلاً ، وليس فى المثال الثانى همزة فى الفصحى ، لأنه من قرى يقرى بمعنى أطعم الضيف وقد وجد مثل ذلك تماماً فى الجاهلية وعصور الاحتجاج للعربية»^(٤).

كذلك يبدو أن ظاهرة التهميز انتشرت فى نطاق ضيق جداً بين القبائل البدوية ، ولم تنم نمواً سريعاً يخلع عليها صفة القياس والاطراد ، حتى إن النحويين حكموا

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ١٠٠.

(٢) فى القاموس (مادة حلاً) : حلاً السويق تحليلاً وتحللة: حلاه. همزوا غير مهموز لأنه من الحلواء. بتصرف .

(٣) لحن العامة والتطور اللغوى د. رمضان عبد التواب ص ١٢٧ ، ١٣٠.

(٤) فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص ٢٢٣.

عليها بالشذوذ ، وعدم الاطراد ، يقول الشيخ زكريا الأنصارى فى شرح الشافية :
«وأما نحو دأبة ، وشأبة ، والعالم فى قول العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمى ثم اسلمى فخنذف هامة هذا العالم^(١)
ويأز : فهمزته مبدلة من ألف ، لكنها منقلبة عن واو فى «بأز» ؛ بدليل أبواز ،
وشئمة : بإبدال همزته من ياء ، ومؤقد ، ومؤسى : بإبدالها من واو فى قوله :
(أحب المؤمنين إلى موسى)^(٢)
.....
فشاذ جائز غير مطرد»^(٣).

* * *

والروايات التى بين أيدينا تشير إلى أن ظاهرة التهميز كانت مقصورة على
البدويين المتوغلين فى البداوة ، والقريبيين منهم ، وتشير أيضاً إلى أن القيسيين كانوا
أكثر ميلاً إلى التهميز من غيرهم ، فقد «روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون

(١) البتان من الرجز المشطور، وهما فى ديوان العجاج ٥٨ ، ٦٠ ، والمتجد فى اللغة ص ٣٠ ، وسر
صناعة الإعراب ١٠١ ، والخصائص ١٩٦/٢ ، ٢٧٩ ، وشرح ابن يعش ١٢/١٠ ، ١٣ ، وشرح
شواهد الشافية للبغدادى ٤٢٨ ، والإنصاف ١٠٢/١ ، والمقرب ١٦٠/٢ ، والممتع ٣٢٤/١ ، والمناهج
الكافية فى شرح الشافية للشيخ زكريا الأنصارى ٤٩٧ ، والموشح ١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ ، وضبط فى
شرح ديوان العجاج ٢٩٩ (هذا العالم) بالهمز، قال المحشى - هكذا كان ينشده العجاج:

فخنذف هامة هذا العالم قوم لهم عز السنام الأستم

والهام: جماعة الناس، ورواه ابن دريد بدون الهمز فى جمهرة اللغة ٢٦٦/٢ ثم قال: «وهذا سناد
قبيح»، وعلق المحقق بأنه كان ينشده العالم بالهمز فراراً من هذا.

(٢) صدر بيت من بحر الوافر، قاله جرير بن عطية بن الخطفى الكلبى اليربوعى، من قصيدته التى
يمدح بها هشام بن عبد الملك، وتمامه: (وجعلة لو أضاءهما الوقود)، وفى رواية المعرى:
(وحزرة لو أضاء لى الوقود)، وموسى، وجعلة (أو حزرة): ولدان من أبناء جرير، وقبل البيت:

نظرنا نار جعدة هل نراها أبعد غال ضوءك أم همود

ينظر: ديوان جرير ٢٨٨ والرواية فيه:

(أحب الوافدان وجعدة إذ)

وينظر: الخصائص ١٧٥/٢ - ١٤٦/٣ ، ١٤٩ ، ٢١٩ ، وسر الصناعة ٩٠/١ ، ورسالة الملائكة
ص ١٢ ، والمحتسب ٤٧/١ ، والمخصص ١٣/١٤ ، والممتع لابن عصفور ٩١/١ ، والمقرب له
١٦٣/٢ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٤٢٩ ، ومغنى اللبيب ٦٨٤/٢ ، وشرح شواهد المغنى
للسيوطى ٩٦٢/٢ ، والمناهج الكافية ٤٩٨ ، والمعجم المفصل ٢٩٠/٢ .

(٣) المناهج الكافية فى شروح الشافية ج ٢ ص ٢٢٢ .

ما لا همز فيه ، إذا ضارع المهموز ، قال : وسمعت امرأة من غنى تقول : رثأت زوجى بأبيات ، كأنها لما سمعت رثأت اللبن ، ذهبت إلى أن مرثية الميت منها^(١) » وقبيلة غنى هذه التى أثر عنها التهميز ينتهى نسبها إلى قيس بن عيلان ، فهى غنى ابن أعصر بن سعد بن قيس^(٢) ، إحدى القبائل البدوية التى كانت تسكن فى وسط الجزيرة ، فى جوار تميم وأسد ، وقد أثر التهميز عن قبيلة غنى أيضاً فى كلمة (ضئزى) ، قال أبو زيد : سمعت رجلاً من غنى يقول : هذه قسمة ضئزى^(٣) ، وقد وردت هذه اللهجة الغنوية فى إحدى قراءات القرآن الكريم ، حيث قرأ ابن كثير^(٤) ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ (النجم: ٢٢) : ضئزى بالهمز . ويظهر أن تهميز الأفعال ولا سيما المعتل الآخر منها كان شائعاً فى نطق قبيلة قيس ، يقول ابن جنى عند قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ (البقرة: ١٦) : « وقيس تقول : اشتروا الضلالة »^(٥) وقد فسر ذلك بقوله : ينبغى أن يكون ذلك على إجراء غير اللازم مجرى اللازم ، أى شبهت حركة التقاء الساكنين وليست بلازمة ، بالضمة اللازمة فى أقت ، وأدور ، وأجوه ، إلا أن همز (اشتروا الضلالة) من ضعيف ذلك ، ولكن هناك وجهاً آخر قرئت به الآية ، وهو فتح الواو والهمز ، وهو لغة عن الكسائى^(٦) ، ولا ينطبق عليه تفسير ابن جنى السابق ، وذلك يدعو إلى البحث عن تفسير آخر يتناول جميع هذه الأوجه ، وربما لا نخطئ إذا قلنا إن سر التهميز لا يكمن فى الضمة التى على الواو ، وإنما الذى يحتمل هو أن قبيلة قيس كانت تميل إلى همز الألف فى آخر الفعل المعتل ، فكما كانت تقول فى رثيت رثأت ، وفى حليت : حلأت ، وفى لبيت : لبأت ، كانت تقول فى الفعل (اشتري) اشتراً ،

(١) لسان العرب ج ١ ص ١٠.

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى - السفر الثانى ص ٣٤٣.

(٣) المخصص لابن سيده ج ١٢ ص ٢٠٧.

(٤) البحر المحيط ج ٨ ص ١٦٧.

(٥) المحتسب لابن جنى ج ١ ص ٥٥.

(٦) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ٢.

بالهمز ، وتبقى هذا التهميز بعد إسناد الفعل إلى ضمير الجماعة ، وقد تقول قيس
 فى اسم الفاعل من هذا الفعل (مشتري) بالهمز ، وعليه يوجّه قول الشاعر :
 كمشتريء بالحمد ما لا يضره^(١)

قال أبو العباس أحمد بن يحيى : هذه لغة من يهمز ما ليس بمهموز . ومن هذه
 اللهجة التى تهمز الفعل المعتل الآخر ما حكاه أبو العباس أيضاً :

وكننت أَرْجَى بئر نعمان حائراً فلوأ بالعينين والأنف حائراً^(٢)
 أراد لَوَى فهمز . ويحتمل أن تكون من هذا القبيل القراءة التى أشار إليها
 ابن خالويه فى قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنُّواْ أَلَمُوتْ ﴾ (الجمعة: ٦) حيث قال « قرأ يحيى
 ابن يعمر واليماني بكسر الواو ، وقرأ بالهمز بعض الأعراب حكاه الكسائي »^(٣) .
 وفى نظرى أن هؤلاء الأعراب ، كانوا يقولون فى الفعل تمنى : تمنأ ، ثم أبقوا
 التهميز فى الفعل بعد إسناده ، ولكن يظهر أن تهميز الأفعال المختومة بالألف كان
 قليلاً فى لسان من ينطق به من أعراب قيس ، بدليل أن الروايات التى وردت به قليلة
 جداً ، وأن القراءات التى وردت بذلك معظمها من الشاذ ، ومن أجل ذلك تجاوز
 النحاة إلى تلحينهم وتغليظهم ، قال الزجاج : « فأما من يبدل من الضمة همزة

(١) الشطر من بحر الطويل، غير منسوب فى لسان العرب ٢١/١ (حرف الهمزة من المقدمة) وكذلك
 فى المعجم المفصل ٥٨٠/١٢ .

ويروى مثل هذا الشاهد من بحر الطويل فى كتاب الخصائص ٢٧٩/٣ ، والمحاسب ٤٢/٢ ،
 وشرح شواهد البغدادى على شافية ابن الحاجب ص ٤٠٢ :
 كمشتريء بالخيل أحمره بئرا

وفى ص ٤٠٩ رواية أخرى هى (كمشتري) من غير همز، قال: والقياس فيه (كمشتري) بحذف الياء
 والتنوين، ورواه ابن عصفور فى كتاب الضرائر (كمشتريء) بالهمز والتنوين.

(٢) البيت من بحر الطويل، غير منسوب فى مقدمة لسان العرب ٢١/١ (حرف الهمزة)، وهناك رواية
 أخرى ذكرها أبو العلاء المعرى فى سالة الملائكة ص ٢١٩ :

وكننت أَرْجَى بعد نعمان جابراً فلوأ بالعينين والأنف جابراً

وهى فى اللسان (لوأ)، وفى تهذيب اللغة وتاج العروس (لوى)، وفى المعجم المفصل ٢١٥/٣ .

(٣) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٥٧ .

فيقول اشتروا الضلالة ، فغالط^(١) » وقال ابن خالويه : ﴿ أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ ﴾ (البقرة: ١٦) بكسر الواو : يحيى بن يعمر ، وأبو السمال بفتحها ، والهمز لغة عن الكسائي ، وهو عند البصريين لحن^(٢) . فكيف يكون ما ورد في القراءات القرآنية غلطاً أو لحناً؟؟ الواقع أن النحويين دائماً يحكمون قواعد وأصول اللغة النموذجية في كل ما ورد عن العرب مع أنه ينبغي أن نفصل بين مستوى اللغة المثالية ، لغة القواعد ، وبين مستوى اللهجات الخاصة ببعض العرب دون بعض ، فما قال عنه النحويون إنه غلط أو لحن ما هو إلا لهجة خاصة بأعراب قيس ، وما كان لهم أن يصدروا حكماً بالغلط أو بالتحين على صفة لهجية لم تتخذها اللغة النموذجية صفة من صفاتها ، ولا سيما أنها وردت في القراءات ، ولا يمكن تلحين القراءات أو تغليطها وإن أمكن وصفها بالشذوذ ، ومن هنا لا يمكن أن نبرر موقف النحويين المتشدد من هذه اللهجة اللهم إلا إذا كانوا يقصدون بالغلط أو باللحن عدم جريانها أو اطرادها في اللغة الفصحى ، وعلى أساس هذا الفهم وحده يكون موقفهم سليماً من القراءات القرآنية أولاً ، ومن الظاهرة اللهجية ثانياً .

ومن التهميز أيضاً ما رواه الأزهري بإسناده عن الفراء ، قال : سمعت أعرابياً من بنى سليم ينشد :

فإنَّهَا حَيْلُ الشَّيْطَانِ يَحْتَلُّ^(٣)

قال : وغيره من بنى سليم يقول يحتال بلا همز ، قال : وأنشدني بعضهم :

يا دارمى بدكاديك البَرْقُ سَقِيًّا وَإِنْ هَيَّجَتْ شَوْقُ الْمُشْتَقِ^(٤)

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ ص ٥٧.

(٢) مختصر في شواذ القراءات ص ١٠.

(٣) البيت من بحر البسيط، ونسبه ابن منظور في لسان العرب (حول) لأعرابي من بنى سليم، وكذلك الأزهري في تهذيب اللغة (حول)، والمعجم المفصل ٤٨٧/١٢.

(٤) هما من الرجز، ويروى « صبرا » مكان « سقيا » والمعنى أعطينى صبراً، والمعنى على الرواية المثبتة: سفاك الله سقياً - وهما في سر صناعة الإعراب ١٠٢ والخصائص ١٤٥/٣، وشرح شواهد البغدادى على شافية ابن الحاجب ١٧٥، ٤٢٧، ولسان العرب وتاج العروس (شوق)، --

فقولهم يحتل بدلاً من يحتال ، والمشتق بدلاً من المشتاق ، يدل على أنهم كانوا يميلون إلى تهميز الفعل الأجوف ، وما أخذ منه ، ولا يقال إن التهميز فى هذين اللفظين كان من أجل إقامة الوزن الشعرى ، لأن عين الفعل يحتال تقابل فى الوزن العين من (فاعِلن) وهى لا تكون إلا متحركة ، فأبدل من الألف ما يقبل الحركة وهو الهمزة ؛ لأن الشاعر كان فى إمكانه أن يقيم الوزن بإبدال الألف ياء ، أى كان يقول : يحتل بالياء . وكذلك لا يرد الاعتراض فى المشتق لأن ألف المشتاق وإن كان يقابل فى وزن العروض اللام من (مستفعلن) ، وهى لا تكون إلا متحركة ، فكان على الشاعر أن يبدل منها ما يقبل الحركة ، نقول كان بإمكانه أن يبدل منها واواً فيقول المشتوق ، وفى ذلك رجوع إلى الأصل فى الإعلال ، لكنه لما لم يفعل ذلك ، حكمنا بأن ما ورد فى هذين البيتين من التهميز الذى ورد فى لسان أعراب قيس ، ولا سيما أن بنى سليم من قيس ، بل « هم أكثر قبائل قيس عدداً »^(١) ومن التهميز أيضاً ما أثر عن أبى حية النميرى ، فقد حكى ابن سيده فى المخصص قال : « وزعم الفارسى عن بعض الأشياخ أراه محمد بن يزيد أن أبا حية النميرى ، كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة ، وإن لم يكن لها أصل فى الهمز ، وكان ينشد :

أحب المؤقدين إلى مؤسى

... وعليه وجه قراءة من قرأ « فاستوى على سؤقه » و « عاد اللؤلؤ »^(٢) ، ومن هذا النص نفهم أن تهميز الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، كان مطرداً فى لهجة من

== (حول) وتهذيب اللغة (حال)، والد كاديك: جمع الدكدك وهو الرمل المتلبد فى الأرض لم يرتفع. والبرق جمع برقة وهى غلظ فى حجارة ورمل. وقال البغدادى فى شرح شواهد على الشافية ص ١٧٦: قال ابن المستوفى: هذان البيتان أنشدهما القراء لرؤية ، ومثله من الرجز :

سُقيت من وُذِق السحاب المنبعق

يكاد قلبى من هبواك يحترق

كذا دعاء كل صبّ مشتق اهـ

(١) قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص ٦٧.

(٢) المخصص ج ١٤ ص ١٣.

ينطق به من العرب كأبى حية المذكور ، وبالطبع ما ينطبق على أبى حية النميرى ينطبق على كثير من أفراد بنى نمير ، الذين ينتسب إليهم أبو حية ، لأنه من غير المعقول أن ينفرد شخص فى قبيلة ما بما يخالف لهجة قومه ، وقد قرأ أبو حية بهذه اللهجة قوله تعالى : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ٤) قال ابن خالويه « قرأ أبو حية النميرى بهمزة ساكنة بدل الواو »^(١) أى قرأ « يؤقنون » . يبقى بعد ذلك أن نقول إن التهميز فى لسان بنى نمير ليس خارجاً عن المألوف فى لسان القبائل البدوية ، لأنهم كانوا يعيشون فى وسط الجزيرة العربية مجاورين لتميم وأسد ، كما أنهم ينتسبون إلى قيس بن عيلان ، وعلى التحديد هم « بطن من عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصفة بن قيس عيلان ، وهم من جمرات العرب الثلاث ، كانت منازلهم بنجد ، ولهم كثرة وعزة فى الجاهلية والإسلام ، ثم دخلوا إلى الجزيرة الفراتية »^(٢).

وقريب من لهجة بنى نمير ما حكاه صاحب لسان العرب عن بنى عقيل ، قال : « وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت »^(٣) « والشاهد فى هذه الرواية لفظتا المؤسى^(٤) والحؤت ، لأنهما اللتان وردتا بغير الهمز فى اللغة المثالية ، فالأولى ذكرها صاحب القاموس فى مادة (المؤس) ولم يذكرها فى (مأس)^(٥) ، وذكر الثانية فى مادة (الحوت)^(٦) ، ولم يذكر مادة (حأت) مما يدل على عدم ورود المهموز فى اللغة المثالية ، أما الفأرة فلا شاهد فيها ، لأنها مهموزة فى لغة كل العرب المحققين ، وتذكر فى المعاجم تحت مادة (الفأر)^(٧) ، وكذلك الجؤنة

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص ٢.

(٢) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٣ ص ١١٩٥ (بتصرف).

(٣) اللسان ج ٦ ص ٣٤٨.

(٤) هى الآلة الحديدية، مشتقة من أوسيت أى حلقت عند البصريين، وعند الفراء هى فُعلى من الميس، وعليهما فأصلها عدم الهمز، أما إن اشتقت من أسوت الجرح أى أصلحته فأصلها مؤسى

بالحمز. انظر: رسالة الملائكة ص ١٣ (التحقيق).

(٥) انظر القاموس المحيط ج ٢، ص ٢٥٠، ص ٢٥٢.

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٦.

(٧) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٦.

لا شاهد فيها لأنها مما أصله الهمز»^(١)، والتهميز أيضاً فى لهجة بنى عقيل أمر طبعى لأنها من قبائل شرق الجزيرة العربية التى تنتسب إلى قيس «فهم بنو عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .. كانت مساكنهم بالبحرين ، ثم ساروا إلى العراق وملكوا الكوفة ، والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل وملكوا تلك البلاد وبقيت المملكة بأيديهم حتى غلبهم عليها الملوك السّلاجوقيون»^(٢).

* * *

ومثل ذلك الذى أثر عن قبائل قيس من تهميز الواو الساكنة المضموم ما قبلها أثر عن بنى أسد ، فقد كانوا يقولون فى لفظة يونس (يؤنس) بضم النون وهمز الواو ، حكى ذلك عنهم أبو حيان ، فى الكلام عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا ﴾ (النساء: ١٦٣) قال : «وبعض العرب يهمز ويكسر النون ، وبعض أسد يهمز ويضم النون»^(٣) فالبعض الأول فى هذا النص ، يجوز أن يكون من قيس أو من إحدى بطونها ، لأن القيسيين كما سبق أن قلنا ، أكثر العرب تهميزاً ، ولأن أحد بطونهم ، وهم بنو نمير ، كانوا يهمزون كل واو ساكنة قبلها ضمة ، كما حدثت رواية ابن سيده السابقة ، فلا يبعد أن يكون قارئ «يونس» بالهمز وكسر النون ، قد تأثر بلهجة قيس ، إن لم يكن منهم ، وقد يرجح ذلك أن صاحب هذه القراءة هو طلحة ابن مصرف ، وهو أيضاً قارئ «يوسف» بالهمزة وكسر السين^(٤) ، فى قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٨٤) وطلحة هذا قارئ كوفى (ت ١١٢هـ)^(٥) ، فلا يبعد أن يكون قد سمعها من بعض أفراد قيس الذين كانوا يسكنون الكوفة .

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٠٨.

(٢) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٢ ص ٨٠١.

(٣) البحر المحيط ج ٣ ص ٣٩٧.

(٤) طبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٣٤٣.

(٥) مختصر فى شواذ القراءات ص ٣٠.

ومما أثر عن بنى أسد أيضاً ما حكاه أبو حيان إذ قال : « قرأ عاصم والأعمش ، ويعقوب فى رواية ، بالهمز فى يأجوج ومأجوج ، وكذا فى الأنبياء ، وهى لغة بنى أسد ، ذكره الفراء ، قيل ولا وجه له إلا اللغة المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العالم والخاتم ، وقرأ باقى السبعة بألف غير مهموزة وهى لغة كل العرب غير بنى أسد »^(١) والاستشهاد بهاتين اللفظتين هنا ، يصح على رأى من جعل ألفهما زائدة ، واشتقهما من المج والبيج ، بوزن فاعول ، أما من جعلهما مشتقين من أج النار ، أو من الأجة وهى سرعة الاختلاط أو شدة الحر ، أو من الأج وهو سرعة العدو ، فلا يصح الاستشهاد بهما على قوله ، لأن النبر فيهما يكون من الهمز المحقق وليس من التهميز ، ويبدو لى أن احتمال أخذهما من المج والبيج هو الأرجح ، كما هو ظاهر رواية أبى حيان ، لأنه لو صح التحقيق فى لغة بنى أسد ، لا يصح أن يكون التخفيف لغة كل من عداهم من العرب ، بدويين وحضرين ولأن وزن فاعول فى اللغة أكثر من وزن يفعول ، فالتهميز فيهما احتمال قوى على لغة بنى أسد .

* * *

كذلك أثر التهميز عن قبيلة تميم ، فقد « روى أن قريشاً كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل ، وسعد بن بكر وكنانة ، يقولون سورة بغير همز ، بينما تميم يهمزون فيقولون سورة »^(٢) وهذا اللون يشبه ما جاء عن قيس وأسد من تهميز الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، وقد جاء ذلك عن رؤية فى بيته المشهور :

أحب المؤقدين إلى موسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود

ورؤية هذا تميمي^(٣) ، فلا غرابة أن يقول فى الموقد : المؤقد ، وفى موسى : موسى . ويمكن أن تحمل على هذه اللهجة قراءة قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا ﴾ (القصص: ١٠) حيث حكى فيها موسى بالتهميز^(٤) . وقد أثر عن

(١) البحر المحيط ج ٦ ص ١٦٣ .

(٢) مقدمتان فى علوم القرآن ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٣) انظر رغبة الأمل من كتاب الكامل للشيخ المرصفى (سيد بن على) ج ١ ص ٩٨ . الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م مطبعة النهضة .

(٤) انظر المحتسب لابن جنى ج ٢ ص ١٤٨ .

تميم أيضاً تهميز الياء الساكنة المكسور ما قبلها ، كقولهم فى (الشَّيْمة) التى هى الطيعة : (شُمة) ، حكى ذلك أبو زيد والليحاني^(١)، ومن هذا القبيل قولهم : (المِشار) ، فقد « زعم الفارسى أن تميماً تهمز المِشار (أى تقول المِشار) وغيرهم لا يهزموه »^(٢) ويبدو أن قبيلة تغلب كانت تشارك تميماً فى تهميز هذا اللفظ ، نفهم ذلك من قول الشاعر :

لقد عِيل الأيتام طعنةً ناشرةً أنا شر لا زالت يمينك آشرة^(٣)

أى لا زالت يمينك مأشورة ، قال ابن برى : هذا البيت لنائحة همام بن مرة ابن ذهل بن شيان . ويغلب على الظن أن هذه النائحة من قبيلة تغلب ، لأن المبكى عليه همام بن مرة من تغلب ، ولا شك فى أنها كان تنطق (المِشار) بالتهميز ، لأنها لو كانت تقول (المنشار) بالنون كما هو شائع بيننا الآن ، لقاتل فى عجز البيت السابق ، لا زالت يمينك ناشرة : أى منشورة ، ولو كانت لهجتها (المِشار) بالياء ، لقاتل : لا زالت يمينك واشرة ، أى موشورة . هذا وليس التهميز بغريب فى لهجة تغلب ، لأن نسبها ينتهى إلى أسد بن ربيعة ، كما أنها كانت تسكن بالجزيرة الفراتية ، بجهات سنجار ونصيبين ، مما يعرف بديار ربيعة^(٤) . كذلك روى عن تميم أنها كانت تقلب الألف المتطرفة همزة فى حالة الوقف ، فتقول فى حرف النفى (لا) (لأ)^(٥) ، وفى لفظ (العلى) : (العلأ) وغيرهم يبقوها على حالها^(٦) . فتميم إذن أثر عنها التهميز فى حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء .

(١) انظر الخصائص ١٤٥/٣ ، واللسان شام ٢١٧٨/٤ - والمناهج الكافية فى شرح الشافية للشيخ زكريا الأنصارى ٤٩٨ رسالة دكتوراه، تحقيق د/ محمد إبراهيم محمد عبد الله.

(٢) مقدمة كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ١٤.

(٣) البيت من بحر الطويل، قالته نائحة همام بن مرة من بكر بن وائل، ويقال إن أم همام قالته، ينظر: الخصائص ١٥٢/١. إصلاح المنطق ١٤. لسان العرب (أشر)، والصحاح (أشر)، وتاج العروس (أشر).

(٤) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ١ ص ١٢٠ (بتصرف).

(٥) تاريخ الأدب للأستاذ حفى ناصف ص ٢٧.

(٦) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ص ١٤ بالهامش. ط: الخامسة.

وقد جاء التهميز كذلك فى لهجة بنى كلب ، « قال أبو زيد وسمعت رجلاً من بنى كلب يقول هذه دأبة ، وهذه امرأة شأبة ، فهمزوا الألف فيهما »^(١) ولو نظرنا فى معجم القبائل العربية لوجدنا أن عدة قبائل تسمى بهذا الاسم ، تنتسب إلى خثعم وغطفان وجهينة وبجيلة وقضاة ، والأقرب إلى الصواب أن تكون هذه القبيلة هى كلب بن وبرة من قضاة ، لأنها كانت تنزل دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام^(٢) فهى بدوية ، أما خثعم وغطفان وجهينة وبجيلة فكلها من القبائل التى كانت تسكن بلاد الحجاز .

* * *

وجاء التهميز أيضاً فى لهجة طيى ، فقد كانت تقف على الألف المتطرفة بالهمزة ، قال أبو حيان وبعض طيى أيضاً يقلبها همزة ، يقول : هذه أفعأ ، ورأيت أفعأ ، ومرت بأفعأ ، وليس من لغته التخفيف ، قال سيويوه وكذلك كل ألف فى آخر الاسم^(٣) فقول أبى حيان عن لهجة هذا البعض من طيى : وليس من لغته التخفيف يفهم أن تهميز الألف فى حالة الوقف هو لهجتهم التى لا يعرفون غيرها ، فهم لا يقولون (أفعى) بالألف كما يقول كل العرب ، وقول سيويوه يفهم منه أن التهميز عندهم ليس مقصوراً على هذا اللفظ وحده ، وإنما هو عام فى كل ما كان منتهياً بالألف ، ولا نعجب من ذلك إذا عرفنا أن طيئا قبيلة قحطانية ، كانت منازلهم باليمن ، ثم خرجوا منه ونزلوا فى جوار بنى أسد ، ثم غلبوهم على أجأ وسلمى ، فاستقروا بهما ، ثم ورثوا من بلادهم فيما وراء الكرخ من أرض غفر ، ثم ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة ، وورثوا غطفان فيما يلى وادى القرى ، وبعبارة أخرى ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً^(٤) ، فطيى إذن قبيلة كبيرة خالطت بنى أسد وبنى تميم واستقرت فى وسط

(١) لسان العرب ج ٨ ص ١٤ من الطبعة القديمة (ج ن ن).

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٣ ص ٩٩٠ ، ص ٩٩١ .

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٢٢٥ .

(٤) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٢ ص ٦٨٩ ، ص ٦٩٠ (بتصرف).

الجزيرة وفي الحجاز ، فاحتمال أن يكون البعض الذى من لهجته التهميز ممن كانوا فى وسط الجزيرة ، مجاورين لتميم وأسد أمر غير بعيد .

* * *

بقيت رواية واحدة وهى تفيد أن التهميز وجد فى لسان (عكل) التى كانت تقول : ترقوه بالهمز وأصلها ترقوه^(١) . وعكل هذه إحدى بطون قبيلة الرباب ، والرباب إحدى بطون خندف ، وكانت الرباب تعيش بالدهناء^(٢) ، فهى من قبائل شرق الجزيرة ، ويمكن أن يوجد التهميز فى لهجتها .

تعقيب :

أولاً : من خلال الروايات السابقة يؤخذ أن التهميز من اللهجات الخاصة بالأعراب البدويين ، فى قبائل قيس ، وغنى ، وسليم ، وبنى عقيل ، وبنى نمير ، وأسد ، وتغلب ، وتميم ، وكتب ، وطىي ، وعكل ، وأنه أكثر ما يكون فى لهجات قيس وبتونها .

ثانياً : من النظر فى تلك الروايات يستفاد أن التهميز يقع فى الأسماء أكثر منه فى الأفعال ، وأنه يقع فى حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء ، إلا أنه فى الواو الساكنة المضموم ما قبلها أكثر منه فى غيرها ، بدليل أن الكلمات التى من هذا اللون اشترك فى تهميزها أكثر من قبيلة واحدة ، مثل أسد وتميم وبنى عقيل ، وبنى نمير ، وأكثرهم تهميزها له هم بنو نمير .

ثالثاً : إذا وردت بعض أمثلة للتهميز ، ولم تنص الرواية على نسبتها إلى قبائلها يمكن بعد النظر المتأنى فيها ، ردها إلى الناطقين بها ، من القبائل السابقة فإذا حكى^(٣) لنا ابن خالويه فى تشيية اسمى الإشارة والموصول هذآن ، بالهمزة وتشديد النون ، واللدآن مهموز عن بعضهم ، فى قراءة قوله تعالى :

(١) الخصائص ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٢) راجع ص ٤٩ ، ٥٠ ج ١ من كتاب العرب وأطوارهم الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى .

(٣) انظر مختصر فى شواذ القراءات ص ٢٥ .

﴿ هَذَا خَصْمَانِ ﴾ (الحج: ١٩)، وقراءة قوله تعالى : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَاقِهُمَا ﴾ (النساء: ١٦)، أمكن بعد التأمل فى هاتين القراءتين ، ردهما إلى لهجة تميم وقيس ، لأن سائر العرب ينطقها بتخفيف النون : هذان والذان ، « وتميم وقيس تشدد النون فيهما »^(١) فالظاهر أن تهميز الألف فيهما مع التشديد ، من قراءات بعض الأعراب فى هاتين القبيلتين .

رابعاً : إن التعليل للتهميز بأنه من باب التوهم كما قال الفراء^(٢) ، أو بأنه من المبالغة فى التفصح^(٣) ، أو المبالغة فى التمدن^(٤) ، أو من القياس الخاطئ - إن كل ذلك لا يفسر السبب الجوهرى لحدوث التهميز ، وإنما يشرح الظروف الخارجية ، التى صاحبت ظاهرة التهميز ، أما السبب الحقيقى فيه ، فهو أمر يتعلق بالمقاطع ، واستساغة بعضها أكثر من البعض الآخر فى لسان الأعراب البدويين ، وفى نحو (أفعى ، والعلى ، ولا) التى ينطقها البدو بالهمزة بدلاً من الألف فى حالة الوقف ، يمكن أن يكون السبب فى تهميزها هو إثارة المقطع المقفول على المقطع المفتوح فى أواخر الكلمات ، وفى نحو (يوقنون ، ويونس ، ويوسف ، وموسى ، وحوث ، وسورة وموقد ، وميثار ، وضيضى) يمكن أن نعلل التهميز بإثارة المقطع المقفول أيضاً على المفتوح فى أوائل الكلمات ، وفى نحو (شابة ، ودابة ، وهذان ، والذان) يمكن أن يعلل لتهميزها بالتخلص من المقطع الطويل المقفول ، وذلك بتقسيمه إلى مقطعين أقصر منه ، أحدهما مفتوح والآخر مقفول ، وهكذا .

* * *

ثالثاً : قبائل التحقيق :

قلنا فى صدر الحديث عن التهميز إن تحقيق الهمز هو المحافظة على الهمزة فى الكلمة المهموزة أصلاً ، ونلاحظ ابتداءً أن الروايات التى تنسب الهمز المحقق إلى

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص ٢٥ .

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٠ .

(٣) لحن العامة والتطور اللغوى ص ١٢٩ .

(٤) بقايا اللهجات العربية د. أنوليمان ص ٢٢ مجلة كلية الآداب المجلد العاشر الجزء الأول مايو

١٩٤٨ م .

قبائله روايات قليلة ، إذا ما قورنت بروايات التهميز ، أو بروايات التسهيل ، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن اللغة النموذجية حرصت على تحقيق الهمز في أدائها اللغوي ، فكان أمراً مألوفاً ، ومن هنا لم تكن برواة اللغة حاجة إلى أن ينصوا على نسبة الألفاظ المهموزة إلى الناطقين بها من القبائل العربية ، لأنها خرجت من دائرة اللهجة إلى دائرة اللغة ، ولأنه قد اشتهر أن القبائل البدوية هي التي تحقق الهمز وتحافظ عليه ، وبذلك يمكن التماس العذر لرواة اللغة في قلة الروايات التي وردت عنهم في نسبة الهمز المحقق إلى قبائله .

ومن تلك الروايات القليلة ما جاء في المزهر للسيوطي ، من أن أهل الحجاز يقولون (سل ربك) وأن تميماً تقول (اسأل)^(١) . فتميم وهي قبيلة بدوية تحافظ على الهمزة في هذا الفعل ، بينما يتخلص منها أهل الحجاز بالنقل والحذف ، كما هو القياس عند النحويين ، وقد وردت قراءة هذا الفعل في القراءات^(٢) بكلتا اللهجتين ، إذا كان واقعاً بعد واو العطف أو فائه ، في كل مواضعه من القرآن ، فابن كثير والكسائي وخلف يقرءونه بالنقل والحذف على لهجة الحجازيين ، أما بقية القراء العشرة فيقرءونه بتحقيق الهمزة على لهجة بني تميم ، وإذا لم يسبق بالواو أو بالفاء ، فالظاهر أن الجميع يقرءونه على لهجة أهل الحجاز ، بدليل قراءة حفص عن عاصم ﴿ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ (البقرة: ٢١١) ، من غير همز على النقل والحذف . وجاء في المزهر أيضاً أن أهل الحجاز يقولون : جونة بلا همز ، وأن تميماً تقول : جؤنة بالهمز^(٣) ، وجاء فيه أيضاً أن الحجازيين يقولون : الوكاف ، وقد أوكفت ، وأن تميماً تقول : الإكاف وقد آكفت ، وأن الحجازيين يقولون أوصدت الباب ، إذا أطبقت شيئاً عليه ، وأن تميماً تقول : آصدت . وأن أهل الحجاز يقولون : وكدت توكيداً ، وأن تميماً تقول أكدت تأكيداً^(٤) . فالتميميون كما يدل هذا النص يبدلون من الواو المكسورة في أوائل الكلمات همزة ، ويدل على ذلك أيضاً ما جاء في لسان العرب ، قال «الوقت ، والوقيطة : حفرة في غلظ أو جبل ، يجتمع فيه ماء

(٢) انظر تقريب النشر في القراءات العشر ص ٣٧ .

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ١٧٦ .

(١) المزهر ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) المزهر ج ٢ ص ١٧٦ .

السماء ، والجمع وقطان ، ووقاط ، وإقاط ، الهمزة بدل من الواو ، ولغة تميم فى جمعه الإقاط مثل إشاح ، يصيرون كل ما ورد على هذا المثال ألفاً^(١)، وعلى هذه اللهجة جاء قول رؤبة :

إن لنا أحمرة عجافاً يأكلن كل ليلة إكافاً^(٢)
ففى كلمة (إكاف) أبدل من الواو المكسورة همزة ، لأن أصلها (وكاف) ورؤية فى هذا يجرى على لغة قومه ، لأنه من بنى تميم .

وقد ورد مثل هذا الإبدال أيضاً فى لهجة هذيل ، قال أبو حيان فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف: ٧٦) (وقرأ سعيد بن جبير ، من إعاء أخيه ، بإبدال الواو المكسورة همزة ، كما قالوا إشاح وإسادة ، فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل ، يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولاً همزة^(٣) ، واطراد ذلك عند هذيل يمكن أن نعتبره أثراً من آثار اللغة الفصحى ، أو يمكن أن يكون السبب فيه هو مجاورتها للقبائل البدوية ، ولا سيما أن هذيلاً من القبائل التى امتلكت مياها وأماكن فى جهات نجد وتهامة^(٤) وكانوا يجاورون فى جبالهم قبيلتى فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان^(٥).

(١) اللسان ج ٩ ص ٣١٥.

(٢) البيتان من الرجز، وهما فى ديوان رؤبة بن العجاج ص ٢٧٧، ونسبا فى شرح شواهد الشافية ص ٣٦٧ مع آخرين إلى أبى حزابة الوليد بن خنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة من بنى تميم من شعراء الدولة الأموية، وهما غير منسوبين فى لسان العرب وتاج العروس (أكف).

وعلى تلك اللهجة التميمية التى تبدل من الواو المكسورة همزة جاء قول العجاج:

حتى إذا ما آضَ ذا أغراف

كالكوذن المشدود بالوكاف

قال الذى عندك لى صوافى

الشاهد فيه بالوكاف، حيث يروى بالإكاف، بالهمزة المكسورة فى مكان الواو المكسورة، ووكاف الحمار وإكافه: برذعته - انظر ديوان العجاج ص ٤٠ والمحتسب ٨٢/٢ .

(٣) البحر المحيط ج ٥ ص ٣٧٢.

(٤) معجم ما استعجم (ج ١ ص ٨٨).

(٥) قلائد الجمان ص ١٣٤.

ومن القبائل التي تحقق الهمزة أيضاً ، قبيلة طيء ، جاء في لسان العرب «السُّودْدُ : الشرف معروف ، وقد يهمز وتضم الدال طائية ، قال الأزهرى : السُّودْدُ بضم الدال الأولى لغة طيء»^(١) ، والمقصود بطيء في هذا النص بعضهم ممن كانوا يعيشون في قلب الجزيرة ، مجاورين لتميم وأسد ، وليس المقصود أن جميعها ينطق بالهمز المحقق ، لأن طيئاً قبيلة عظيمة ملكت ديار تميم وأسد وغطفان ونزلت العراق والشام والحجاز^(٢) . ومن القبائل التي نسب إليها التحقيق أيضاً تيم الرباب ، قال صاحب اللسان : اجتمعت العرب الذين يهزمون والذين لا يهزمون ، على ترك الهمز كقولك : يرى ، وترى ، ونرى ، وأرى ، قال وبها نزل القرآن ، إلا تيم الرباب ، فإنهم يهزمون مع حروف المضارعة ، فتقول : يراى ، وترأى ونراى ، وأراى ، وهو الأصل ، فإذا قالوا : متى نراك قالوا : متى نراك مثل نراك ، وبعض العرب يقلب الهمزة قلباً مكانياً ، فيقول : متى نراؤك مثل نراك ، قال ابن سيده : وأنشد شاعر تيم الرباب : قال ابن برى هو للأعلم بن جرادة السعدى :

ألم ترأ ما لاقيت والبدهر أعصر ومن يتملّ العيش يرأ ويسمع^(٣)

فإذا جئت إلى الأمر ، فإن أهل الحجاز يتركون الهمزة فيقولون : رذلك ، وللاثنين ريا ذلك ، وللجماعة روا ذلك ، وللمرأة رى ذلك ، وبنو تميم يهزمون جميع ذلك فيقولون إرأذلك ، وإرايا ، ولجماعة النساء إراين^(٤) . نعم قد يستفاد من هذه الرواية أن قبيلة تيم الرباب هي التي كانت تقول في المضارع وحدها ترأى بالهمز على الأصل ، ولكن ما نقله شارح شواهد الشافية عن أبى زيد يفيد

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٢١٣ .

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٢ ص ٦٨٩ ، ص ٦٩٠ .

(٣) البيت من بحر الطويل ، منسوب إلى الأعلم بن جرادة السعدى فى نوادر أبى زيد ١٨٥ ، ١٨٦ ، ويلا نسبة فى جمهرة اللغة ٢٣٤/١ ، والمحتسب ١٢٩/١ ، وسر صناعة الإعراب ٨٧/١ ، وشرح شواهد الشافية ٣٢٩ ، ونسب فى اللسان (رأى) للأعلم بن جرادة ، وهو فى المعجم المفصل ٣٣٩/٤ .

تملّى العيش : استمتع به .

(٤) اللسان العرب ج ١ ص ٤ ، ص ٥ .

غير ذلك ، فقد أنشد أبو زيد لأعرابي من تميم عدة أبيات منها هذا البيت :
لَمَّا استمر بها شيخان مبتجح بالين منك بما يراك شناناً^(١)
وجاء فى شرح الشواهد أيضاً منسوباً إلى سراقه البارقيّ :
أرى عيني ما لم ترأياه كالنا عالم بالترهات^(٢)

إذن فتحقيق الهمزة فى المضارع (يرأى) وفروعه ، من لهجة تميم وتيم الرباب ، و قبيلة بارق التى ينتهى نسبها إلى سعد بن عدى بن حارثة ، وكان قد سمى بارقا بجبل نزله بالسراة . وليس معنى أن تميمًا تقول فى الأمر : إراً ذلك ، أن غيرها لا يقول ذلك ، بل ربما شاركتها قبيلة أو أكثر من القبائل البدوية فى ذلك النطق ، ويؤكد ذلك أن أبا حيان قال : ونقل صاحب اللوامح تراً بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على الأصل وهى لغة لتميّم^(٣) .

ومن القبائل التى نسبت إليها الروايات بالتحقيق قبيلة قيس ، جاء فى البحر المحيط : « جبريل كقنديل وهى لغة أهل الحجاز . . . وجبرئيل كعنتريس ، وهى لغة تميم وقيس ، وكثير من أهل نجد ، حكاهما الفراء واختارها الزجاج ، وقال هى

(١) البيت من بحر البسيط، ويروى (ثم) مكان (لما) و(مبتجح) مكان (مبتجح) و(عنك) مكان (منك) وهو غير منسوب فى النوادر لأبى زيد ١٨٤، وتهذيب اللغة (شاح)، والمحتسب ١٢٩/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١١٠/٩، ولسان العرب (بجح) و(رأى)، و(شيخ)، وتاج العروس (رأى)، ونسبه البغدادى فى شرح شواهد الشافىة إلى أعرابى من بنى تميم ٣٣٠ نقلاً عن أبى زيد من كتاب الهمز ضمن ثلاثة أبيات، وينظر المعجم المفصل ١٨/٨ .
الشيخان بالفتح ويكسر: الغيور - المبتجح: الفخور.

(٢) البيت من بحر الوافر، قاله سراقه البارقي وهو فى ديوانه ٧٨، وينظر النوادر لأبى زيد ١٨٥، وسر الصناعة ٨٦/١، والخصائص ١٥٣/٣، والمحتسب ١٢٨/١، وتهذيب اللغة (رأى)، وأمالى الزجاجى ٨٧، والأغانى ١٣/٩، والممتع لابن عصفور ٦٢١، ولسان العرب (رأى)، وشرح شواهد الشافىة للبغدادى ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٩، وشرح المفصل ١١٠/٩، والمغنى ٢١٨/١، وابن السجرى ٢٠/٢، والمناهج الكافية ٤١٨ (رسالة دكتوراه) ، والصحاح ٢٣٤٧/٦ - ٢٣٤٨ ، وجمهرة اللغة ٢٣٥/١، والمعجم المفصل ٥٣٨/١ .
والترهات : الأباطيل. واحدها ترهة.

قال البغدادى فى ٣٢٢: قال ابن جنى فى المحتسب من سورة البقرة: «قرأ أبو عبد الرحمن السلمى (ألم تراً إلى الملاء) ساكنة الراء، وهذا لعمري أصل هذا الحرف، رأى يرى كرى يرى .
(٣) البحر المحيط ج ٨ ص ٥١٢.

أجود اللغات»^(١) فهذه الروايات يفيد جميعها أن قبائل شرق الجزيرة مثل قيس وتميم وتيم الرباب وغيرها من أهل نجد وبعض طيغ وبعض هذيل يحققون الهمزة ولا يسهلونها ، لكن ليس معنى ذلك أن التحقيق مطرد فى لهجاتها بحيث لا يتخلف ، وإنما قد تعدل عن التحقيق إلى التسهيل لسبب أو لآخر ، كذلك قد يعدل أهل الحجاز عن التسهيل إلى التحقيق فى بعض الأحيان ، فمثلاً نجد تميمًا تقول هيهات بينما يقول أهل نجد أيها^(٢) ونجد أهل الحجاز يقولون ذأى البقل ، بينما تقول تميم ذوى يذوى^(٣) . ومن الأبواب التى لم يلتزم فيها التميميون والحجازيون بطريقة ، باب المقصور والممدود ، فقد كنا نتوقع أن يكون الممدود لهجة تميمية ، وأن يكون المقصور لهجة حجازية ، وهذا ما جاءت به فعلاً بعض الروايات ، قال اللحيانى : (الزنى مقصور) لغة أهل الحجاز ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى ﴾ (الإسراء: ٣٢) بالقصر ، (والزنا ممدود لغة بنى تميم ، وفى الصحاح المد لأهل نجد^(٤) . ولكن بعض الروايات الأخرى تنقض هذه القاعدة ، جاء فى شرح ابن عقيل : الأولى مقصورة لغة تميم وأولاء ممدودة لغة أهل الحجاز^(٥) وأمام هذا التناقض لا نستطيع إلا أن نقول إن الممدود هو الأصل فى لهجة تميم ، وإن المقصور هو الأصل فى لهجة الحجاز ، وإن كلا منهما كان يستعمل لهجة الآخر تأثراً به ، وهذا ما نص عليه ابن جنى حين قال : إن بعض التميميين فى بعض الألفاظ ، كانوا يتركون لهجتهم إلى لهجة الحجازيين ، وإن هؤلاء يفعلون ذلك أيضاً^(٦) .

لكن عدم الالتزام بمنهاج نطقى ، سواء من جانب التميميين أو من جانب الحجازيين ، لم يحدث إلا نادراً ، ولم تأت به إلا روايات قليلة ، يمكن تأويلها أو غض النظر عنها .

* * *

- | | |
|-------------------------------|--|
| (١) البحر المحيط ج ١ ص ٣١٨ . | (٢) المزهر ج ٢ ص ١٧٦ . |
| (٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٤ . | (٤) اللسان ج ١٩ ص ٧٥ (مادة زنا) . |
| (٥) انظر شرح ابن عقيل ص ٦٤ . | (٦) المحتسب لابن جنى ج ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ . |

رابعاً : قبائل التسهيل :

تكاد تجمع الروايات القديمة على أن البيئة الحجازية ، المتمثلة فى قريش وما جاورها من القبائل العربية ، تنفر من الهمز فتتخلص منه بالحذف أو بتقريبه من أصوات اللين ، أو بتحويله إليها ، قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال ، ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا^(١). « فقله لا ينبرون أى لا يحققون الهمز الأصلى ، ولا يهمزون ما ليس مهموزاً أصلاً ، اللهم إلا فى حال الاضطرار ، » ومعنى نبر الحجازيين عند الاضطرار ، خروجهم على سليقتهم فى تسهيل الهمزة ، فى غير لهجات خطابهم العادية ، لشعورهم بأن تحقيق الهمزة فى الأساليب الأدبية من شعر وخطابة أقرب إلى الفصاحة من تسهيلها^(٢) ، وعلى ذلك فمفهوم الاضطرار فى قول عيسى بن عمر يمكن أن يكون معناه : إن الحجازيين إذا اضطنعوا اللغة المشتركة ، حققوا الهمز ، كما يمكن أن يكون عيسى ابن عمر قد قصد بذلك الهمزة التى توجد فى أول الكلمة^(٣) ، لكن الاحتمال الأول من هذين ، هو القوى الراجح ، لأن عيسى بن عمر لم يكن يغيب عنه أن تحقيق الهمزة فى أول الكلمة ، مطرد فى لسان العرب جميعاً بما فيهم من الحجازيين ، والاطراد والاضطرار لا يجتمعان على شىء واحد كهذا ، وربما كان المراد من الاضطرار فى النص السابق « أن الشاعر قد يضطره الوزن الشعرى إلى أن يبدل من الحرف همزة ، كما ورد ذلك فى قول الشاعر :

فأقسم لو لاقى هالالا وتحتَه مصك كذيب الرّدهة المتأوب
لأذاها كرها أو أصبح بيتَه لديه من الإعوال نوح مسلّب^(٤)

(١) لسان العرب ج ١ ص ١٤ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة - د. صبحى الصالح ص ٧٨ .

(٣) فصول فى فقه العربية - د. رمضان عبد التواب ص ٦٨ .

(٤) البيتان من بحر الطويل، غير منسوبين فى شرح السيرافى على سيبويه ٢٧٢/١ (مخطوط فى دار الكتب المصرية بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو) - وينظر: اللهجات العربية فى التراث ٢٤٤، [٣١٨ اللهجات العربية فى التراث ط ١٩٨٣ طرابلس] والمعجم المفصّل ٣٠٥/١، ١٨٦/٢، ١٥٠/٥ .

قال السيرافى على شرح سيويه : فهمز الألف فى أدأها لأنه لو تركها ساكنة لم يستقم البيت ، ومثل الضرورة السابقة ضرورة أخرى جعلت الشاعر كثيراً الخزاعى يهزم فى غير موضع الهمز ، قال :

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فادهامت^(١)

ومما يؤيد هذا رأى أننا نجد كثيراً من قراء الحجاز ، كابن كثير المكى ، فى جل قراءاته المشهورة ، وكأبى جعفر ونافع المدنيين فى بعض الأحيان ، يقرءون بالهمز المحقق « ولم يقل أحد إنهم كانوا مضطرين عندما يحققون الهمز »^(٢).

هذا ، ولم يكن الحجازيون يفرون من الهمز فحسب ، بل كانوا ينفرون من سماعه ، وينكرونه على ناطقه ، ففى حديث أخرجه الحاكم فى المستدرک عن أبى الأسود عن أبى ذر ، وقال إنه صحيح على شرط الشيخين ، جاء قول أعرابى للنبي ﷺ : يا نبي الله - بالهمز - ، أى الخارج من مكة إلى المدينة فأنكر النبي ﷺ عليه الهمز ، قال شارح القاموس : لأنه ليس من لغة قريش ، ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله : إنا معشر قريش لا نبر ، ويروى أنه قال للأعرابى « لا تبر باسمى »^(٣) ، ومن الروايات التى تفيد نفور القرشيين من الهمز قول سيدنا على كرم الله وجهه : « نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمز على النبي ﷺ ما همزنا »^(٤) ، ومنها أيضاً قول ابن منظور « لم تكن قريش تهزم فى كلامها ، ولما حج المهدى قدم الكسائى يصلى بالمدينة ، فهمز ، فأنكر أهل المدينة عليه ، قاله وقالوا تبر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن!! »^(٥). « فهذه الروايات وما شاكلها ، تدل دلالة صريحة على أن النطق بالهمز

(١) البيت من بحر الطويل، قاله كثير عزّة الخزاعى من قصيدة يرثى بها عبدالعزيز بن مروان، وهو فى ديوانه ٣٢٣، وفى سر صناعة الإعراب ٨٤/١، وفى المحتسب ٤٧/١، ٣١٢/١، وفى الموشح للمرزيانى ١٤٦ (المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ)، وفى الخصائص لابن جنى ١٢٧/٣، ١٤٨ برواية:

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فاسوأدت

وهو فى المخصص ١٠/١٦٦، وفى المعجم المفصل ٥٥٥/١.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤٥ - [٣١٩ اللهجات العربية فى التراث] ط طرابلس .

(٣) تاج العروس ج ١ ص ١٣٢ (بتصرف).

(٤) شرح الرضى على الشافى ج ٣ ص ٣٢.

(٥) لسان العرب ج ٧ ص ٤٠ - مادة (ن ب ر) .

لم يكن من عادات القرشيين الكلامية ، ولا من سلاتهم اللغوية ، ولكن ذلك ليس معناه ، أن قریشاً لم تكن تهمز فى كلامها أبداً ، أو لم تكن تستطيع النطق بالهمز ، لأنها كانت تهمز فى أول الكلام ، وعند الاضطراب كما سبق فى قول عيسى بن عمر ، وليس معناه أن الهمز بدعة ، كما جاء فى الحديث الذى رواه موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر ، قال : « ما همز رسول الله ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا الخلفاء ، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم ^(١) » ، إذ كيف يكون الهمز بدعة ، وهو سمة لهجية ، ولا يستطيع العربى أن يتخلى عنه ، ولا سيما إذا كان هذا العربى من أهل التحقيق ، ثم كيف يتفق هذا الحديث مع الروايات القرآنية التى جاءت بتحقيق الهمزات فى كثير من الآيات!! ^(٢) ، أضف إلى هذا ما جاء فى النشر من قول أبى شامة الحافظ « هو حديث لا يحتج بمثله ، لضعف إسناده ، فإن موسى بن عبيدة هذا ، هو الزيدى ، وهو عند أئمة الحديث ضعيف » ^(٣) .

وأيّ ما كان فإن النصوص والروايات التى جاءت متناثرة فى بطون كتب اللغة والتفسير والقراءات ، تفيد أن قبائل الحجاز عامة ، وقریشاً بخاصة ، كانت تتخلص من الهمز فى كلامها ، وأن ذلك كان سليقة فى ألسنتهم ، وعادة لغوية لهم ، حتى إن أفصح الفصحاء منهم ممن كانوا يتكلمون العربية ، كان يترك الهمزة ، جرياً على عادته اللغوية ، واستجابة للسليقة التى نشأ عليها ، ففى حديث النبى ﷺ « من محمد رسول الله إلى الأقبال العياهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على السبعة شاة ، والتميمة لصاحبها ، وفى السيوب الخمس ، لا خلط ، ولا وراط ، ولا شناق ولا شغار ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكر حرام » ^(٤) ، تراه ﷺ ، قد حول الهمزة فى قوله (ومن أجبى) وأصلها (أجباً) إلى الألف ، وهذا التحويل وإن كانت قد دعت إليه المزاجية بين «أجبى وأربى» ، إلا أنه مما يتفق مع سليقته اللغوية ، لأنه قرشى يميل إلى التخلص من الهمز ، وإن لم توجد

(١) الإتقان للسيوطى ج ١ ص ١٠٠.

(٢) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص ٢٤٣ و [٣١٧ اللهجات العربية فى التراث].

(٣) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٢٢.

(٤) تاج العروس ج ١ ص ٥٠ (مادة جباً) - هذا حديث وائل بن حجر ، وكتاب النبى ﷺ له .

المزاوجة ، يؤكد ذلك الحديث الذى رواه ابن دريد فى الجمهرة قال : جاء قوم بأسير إلى النبی ﷺ ، فقال أدفوه ، فقتلوه ، أراد النبی عليه السلام أدفئوه ، ولغته ترك الهمزة^(١) ، « والتسهيل فى هذين اللفظين (أجبى - أدفوه) على غير قياس ، لأن الهمزة فى الأولى قياسها أن تسهل بين بين ، والعدول عنه إلى الألف ، ربما كان سببه المزاوجة ، والهمزة فى الثانية قياسها بين بين أو الإبدال ياء ، والعدول عنهما إلى الحذف ، ليس له من سبب إلا المبالغة فى التسهيل ، جرياً على لهجة قريش . كذلك كانت السيدة عائشة رضی اللہ عنہا ، تجرى على سليقتها اللغوية ، فتترك الهمزة ، ففى حديث لها « قالت فى اليوم الذى بدى فيه رسول الله ﷺ : وأرأساه »^(٢) ، فكلمة (بدى) أصلها بدئ ، قال اللحيانى : بدئ الرجل يبدأ به : أخرج به بشر شبه الجدرى ورجل مبدؤ به خرج به ذلك^(٣) ، فالسيدة عائشة حولت الهمزة فى (بدئ) إلى الياء على طريق القياس ، استجابة لسليقتها ، وجرياً على لهجة قومها ، وكان ابن عباس أيضاً يترك الهمزة إذا ما جرى على لهجة قومه ، فقد روى أنه قال « لا بأس بقتل الجَدْوِ والأَفْعَوِ للمحرم ، وكأنها لغة فى الحدأ »^(٤) فقلوه الجَدْوِ بدلاً من الحدأ ، ما هو إلا تخلص من الهمز وإن لم يكن لذلك نظير فى القياس . وقد جاء التسهيل أيضاً فى أشعار القرشيين ، ومن ذلك البيت :

نحن قريشٌ وهمو شَنوّة بنا قريشاً ختم النبوة^(٥)

فقائل هذا البيت قرشى يتحدث عن مفاخر قريش ، كما هو واضح وهو أيضاً قد جرى على لهجتهم فى قوله (شَنوّة) و«النبوة» وأصلهما شَنوّة والنبوة فأبدل الهمزة واواً وأدغمها فى الواو قبلها على طريق القياس ، ولم يكن الشاعر مضطراً

(١) جمهرة ابن دريد ج ١ ص ٧٤.

(٢) تاج العروس ج ١ ص ٤٣.

(٣) المرجع السابق (مادة بدأ) - ومثله فى اللسان (بدأ) .

(٤) لسان العرب ج ١ ص ٤٧.

(٥) البيت من الرجز ، وهو فى خزنة الأدب ٤٣٠/٢ غير منسوب ، وكنا فى لسان العرب وتاج العروس (ش ن أ).

إلى هذا التسهيل ، لأنه لو قال شنوءة بالهمز ، والنبوءة بالهمز ، لكان وزن البيت مستقيماً ، كما هو مع الإبدال والإدغام تماماً ، فالتسهيل فيه تمثيل صادق لهجته وهي لهجة قریش .

وهذا المذهب القرشى فى التخلص من الهمز ، كان له صدی واسع ، فى محیط القراءات القرآنية ، التى قرأ بها أهل مكة ، وقارئهم ابن كثير ، فمما نسب إلى أهل مكة فى قراءة الآية ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ ﴾ (يوسف: ٨٠) : (استايوا) من غير همز وفى قوله : ﴿ لَا يَأْتِسُ ﴾ (يوسف: ٨٧) : (لا يائس) من غير همز^(١) . وأصلهما فى قراءة التحقيق (استياسوا) و(لا يياس) ، قدموا الهمزة فيهما على الياء ، على طريقة القلب المكانى ، ثم أبدلوا من الهمزة ألفاً ، لأنها حينئذ ساكنة وقبلها فتحة . ومما نسب إليهم ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ ﴾ (الواقعة: ٨٤) فقد روى (حينيذ) بترك الهمز عن أهل مكة^(٢) . وأصلها فى قراءة التحقيق (حينئذ) سهلوا همزها بالإبدال ياء ، على غير قياس ، لأن القياس فى الهمزة المكسورة المفتوح ما قبلها هو بين بين ، ومن قراءات ابن كثير (ثم ايتوا ، وثم ايتوا)^(٣) ، وأصلها ﴿ ثُمَّ أَتَتْوْا ﴾ (طه: ٦٤) ويبدو أنه قطع همزة الوصل فصارت الهمزة بعدها ساكنة ، فأبدلها ياء ممدودة ، أما على الوجه الثانى فيبدو أنه حذف همزة الوصل ، وأبدل الهمزة ياء لينة على غير قياس ، وكان قياسها أن تبدل ألفاً ، لأن قبلها حينئذ ميما مفتوحة ، ومنها أيضاً (إنها لحدى الكبر) عن ابن كثير^(٤) ، وأصلها ﴿ لِإِحْدَى ﴾ (المدثر: ٣٥) فحذف الهمزة على غير قياس ، ومنها (شعائر) بغير همز فى بعض روايات ابن كثير^(٥) . وأصلها ﴿ شَعَائِرِ ﴾ (البقرة: ١٥٨) فأبدل الهمزة ياء على غير قياس أيضاً . فهذه القراءات وأمثالها ، ظهرت فيها لهجة القرشيين بوضوح تام ، ولا تدع مجالاً للشك فى تسهيل الهمزة عندهم .

* * *

(١) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٦٥ . (٢) مختصر فى شواذ القراءات ص ١٥٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٦ .

(٤) المرجع السابق ص ١١ .

ومن قبائل التسهيل أيضاً : أهل المدينة كما ورد في كلام عيسى بن عمر السابق يوضح ذلك ما نسب إلى الأنصار من أنهم كانوا يقولون في الفعل (بدأت) (بدت به) أى قدمته ، قال ابن القطاع : وهى لغة الأنصار ، قال ابن رواحة :

باسم الإله وبه بديننا ولو عبدنا غيره شقيننا
فحبذا رباً وحبّ ديننا^(١)

والإبدال فى هذا الفعل على غير قياس ، ولو جرّوا على القياس لقالوا : (بدات) بالألف . وكان أهل المدينة يقولون : لَحَمَرُ بدلاً من الأحمر^(٢) . فتراهم يحذفون الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها ، ويعتدون بالحركة المنقولة العارضة ، فيستغنون عن همزة الوصل . ومثل ذلك الحذف والنقل جاء فى قراءة نافع إمام دار الهجرة ، وأخذَه عنه تلميذه ورش ، واختص به من طريقه^(٣) ، وجاء أيضاً فى بعض قراءات الإمام أبى جعفر المدني ، كقراءته لألفاظ (الآن ، ملء الأرض فى سورة آل عمران ، من أجل ذلك فى المائدة ، رِذْءاً يصدقنى فى القصص ، عاداً الأولى فى النجم)^(٤) ، وقد أفصح ابن الجزرى فى عبارة مختصرة عن مذاهب قراء الحجاز ، ومن تأثر بهم فقال « وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ، كابن كثير من رواية ابن فُلَيْح ، وكنافع من رواية ورش وغيره ، وكأبى جعفر من أكثر رواياته ، ولا سيما رواية الغمري عن أصحابه عنه ، فإنه لم يكذب يحقق همزة وصل ، وكابن محيصة قارئ أهل مكة مع ابن كثير وبعده ،

(١) الأبيات من بحر الرجز ، قالها عبد الله بن رواحة الأنصارى ، وقد نسبت إليه فى جمهرة اللغة ٧١/٢ (ب د ي) وفى كتاب الأفعال لابن القطاع ص ١٩ ، وبلا نسبة فى الصحاح واللسان وتاج العروس (ب د ي) والأول والثانى فى المخصص ٤٢/١٠ . وجمع الهوامع ٨٨/٢ ، ٨٩ ، والدرر اللوامع ١١٦/٢ ، وشرح الأشموني ٤٢/٣ ، وسبل الرشاد فى سير خير العباد ٥١٧/٤ ، وسمط النجوم العوالي ١٢٩/٢ .

(٢) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١١٢ .

(٣) راجع تقريب النشر فى القراءات العشر ص ٣٦ .

(٤) راجع السبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر ص ٢٩ .

وكأبى عمرو ، فإن أكثر مادة قراءته عن أهل الحجاز ، وكذلك عاصم من رواية الأعشى عن أبى بكر ، من حيث إن روايته ترجع إلى ابن مسعود^(١).

* * *

ومن قبائل الحجاز التى كانت تسهل الهمزة أيضاً ، قبيلة هذيل ، فقد روى عن الحسن أنه قال يوماً توضيت ، بالياء ، ف قيل له أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال : إنها لغة هذيل ، وفيهم نشأت^(٢) وقد ذكر الأستاذ محمد عبدالجواد الطيب فى رسالته « لغة هذيل » موقف هذيل من الهمز بصورة مفصلة ، وكان مما ذكر أنهم يقولون (رَزِيَّة) بتخفيف الهمزة ، كما جاء فى قول أبى العيال الهذلى :

رزية قومه لم يأخذوا ثمننا ولم يهبوا^(٣)

ويقولون : النبىّ والحتّى ، ولا يقولون النبى ولا الحتّى ، وقد جاء الثانى فى قول المتنخل :

لا در درى إن أطعمت نازلکم عرف الحتى وعندى البرُّ مَكْنُوزٌ^(٤)
ويقولون : (نئى : فى نئى) ، أى غير ناضج وقد جاء فى شعرهم :
فظلت وظلّ أصحابي لديهم غريض اللحم نى أو نضيج^(٥)

(١) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٢١.

(٢) تاج العروس ج ١ ص ١٣٤.

(٣) راجع لغة هذيل من ص ٩٥ إلى ١٠٥.

البيت من مجزوء الوافر، منسوب إلى أبى العيال الهذلى فى ديوان الهذليين ٢/٢٥٢، وشرح أشعار الهذليين ١/٤٣٢، ولهجة هذيل ص ٨٦، والمعجم المفصل ١/٢٧٥.

(٤) البيت من بحر البسيط، قاله المتنخل الهذلى ، وهو فى شرح أشعار الهذليين ١٢٦٣، ديوان الهذليين ٢/١٥٠، والكتاب ٢/٨٩، وكتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى ج ٣، ص ٧٩، والبيان والتبيين ١/٣٥، وجمهرة اللغة ٢/٦ برواية (رائدهم) مكان (نازلکم)، وسقط اللالى ١٥٧، والمقاييس ٢/١٣٦ (حتو)، ولسان العرب (برر) (وكنز)، وتاج العروس (حتى)، والفائق للزمخشري ١/٢٢٧، ونسب إلى أبى ذؤيب الهذلى فى الحيوان للجاحظ ٥/٢٨٥، وفى شرح شواهد الشافية ٤٨٨ وبلا نسبة فى اللسان (درر) ، والمعجم المفصل ٤/١٤.

(٥) البيت من بحر الوافر، منسوب لزهير بن حرام الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ٦١٩، وشرح عمدة الحافظ ٢٢٩، ولسان العرب (نياً)، وتاج العروس (نياً)، والمعجم المفصل ٢/٢٦، ولهجة هذيل ٨٧.

ويقولون : (الهدوء : فى الهدوء) ، كما فى بيت أبى ذؤيب :

أمن أم سفیان طيف سرى هدوا فأرق قلبا جريحا^(١)

وذكر صاحب لغة هذيل أن هذيلًا كانت تحذف الهمزة المسبوقه بحرف صحيح وتعوض عنها تضعيف ذلك الحرف ، فيقولون (المرّ) فى المرء ، كما جاء فى قول أبى خراش :

جمعت أمورا ينفذ المرّ بعضُها من الحِلْم والمعروف والحسب الضخم^(٢)
وذكر أنهم كانوا يحذفون الهمزة ، دون تعويض بعد حرف النداء ، كما فى قول صخر الضبّى الهذلى :

ولست بمضطر ولا ذى ضراعة فحفض عليك القول يابا المثلّم^(٣)
وذكر أيضًا أنهم كانوا يحذفون الهمزة بعد الألف اللينة ، فى صيغة فاعل ، مثل :
(راد) ، فى رائد ، (وهار) فى هائر ، (وهال) فى هائل ، (وصات) فى صائت

(١) البيت من بحر المتقارب، وهو فى ديوان الهذليين ١٢٩/١، والمعجم المفصل ٣٦٤/٤، ٤٠٠/٧ ولغة هذيل ٨٨.

(الهدوء) قال أبو سعيد السكرى فى شرح أشعار هذيل: هو الهدوء الذى يكون بعد انقضاء هزيع من الليل.

(٢) البيت من بحر الطويل، قاله أبو خراش الهذلى يرثى خالد بن زهير، وهو فى ديوان الهذليين ١٥٣/٢ (المرّ) بالتضعيف بعد حذف الهمزة، وفى لسان ٤١٦٦/٦ (مرأ) برواية السكرى (المرّ) بكسر الميم والهمزة فى آخره، ولا شاهد فيها، وفى تاج العروس ١١٧/١ (مرأ) كما فى اللسان، وفى لغة هذيل ٩٨. وفى المعجم المفصل ٣٣٤/٧ - ومعنى (ينفذ) : يجعله ذا نفوذ .

وفى رسالة الملائكة ١٥٨ ذكر أن ميم المرء تجوز فيه الحركات الثلاث ، وأجودها الفتح، قال المحقق: وقرئ (بين المرّ وزوجه) البقرة: ١٠٢ [بتشديد الراء، ووجهه أنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء - كذا جاء فى الكشف ج / ص ، وتفسير البيضاوى ج / ص .

(٣) البيت من بحر الطويل، قائله صخر الغى الهذلى، وهو فى ديوان الهذليين ٢٢٥/٢.

وفى لغة هذيل ٩٤ :

ومثل ذلك البيت قول رؤبة :

وانت يا بامسلم وقينا

قال ابن منظور فى ص ٢٤ من حرف الهمزة معلقًا: ترك الهمزة وكان وجه الكلام: يا أبا مسلم، فحذف الهمزة وهى أصلية، كما قالوا لا أب لك، ولا أبًا لك، ولا بالك، ولا ب لغيرك، ولا با لسانك .

وهكذا . وقد ظهرت آثار هذه اللهجة الهذلية ، فى قراءة عبد الله بن مسعود لأنه من هذيل ، ومن ذلك قراءته لقوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ الْخَبْءَ ﴾ (النمل: ٢٥) : (الخبأ) بالألف الساكنة ، وقد شاركه فيها مالك بن دينار^(١) ، ويبدو أنهم حذفوا الهمزة بعد نقل حركتها إلى الباء قبلها ، ثم أشبعوا الحركة المنقولة ، فتولدت الألف الساكنة ، ومن ذلك أيضاً قراءته لقوله تعالى : ﴿ وَجِئْتُمْ بِغَايَةِ مَن رَّبِّكُمْ ﴾ (آل عمران: ٥٠) : (وجيتكم)^(٢) بإبدال الهمزة الساكنة من جنس ما قبلها ، على القياس ، ومنها أيضاً قراءته لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ٥٣) : (لا يوتوا)^(٣) بإبدال الهمزة الساكنة من جنس ما قبلها على القياس فى أمثالها ، ومنها قراءته لقوله تعالى : ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (الحاقة: ٣٧) (الخاطون) ، وكذلك قراءة ابن عباس^(٤) ، وحذفهما للهمزة فيها على غير قياس ، لأن قياس أمثالها التسهيل بين بين عند سيبويه ، أو الإبدال ياء على مذهب الأخفش وغير ذلك كثير فى قراءة ابن مسعود ، التى تمثل بيئة الحجاز أصدق تمثيل فى الأعم الأغلب .

* * *

ومن القبائل التى أثر عنها تسهيل الهمزة ، قبيلة ضبة ، فقد جاء فى شعر ربيعة ابن مقروم الضبى (الكامل) :

أرجيته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من عل

قال المرزوقى فى أماليه : والرواية الصحيحة (أرجأته) و(أرجيته) وهما لغتان والهمز أفصح^(٥) . ومن هنا القول يفهم أن البيت ينشد بالهمز وعدمه ، وعلى

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص ١١٠ .

(٢) مختصر فى شواذ القراءات ص ٢٧ .

(٣) مختصر فى شواذ القراءات ص ٣٤ جعل الفاء جواباً ونصب يوتوا بإذن اهـ .

(٤) مختصر فى شواذ القراءات ص ١٦١ .

(٥) الأمالى للمرزوقى ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ وانظر شرح ديوان الحماسة ٦٤/١ الطبعة الأولى ١٩٥١ م مطبعة التأليف والترجمة والنشر .

احتمال عدم الهمز ، يكون الشاعر الضبى قد التزم لهجة قومه التى هى التسهيل ،
وعليها جرى الشاعر الآخر جواس بن نعيم الضبى فى قوله :

كَأَن خُرُوَّ الطير فوق رءوسهم إذا اجتمعت قيس معا وتميم
مضى تَسَلَّ الضبى عن شر قومه يقل لك إن العائذى لئيم^(١)

فقلوه (خُرُوَّ) مكان : خروء ، وقوله (تسل) بدلا من : تسأل ، فى غير ضرورة
ملزمة للتسهيل ، يدل على أن التسهيل كان لهجة لهذا الضبى فى هاتين البيتين
وكذلك الحال فى البيت السابق ، ليست هناك ضرورة ملزمة للتسهيل ، وهذان
الضبيان يحتمل أن يكونا من ضبة بن عمرو التى هى بطن من هذيل أو من ضبة
ابن حرب التى هى بطن من قريش ، لأن هذيلًا وقريشًا من القبائل التى تسهل ،
وليس من الراجح أن ينتهى نسبهما إلى ضبة بن أوس بن طابخة التى كانت تنزل
فى جوار تميم^(٢).

* * *

ومن القبائل التى كانت تسهل أيضاً بعض أهل اليمن ، فكانوا يبدلون من الهمزة
الواقعة فاء فى صيغة (فاعلته) واوًا ، جاء فى لسان العرب « وآتيته على ذلك الأمر
مؤاتاة ، إذا وافقته وطاوعته ، والعامة تقول وآتيته ، قال : ولا تقل وآتيته إلا فى لغة
أهل اليمن^(٣) ، ويظهر أن المقصود بأهل اليمن فى النص السابق قبيلة طيىء أو بعض
بطونها ، لأنها فى الأصل قبيلة يمنية ، وقد يرجح هذا ما جاء فى اللسان أيضاً ، قال
« وتقول آخيته على مثال فاعلته ، قال : ولغة طيىء واخيته^(٤) » ، وقد أرجع دكتور
أنوليتمان هذا الإبدال إلى الزمن القديم حيث وجد فى النقوش الصفوية (و ن س)
ومعناها : أنس ، أما طريق هذا الإبدال فيبدو أنه كان يتم فى المضارع أى فى يؤاتى ،

(١) البيتان من بحر الطويل، منسوبان إلى جواس الضبى فى لسان العرب (خرأ) وتاج العروس (خرأ)
والتبنيه والإيضاح ١٤/١ ، والمعجم المفصل ٢٥٨/٧ - والمؤكد هنا رواية التاج (تسل) .

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٢ ص ٦٦١ ، ٦٦٢ .

(٣) لسان العرب ج ١٨ ص ١٨ .

(٤) اللسان ج ١٨ ص ٢٣ .

ويؤاخي ، التي تصير بمقتضى القياس يواتى ويواخي ، ثم استعمل الماضى من المخفف ، فقليل : واتى ، وواخي^(١) ، ولم تقتصر طيى على إبدال الهمزة المصدرة واوًا ، بل كانت تبدلها (هاء) فتقول (هن فعلت) فى إن الشرطية^(٢) ، وكانت تقول فى الفعل (أراد) هراد « وهو إبدال يوافق السبئية الجنوبية ، التي تجعل (هَفعل) دائماً مكان (أفعل) فى العربية الشمالية »^(٣) ، وعلى ذلك يمكن إرجاع كل ما كان على هذا النحو من الأفعال مثل هرقت الماء ، وهرحت الدابة ، وهنرت الثوب ، التي أصلها : أَرقت ، وأَرحت ، وأُنرت ، إلى لهجة سبأ ، وهذه اللهجة اليمنية نجد صداها فى العربية الشمالية ، فالفعل (أَز) كان شائعاً لدى البدو بينما الصيغة الأخرى له وهى (هَز) كانت مستعملة فى بلاد الحجاز^(٤) ، واستعمال الهاء بدلاً من الهمزة لون من تسهيل الهمزة ، لما بينهما من قرب مخرجى ، ولأن الهاء صوت مهموس وغير شديد ، فهى أسهل فى نطقها من الهمزة ، التي هى صوت شديد بالغ الشدة ، ويبدو أن أهل الحجاز كانوا يستحسنونه فى كلامهم ، فهم كانوا يقولون : ها إنك زيد؟؟ ومعناه أنك زيد؟؟ فى الاستفهام ، ويقصرون فيقولون هاإنك زيد؟؟ فى موضع أنك زيد؟؟^(٥) .

وقد جاء على هذه اللهجة قول الشاعر :

وأنت صواحبيها فقلن هذا الذى منح المودة غيرنا وجفانا^(٦)

(١) راجع مقال د/ أنوليتمان (بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى) ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٦٢ .

(٣) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج ١ ص ١٢٢ .

(٤) انظر الأصوات اللغوية/ ص ٩٩ .

(٥) لسان العرب ج ٢٠ ص ٣٦٥ .

(٦) من بحر الكامل، أنشده اللحياني عن الكسائي لجميل بن معمر العنبرى القضاعى وهو فى ديوانه ١٩٦ ، وينظر رسالة الملائكة ص ٩٥ ، ولسان العرب (ذا) ، (ها) ، وقال البغدادى فى شرح شواهد الشافية ٤٧٧ قائله مجهول، ويشبه أن يكون من شعر عمر بن أبى ربيعة فإن فى غالب شعره أن النساء يتعشقنه اه وبلا نسبة فى سر صناعة الإعراب ٥٥٤/٢ ، والمحتسب ١/١٨١ ، وشرح المفصل ٤٢/١٠ والجنى الدانى ١٥٣ ، ورصف المباني ٤٠٣ ، ومغنى اللبيب ٣٤٨/١ ، والمقرب ١٧٩/٢ ، والممتع ٤٠٠/١ ، والمعجم المفصل ٢٧/٨ .

قال ابن جنى فى المحتسب : لا يريد هذا الذى ، بل يريد : أذ الذى ، ثم أبدل همزة الاستفهام هاء^(١) . أما نسبة هذا البيت فقد قال شارح شواهد الشافية ويشبه أن يكون من شعر عمر بن أبى ربيعة المخزومى^(٢) ، فلو صحت هذه النسبة لكان هذا الإبدال موافقاً لما عرف عن بيئة الحجاز ، من جعل الهمزة هاء للتسهيل لأن بنى مخزوم هؤلاء من قريش البطاح^(٣) . لكن إبدال الهمزة هاء لم يكن مقصوراً على أهل الحجاز من عرب الشمال ، بل شاع فى ألسنة بعض القبائل البدوية أيضاً ، وقد نستطيع أن نلمس ذلك من قول المرار الفقعسى (الكامل) :

وأما لَهْكَ من تذكر أهلها لعلى شفا يأس وإن لم تياس
قال أبو زيد : يريد أما إنك^(٤) . وقبيلة فقعى هذه إحدى بطون قبيلة أسد كما سبق . وقد ورد ذلك الإبدال أيضاً فى قول الشاعر :

فهيالك والأمر الذى إن توسَّعت موارده ضاقت عليك المصادر^(٥)
والمراد : فإياك : أما قائل هذا البيت فهو مضرّس بن ربيعى الفقعسى كما ذكر أبو تمام فى الحماسة ، أو طفيل الغنوى كما ذكر أبو تمام أيضاً فى كتاب مختار أشعار القبائل^(٦) . وعلى الاحتمال الثانى ، يكون هذا الإبدال وارداً فى لهجة قيس ، التى ينتهى نسب قبيلة غنى إليها ، وقد يؤكد هذا الاحتمال ، أنه قد قرئ (هياك نعبد) فى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) ونسبت تلك

(١) المحتسب ج ١ ص ١٨١ .

(٢) شرح شواهد الشافية ص ٤٧٧ .

(٣) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٣ ص ٩٤٨ .

(٤) النواحر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ص ٢٨ . ط بيروت ١٩٦٧ م .

(٥) البيت من بحر الطويل، كذا رواه الأنبارى فى الإنصاف ٢١٥/١ ، وابن يعيش فى شرح المفصل

٤٢/١٠ ، والبغدادى فى شرح شواهد الشافية ٤٧٦ ، ورواه ابن جنى فى التصريف الملوكى ٢٩ ،

وابن برهان فى شرح اللمع ورقة ٢٨ ، وابن يعيش ١١٨/٨ ، (موارده ضاقت عليك مصادره) وينظر

الممتع ٣٩٧/١ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٥٢ ، والمناهج الكافية فى شرح الشافية ٥١١

(رسالة دكتوراه) .

(٦) راجع شرح شواهد الشافية ص ٤٧٦ .

القراءة لرجل من غنى ، وهو أبو السوار الغنوى^(١) . ويمكن تفسير وجود هذا الإبدال عند الحجازيين وقبائل البدو ، بأنه من آثار مجاورة قبيلة طيء لهؤلاء وأولئك ، لأن المعروف أن طيئًا هاجرت من اليمن ونزلت في جوار تميم وأسد ، وملكوا بلادهم ، كما أنها استقرت في بلاد الحجاز^(٢) ، هذا ويرى د . أنوليمان أن ما وجد عند بني طيء وعند بني تميم من إبدال الهمزة الفصيحة هاء ، ليس بإبدال حقيقى ، ويروى من مقارنة اللغات السامية ، أَنَّ «هِن» بمعنى «إِن» ، (وَلِهَنَّكَ) بمعنى (لَأَنَّكَ) و(هَ) بمعنى الألف الاستفهامية هي الصيغ الأصلية ، لأن (hen) تعنى إِن عند الآراميين ، و(henne) تعنى إِن عند العبرانيين ، والألف الاستفهامية عندهم هاء^(٣) . وبناء على ذلك فالأمر لا يخلو من أحد احتمالين :

أولهما : أن يكون هذا الإبدال قد حدث في اللغة السامية الأم ، ثم صار النطق بالهاء هو الأصل في العبرانية والآرامية ، بينما احتفظت اللغة العربية بالأصل الأصيل في اللغة السامية وهو الهمزة في أغلب لهجاتها ، واحتفظت بالصورة المتطورة في القليل من لهجاتها كلهجة طيء وفقعس وغنى وبعض أهل الحجاز .

ثانيهما : أن يكون الأصل في السامية هو النطق بالهاء ، ثم احتفظت الآرامية والعبرانية بهذا الأصل ، بينما حدث تطور في العربية ، فصارت الهاء إلى الهمزة ، وغلبت الهمزة وصارت هي النطق الشائع في أغلب لهجاتها ، على حين احتفظت بالأصل الأصيل في السامية وهو الهاء في القليل من لهجاتها كلهجة طيء وفقعس وغنى وبعض أهل الحجاز .

لكن يبدو أن الاحتمال الأول هو الأقوى والأرجح لموافقته لقوانين التطور ، التي ترجح إبدال الأسهل وهو الهاء من الأصعب وهو الهمزة ، ولأن العربية التي عرفت للدارسين منذ الجاهلية حتى الآن ، تستعمل الهمزة على أنها الأصل في (إن وأن ،

(١) مختصر في شواذ القراءات ص ١ .

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج ٢ ص ٦٩٠ .

(٣) بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي ص ٢٥ .

ولأنك ، وألف الاستفهام) ، كذلك لم يشر أحد إلى أن الهاء هي الأصل في (هرقت ، وهرحت ، وهراد ، وهياك) مما يرجح أن الهمزة هي الأصل في العربية ، وأن الهاء هي النطق المتطور عنها لغرض التخفيف من ثقل الهمزة .

* * *

ومن القبائل التي نسب إليها التسهيل أيضاً ، قبيلة فزارة ، فقد ذكر النحويون أنه يجوز في تثنية كساء ونحوه ، أن يقال : كساءان ، وكساوان بإقرار الهمزة وقلبها واواً ، وهاتان اللغتان من القلب والإقرار يتكلم بهما جميع العرب ، وحكى أبو زيد في كتاب الهمز لغة ثالثة ، لبنى فزارة ، وهي قلب الهمزة ياء ، فيقولون كسايان^(١) . كذلك اختلفوا في تثنية حمراء ، ولم يذكر سيويه فيها إلا القلب واواً ، نحو حمراوان ، وأجاز الكوفيون على ما نقله النحاة فيها ، القلب والإقرار ، أى يقال على مذهبهم حمراءان وحمراوان ، وحكى أبو حاتم وابن الأنباري إقرارها همزة عن العرب ، وقلبها ياء لغة لفزارة^(٢) ، « ففزارة إذن كانت لا تنطق المشى بالهمزة ، وإنما كانت تلتزم الياء فيه ، وأغلب الظن أن ذلك كان على سبيل التحويل بقصد التخفيف من ثقل الهمزة ، ولم يكن رجوعاً إلى الأصل ، وإلا كانوا ينطقون بالواو لا بالياء في كساءان ونحوه ، ومما يساعد على هذا التفسير أن فزارة كانت من القبائل التي نزلت الحجاز مع مجيء الإسلام ، واستقرت به^(٣) .

* * *

وهناك عدة روايات تنسب التسهيل إلى غير القبائل الحجازية ، ومنها ما حكاه أبو زيد ، قال : سمعت امرأة من عقيل وزوجها يقرءان « لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » فألقى الهمزة وحول حركتها على الفاء^(٤) . ومنها قول أبي زيد أيضاً : تميم تقول سماء البيت ، وقيس تقول : بنى سماوة البيت^(٥) .

(١) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ١٥٠ (بتصرف).

(٢) المرجع السابق نفس الموضع (بتصرف).

(٣) راجع معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج ١ ص ٩٠.

(٤) تاج العروس ج ١ ص ١٠٨.

(٥) التوادر في اللغة ص ٢٥٣.

ويمكن تفسير هذا ونحوه بأنه من باب التأثر بلهجات من يخففون الهمزة ، لأنه لم تكن هناك في شبه الجزيرة العربية حواجز طبيعية تمنع من الاختلاط والاحتكاك ، فامتزاج القبائل واختلاطها ولا سيما بعد ظهور الإسلام كان من أهم أسباب تقارض اللهجات بين القبائل .

* * *

وخلاصة ما سبق أن تسهيل الهمزة اطرّد في لهجات القبائل الحجازية وعلى رأسها قريش ، والأنصار ، وهذيل ، وضبة ، ومنحزوم ، وفزارة ، وطىء ، ويضاف إليها بعض أهل اليمن ، وأما ما أثر عن بعض الأفراد من غير الحجازيين كطفيل الغنوى ، وأبى السوار الغنوى ، ورجل من عقيل وزوجه ، وما حكى عن قيس فكله لا يعدو إلا أن يكون من باب التأثر وتقارض اللهجات الناجم عن الاختلاط والامتزاج بين القبائل العربية .

الفصل الثالث

الهمز والتسهيل وعلاقته بالإبدال

تمهيد :

الإبدال درس من دروس التصريف ، وهو أيضاً درس من دروس فقه اللغة العربية ، ولكل من فقهاء اللغة والصرفيين طريقة خاصة فى معالجة مسائله ، وتبيان دقائقه ، أما الصرفيون فيعنون بتفصيل صوره الواجبة والجائزة والشاذة ، وقد عرضوا فى باب الإعلال للمسائل التى تقلب فيها الألف والواو والياء إلى الهمزة وجوباً وجوازاً^(١) ، وعرضوا أيضاً فى باب تخفيف الهمزة إلى الصور التى تقلب

(١) أولاً مواضع الوجوب :

(أ) أن تطرف الألف والواو والياء بعد ألف زائدة تطرفاً حقيقياً نحو صحراء وسماء ودعاء وظباء وبناء أو حكماً نحو اكتفاء واصطفاء .

(ب) أن تقع الألف والواو والياء بعد ألف مفاعل وشبهه، بشرط أن تكون مذكراً زائداً فى المفرد نحو قلائد، وعجائز، وصحائف .

(جـ) أن تقع الواو والياء عينا لاسم فاعل أعلنت فى فعله الثلاثى بشرط أن تبقى العين فى مكانها نحو قائم وصائم وبائع ودائن .

(د) أن تقع الواو والياء ثانى حرفين لينين بينهما ألف مفاعل وشبهه سواء أكان الحرفان متماثلين - واوين أو ياءين - أم كانا مختلفين نحو أوائل ونيائف وسيائد، وبوائع .

(هـ) أن تجتمع واوان فى صدر الكلمة، على أن تكون الثانية متهماً غير مدة نحو أول جمع الأولى ونحو أوأصل، أو تكون مدة أصلية نحو أولى أنثى الأول .

(٢) ثانياً : مواضع الجواز: وهى خاصة بالواو إلا فى موضع :

(١) أن تجتمع واوان فى صدر الكلمة، وتكون الثانية مدة عارضة لانقلابها عن حرف زائد نحو وورى التراب .

(٢) أن تكون ثانية الواوين المصدرتين مبدلة من حرف صحيح نحو أولى « أصلها وولى » أنثى الأول من وأل بمعنى لجأ .

(٣) أن تكون الواو مضمومة ضمة لازمة وهى غير مشددة، ولا موصوفة بموجب الإبدال نحو أجوه فى وجه وأدور فى أدور .

(٤) أن تكون الواو مصدرية مكسورة نحو إشاح فى وشاح .

(٥) تبدل الياء همزة جوازاً إذا وقعت بين الألف وبين ياء النسب . نحو رائى فى رايى .

(راجع كتاب دراسات صرفية للدكتور إبراهيم السيونى من ص ١٥ إلى ص ٢٧) .

الهمزة فيها إلى الألف والواو والياء ، قياساً وشدوذاً ، كما بينها في الفصل الأول ، وأما فقهاء اللغة فيعنيهم بالدرجة الأولى أن يبحثوا عن سرّ هذا التبادل ، وعن مسوغاته ، ثم يتأتى لهم بعد ذلك التقنين ، ووضع المعايير التي تحكم الإبدال بحيث يعد ما خالفها خارجاً عن الإبدال .

والإبدال من البحوث التي ظهرت في وقت مبكر ، وكانت محل نظر علماء اللغة قديماً ، ولا يزال المحدثون من علماء اللغة يعرضون لآراء القدماء في الإبدال ، في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ولعلمهم إلى الآن لم يصلوا إلى آخر ما يقال في هذا الباب ، وكل ما نريد أن نعرض له في هذا الفصل هو رأى علماء اللغة قديماً وحديثاً ، في علاقة الهمزة ، بالألف والواو والياء ، وهل تسوغ الإبدال في حالي الإعلال والتسهيل أم لا؟.

* * *

آراء القدماء في الإبدال :

يعرّف علماء اللغة الإبدال بأنه « جعل حرف مكان حرف غيره »^(١) أو هو كما قال ابن يعيش « البدل أن تقيم حرفاً مقام حرف إما ضرورة ، وإما صنعة واستحساناً »^(٢) ، وهذا التعريف أو ذاك يشعر بأن عملية الإبدال عملية إرادية يقوم بها المتكلم متى شاء ، والواقع أن حدوث هذه الظاهرة غير متوقف على إرادة تقصد إليه ، وإنما هو عملية ترتبط بالتاريخ وبالزمن الطويل ، بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة يدل تشابهها على أن إحداها قد تعرضت للتطور الصوتي خلال السنين ، وليس من حق أى إنسان أن يقوم هو بإحلال صوت محل صوت آخر من أجل توليد مفردة أو صيغة جديدة يضيفها إلى ما لدينا من تراث لغوي ، بل المفروض أننا نلتزم بما ورثناه من تقاليد هذه الفصحى^(٣) ، « فالإبدال إذن لون من ألوان التطور الصوتي ، ولهذا التطور عوامله الفعالة ، التي قد تتمثل في

(١) شرح الشافية للرضي ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ١٠ ص ٧ .

(٣) الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء ٢٩٦ - [ص ٢٦٥ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] .

اختلاف أعضاء النطق أوفى اختلاف البيئة الجغرافية أو فى اختلاف الحالة النفسية لدى شعب من الشعوب ، أو فى ميل الإنسان إلى ما هو أسهل من الأصوات أو إلى ما هو أكثر شيوعاً واستعمالاً ، أو إلى تحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة عن طريق المماثلة تارة وعن طريق المخالفة تارة أخرى ، إلى غير ذلك مما يعرف بعوامل تطور الأصوات^(١) .

وعلماء اللغة القدماء اختلفت نظرتهم إلى ما يحدث من تطور بين كل صوتين مبدلين ، فمنهم من كان يرى أن الصوتين يمكن أن يقع الإبدال فيهما ، وإن لم تكن هناك صلة صوتية تربط بينهما ، ومنهم من يرى أنه لا بد من وجود صلة صوتية تربط بين الصوتين المبدلين ، كالتقارب فى المخرج أو فى الصفة أو فيهما معاً ، وأقدم من عرف أنه اشترط التقارب ، أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) يقول الدكتور مهدي المخزومي : « وقد يكون من عوامل الإبدال تقارب الأصوات فى المخرج وهذا أمر التفت إليه الكوفيون ، ونص الفراء عليه ، فقد قال فى تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ (التكوير: ١١) : نزعت وطويت ، وفى قراءة عبد الله : « قشطت » بالقاف ، وهما لغتان ، والعرب تقول : الكافور والقافور ، والقف والكف ، إذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقباً فى اللغات ، كما يقال جدت وجدف ، تعاقبت الثاء والفاء فى كثير من الكلام كما قيل الأثافي والأثائي ، ووقعوا فى عاثور شر وعافور شر^(٢) ، فالفراء إذن يشترط لحدوث التعاقب الذى هو الإبدال ، التقارب فى المخرج ، ويرى أنه يقع فى اللهجات المختلفة .

ثم جاء من بعده يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) فنظر إلى الإبدال على أنه من خصائص اللغة العربية ، وتصور أن العرب كانوا يستبدلون حروفاً بأخرى دون سبب ظاهر^(٣) .. كما تصور إمكان وقوع الإبدال فى البيئة الواحدة^(٤) . وقد نسب إليه

(١) راجع الأصوات اللغوية من ص ٢٣١ إلى ص ٢٥٨ ، وراجع كتاب التطور اللغوى لعبد الرحمن أيوب من ص ١٨ إلى ص ٢٧ ط ١٩٦٤م .

(٢) مدرسة الكوفة ص ١٧٧ نقلاً عن معانى القرآن للفراء ص ٢١١ .

(٣) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ٦٧ . (٤) المرجع السابق ص ٧٢ .

السيوطى أنه قال: «حضر أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما (إنفحة) وقال الآخر (منفحة) ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ من بنى كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا ، وهما لغتان^(١) ، «فيتضح من هذا المثال ، ومن بعض ما ذكره فى رسالته (القلب والإبدال) مثل الحسيقة ، والحسيكة ، بمعنى الغل والعداوة ، والحساكل والحسافل (الصغار) ، والسلفان والسلكان (أولاد الحجل)^(٢) - أنه لم يكن يشترط القرابة المخرجة بين الصوتين لحدوث الإبدال ، إذ لا علاقة بين الهمزة والميم ، فيما ذكره السيوطى ، ولا بين الفاء والكاف فى بقية الأمثلة ، ويتضح أيضاً مما ذكر أن الإبدال عنده يقع فى اللهجة الواحدة ، ويقرب من ذلك رأى أبى الطيب اللغوى (٣٥١هـ) الذى جمع فى مؤلفه كتاب الإبدال كثيراً من هذا النوع الذى اختلفت صورتاه فى صوت واحد دون بقية الأصوات ، رغم أنه قد لا توجد أدنى علاقة بين الصوتين . . . وكان من آرائه أن الإبدال بجميع صوره لا يقع إلا بين لهجتين مختلفتين ، فقال : «ليس المراد بالإبدال أن تعتمد العرب تعويض حرف من حرف ، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان والمعنى واحد ، حتى لا يختلفان إلا فى حرف واحد ، قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم الكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ولا بالصاد مرة ، وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدرة عيناً ، كقولهم فى نحو أن (عن) لا تشترك العرب فى شىء من ذلك ، وإنما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون»^(٣) .

فأبو الطيب لم يفرق فى رأيه السابق مع ابن السكيت ، إلا فيما قال به من أن الإبدال لا يقع إلا بين لهجتين مختلفتين ، وفيما عدا ذلك فهما متفقان فى القول بحدوث الإبدال فيما تقارب بين الأصوات وفيما تباعد على حدّ سواء .

(١) المزهرج ١ ص ٢٨١ .

(٢) الكنز اللغوى فى اللسان العربى (ويشتمل على رسالة القلب والإبدال لابن السكيت ص ٣٦) .

(٣) مقدمة كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ١٣ ، ١٤ .

وقد كان أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ) يخالف ابن السكيت كل المخالفة ،
فيشترط القرابة المخرجية لحدوث الإبدال ، ويرى أنه يقع في اللهجات المختلفة ،
يؤخذ رأيه ذلك مما علق به على أبيات الحسن بن هانئ (السريع) :

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك ما اغتابوا
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذى عابوا

قال المبرد : وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لحجل
ابن نضلة وقد ذكر معاوية بن شكل ، فقال : أبيت اللعن : إنه لقَعُو الأليتين مقبل
النعلين ، فحج الفخذين ، مشاء بأقراء ، تباع إماء ، قتال ظباء ، فقال النعمان : أرَدْتُ
أن تذيمة فمدهته . . . وقوله فمدهته يريد مدحته ، فأبدل من الحاء هاء لقرب
المخرج ، وبنو سعد بن زيد مناة من تميم تقول ذلك ، ولخم ومن قاربها^(١)
فالمبرد إذن كان يتفق مع الفراء في أن الإبدال لا يقع إلا بين الصوتين المتقاربين
في المخرج ، وإلا في اللهجات المختلفة .

ولما أطل القرن الرابع الهجري وجدنا فكرة التقارب في المخرج قد نمت
وازدهرت ، فابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ذكر في كتابه الصحابي أن الإبدال من سنن
العرب وأنهم يقولون : مدحه ومدهه ، وفرس رفلَ ورفنَ ، ويقولون لفلقَ الصبح
فرقه ، واستنكر ما نسب للخليل ، من أن الآية ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ (الإسراء: ٥)
معناها فحاسوا ، وأن الجيم قامت مقام الحاء^(٢) . فربما يكون استنكاره ذلك لعدم
تحقق العلاقة الصوتية بين الجيم والحاء في نظره ، لأن الأولى من وسط اللسان ،
والثانية من الحلق ، وقد بدت فكرة التقارب في المخرج أوضح ما تكون عند
ابن جنى (٣٩٢هـ) المعاصر لابن فارس ، فقد عقد باباً في كتابه الخصائص عنوانه
(باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه)^(٣) وقد جمع في هذا

(١) كتاب الكامل للمبرد ج ٢ ص ٩٦ مطبعة الاستقامة بالقاهرة (بدون تاريخ)، وقارن مع مقدمة كتاب
الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٨١، والإبدال لابن السكيت ٩٠.

(٢) الصحابي ص ١٧٣ بتصرف .

(٣) انظر الخصائص ج ٢ ص ٨٢ وما بعدها .

الباب عدداً من الكلمات كل اثنتين منها اتفقتا فى المعنى وفى سائر الحروف إلا فى حرف واحد ، ثم قسم ما جمعه إلى قسمين : قسم عدّه من باب الإبدال وهو ما أمكن الحكم فيه بأصالة أحد اللفظين ، وفرعيه الآخر ، وقسم ليس من الإبدال وهو ما كان كل من اللفظين فيه أصلاً قائماً برأسه ، فمثلاً طبرزل وطبرزن ليسا من باب الإبدال لتساويهما فى الاستعمال فهما أصلان مستقلان ، وخامل وخامن فهما من باب الإبدال لأن الأول أكثر استعمالاً وتصرفاً فهو أصل ، أما الثانى (خامن) فهو فرع لِقَلَّة استعماله وتصرفه . وواضح من ذلك أن شرط الإبدال عند ابن جنى هو التقارب فى المخرج ، وشئ آخر هو أن يكون أحدهما أصلاً والآخر فرعاً له ، وقد أكد ابن جنى فكرة التقارب بين الحرفين المبدلين فى مواضع آخر من كلامه ، ومنها قوله فى سر الصناعة : « فأما من قال فى قول تأبّط شرّاً :

كأنما حَنَحُوا حصاً قوادُمه أو أم خشف بذى شت وطَبَّاق^(١)

أنه أراد : حثّوا ، فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا ، وإنما ذهب إلى هذا البغداديون ، وأبو بكر أيضاً معهم ، وسألت أبا على عن فساده فقال : العلة فى فساده أن أصل القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك كالدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه ، فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها^(٢) فابن جنى إذن قد أخذ فكرة التقارب فى المخارج من أستاذه أبى على الفارسى ، وقد أخذ عليه بعض المُحدِّثين ربط باب الإبدال بفكرة الأصالة والفرعية التى ترجع إلى الاستعمال كثرة وقلة ، وهؤلاء يرون أن مقياس

(١) البيت من بحر البسيط، وهو فى سر صناعة الإعراب ١/١٩٧، ٢٠٤، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٣٦، والصحاح (شت)، وتاج العروس (شت) (حصص) ولسان العرب (حث) (شت)، (و حصص)، (طبق)، والمعجم المفصّل ٥/١٩٦.

قال الأصمعى : الشّت من شجر الجبال. والطَبّاق شجر ينبت بالحجاز إلى الطائف .
الخشف : ولد الظبى .

(٢) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ١٩٧.

الاستعمال غير منضبط ، لاختلاف تداول الكلمة فى العصور متفاوتة ، فيؤدى ذلك إلى الحكم عليها بأحكام متفاوتة^(١) ، «بمعنى أن الكلمة قد يكثر استعمالها فى عصر من العصور ، ثم تموت فى عصر آخر ، فكيف يمكن الحكم بأصالتها فى زمن ، وبفروعيتها فى زمن آخر ، غير أنه يمكن القول بأن ما دَوّن من ألفاظ اللغة العربية إلى عصر ابن جنى فيه كفاية وغنية ، وصالح للاحتكام إليه فى تأسيس القواعد والمقاييس على نحو ما فعل ابن جنى .

وقد حذا ابن سيده حذو ابن جنى ومن سبقه فى اشتراط التقارب المخرجى لحدوث الإبدال ، فقال فى كتابه المخصص : «فأما ما لم يتقارب مخرجاً البتة فقل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق»^(٢) وهكذا انقسم اللغويون العرب إلى فريقين :

الأول : يشترط وجود العلاقة المخرجية لحدوث الإبدال ، ويمثله الفراء ، والمبرد وأبو على الفارسي ، وابن فارس ، وابن جنى ، وابن سيده .

الثانى : لا يشترط مثل هذا التقارب ويرى إمكان حدوث الإبدال بين المتباعدين ويمثله ابن السكيت ، وأبو الطيب اللغوى ، ويمكن أن يدخل معهم أبو بكر ابن السرى السراج والبغداديون كما يفهم من نص ابن جنى السابق .

* * *

آراء المحدثين :

وقد تناقل العلماء هذين المذهبين حتى وجدناهما فى العصر الحديث ، فبعض المحدثين لا يرون ضرورة التقارب فى المخرج لحدوث الإبدال ، بل ربما كان التباعد مسوغاً للإبدال عندهم مثل التقارب تماماً ، ومن هؤلاء الأستاذ عبدالله أمين ، الذى جعل العلاقات التى تسوغ الإبدال على النحو الآتى^(٣) :

(١) فقه اللغة العربية (المقرر على الصف الثالث) دكتور إبراهيم نجا ص ٧٢ ط : الثانية - العربية خصائصها وسماتها د. عبد الغفار هلال ص ٣١٧ ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) انظر المخصص ج ١٣ ص ٢٧٤ .

(٣) انظر كتاب الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين ص ٣٥٢ .

- (١) التماثل : وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً وصفة ، كالياءين والثاءين .
- (٢) التجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ، ويختلفا صفة كالدال والتاء .
- (٣) التقارب : وهو أنواع :
- (أ) أن يتقارب الحرفان مخرجاً ، ويتحدا صفة كالحاء والهاء .
- (ب) أن يتقارب الحرفان مخرجاً ، وصفة ، كاللام والراء .
- (جـ) أن يتقارب الحرفان مخرجاً ، ويتباعدا صفة كالدال والسين .
- (د) أن يتقارب الحرفان صفة ، ويتباعدا مخرجاً كالشين والسين .
- (٤) التباعد : وهو نوعان : -

- (أ) أن يتباعدا الحرفان مخرجاً ، ويتحدا صفة كالنون والميم .
- (ب) أن يتباعدا الحرفان مخرجاً ، وصفة ، كالميم والضاد .

وهذا الرأى الذى يبدو أنه كان متابعاً فيه لابن السكيت ، بدليل أنه اعتمد على كتابه (القلب والإبدال) فى كثير من الأمثلة التى ذكرها - لم يسلم من النقد ، لأن (من هذه العلاقات المسوغة للإبدال ، ما لا يبدو منطقياً قط ، بل يمكن القول فيه أنه مضطرب تارة ، ومتناقض تارة أخرى ، والاضطراب واضح فى بعض حالات التقارب ، كالحالة الثالثة ، وأوضح ما يكون فى الحالة الرابعة منها ، وهى التى يتقارب فيها الحرفان صفة ، ولكن يتباعدان فى الأمر الأهم وهو المخرج ، كالشين والسين ، فما ندرى كيف أدرجوا مفهوم التباعد فى مفهوم التقارب ، وكيف جمعوا بين النقيضين وسموهما باسم واحد ، . . وهذا الاضطراب فيما سموه علاقة التقارب ليس شيئاً يذكر إذا قارناه بالتناقض الصريح الذى لا سبيل إلى دفعه فيما سموه علاقة التباعد وعدوه رغم اسمه هذا - من مسوغات الإبدال»^(١) هذا تعليق الدكتور صبحى الصالح ، وواضح منه أنه ينكر أن يكون التباعد فى المخرج أو الصفة مسوغاً للإبدال ، ويبدو من خلال حديثه أنه يرتضى رأى الأستاذ عبد الله

(١) باختصار من كتاب دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

أمين فى القول بأن الشين والسين من المتباعدين فى المخرج ، ولذا أنكر عليه وضعهما ضمن حالات التقارب ، والواقع أن الشين والسين ليسا من المتباعدين فى المخرج لأن الأولى تخرج من وسط اللسان مما يلى الأضراس وتستطيل نحو المقدم ، والثانية تخرج من طرف اللسان والثنايا فلو وضعهما الأستاذ أمين فى الحالة الثانية من حالات التقارب لكان حديثه عن التقارب فى غاية الدقة .

وأما الفريق الثانى من المُحدِّثين فقد رأى أنه لا بد من وجود العلاقة المخرجيّة بين الصوتين كى يتم بينهما الإبدال ، ومن هؤلاء الأستاذ جبر جومط ، الذى قال : « فأما بقية الحروف ، وتعرف اصطلاحاً بالحروف الصحيحة ، فتبدل بعضها من بعض فيما إذا كانت من مخرج واحد أو متقاربة المخارج^(١) ، » وقد سار على هذا النحو معظم علماء اللغة والأصوات فى العصر الحديث ، فاشتروا شروطاً ثلاثة لحدوث الإبدال وهى^(٢) : -

(١) أن توجد بين الصوتين علاقة مخرجيّة أو وصفية .
(٢) أن يتفق اللفظان (المبدل والمبدل منه) فى المعنى على سبيل الحقيقة لا على سبيل المجاز .

(٣) أن يتم الإبدال من الصوت الأصعب إلى الأسهل .
ويبدو أن هؤلاء قد تأثروا بمن اشترط القرابة المخرجيّة من الأقدمين ، كالفراء والمبرد ، وأبى على الفارسى وابن جنى وابن فارس وابن سيدة ، وعلى ذلك يمكن أن نقول إن لعلماء اللغة قديماً وحديثاً مذهبين فى الإبدال : -

(١) الخواطر فى اللغة ص ٦.

(٢) راجع الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص ٣٠٠ ، ٣٠١ = [ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى]. وراجع (ابن جنى اللغوى رسالة الدكتور عبد الغفار هلال ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ = [ص ٧٠٨ عبقرى اللغويين] وراجع مقدمة كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٩. وقد تحدثنا عن هذه الشروط مع الشرح والاستقصاء، حيث أوصلناها إلى سبعة شروط فى كتابنا مقاييس الأصالة والفرعية فى الإبدال لابن السكيت من ص ١٦ إلى ٢٤ الطبعة الأولى ١٩٩٩م - ١٤١٩هـ دار البشرى - القاهرة .

أحدهما : يشترط وجود العلاقة المخرجة أو الوصفية بين كل صوتين مبدلين .
والآخر : لا يرى ضرورة هذا الشرط ، وإذا كان الأمر كذلك فما موقفهم من حلول الهمزة محل الواو والياء ، كما فى إبدال الإعلال ، أو من حلول الألف والواو والياء محل الهمزة كما فى إبدال التسهيل؟؟ وهل ذلك من الإبدال حقيقة ، أم لا؟؟
الواقع أن الذين لا يشترطون وجود العلاقة المخرجة بين المبدل والمبدل منه ، لا يضيرهم أن يسمى حلول الهمزة محل أصوات اللين أو بالعكس إبدالاً ، وليس من الضروري عندهم أن يبحثوا فيما بينهما من علاقة قد تكون التقارب أو التباعد . أما الذين يشترطون العلاقة المخرجة أو الوصفية لحدوث الإبدال فكانوا على خلاف فيما بينهم حول تحقق العلاقة بين الهمزة وبين الألف والواو والياء فمنهم من نفى ذلك ، ومنهم من أثبتته ، ولكل وجهة ، وسنعرض الآن لرأى الفريقين :

أولاً : النافون للعلاقة بين الهمزة وأصوات المد واللين :

(١) رأى الدكتور إبراهيم أنيس :

كان الدكتور إبراهيم أنيس ينظر إلى ظاهرة الإبدال على أنها دائماً تحدث نتيجة التطور الصوتي ، ولقد يكون من الأفضل أن نورد عبارته التى يقول فيها : « حين نستعرض تلك الكلمات التى فسرت على أنها من الإبدال حيناً ، أو من تباين اللهجات حيناً آخر ، لا نشك لحظة فى أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي ، أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها ، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هى الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها ، غير أنه فى كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه ، ودراسة الأصوات كفيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها أى أن القرب فى الصفة أو المخرج شرط أساسى فى كل تطور صوتي^(١) .

(١) من أسرار اللغة ص ٧٥.

هذا حديثه عن الإبدال عامة ، وفى موضع آخر ينكر أن تكون الهمزة فى كلمة السماء مبدلة من الواو ، فيقول : « ومع أن الصرفيين يجمعون على أن الهمزة فى كلمة السماء أصلية منقلبة عن واو ، فإنهم لا يفسرون لنا السبب فى قلب الواو هنا همزة تفسيراً علمياً مقنعاً له أساس من أى نظرية صوتية »^(١)، وهذا يدل على أنه كان يرى أن العلاقة الصوتية بين الهمزة والواو منعدمة ؛ لأنها لو كانت متحققة فى نظره ، لما كان هناك مجال للقول بعدم الإبدال فى كلمة (السماء) ونظائرها .

وانطلاقاً من ذلك نراه يفترض « أن الهمزة فى كلمة (السماء) وأمثالها همزة وقف »^(٢)، ويستأنس لذلك بما ورد فى المعاجم من الكلمات التى لها صورتان إحداهما مقصورة ، والأخرى ممدودة ، أمثال : العطا والعطاء والقفا والقفاء ، والرّنا والرّناء ، والدّوا والدّواء ، والحيا والحياة ، . . . ، مفترضاً أن المد فيها طارئ وأنه نشأ عن ظاهرة التهميز التى سادت لدى البدو فى حالة الوقف^(٣) ، « وبعد أن استثنى مما أحصاه من هذا اللون من الكلمات ، مجموعة المصادر التى تعبّر عن صوت أو داء ، ووزنها (فُعَال) مثل ثغاء ، وحذاء ، ودعاء ، ومكاء ، وضغاء ، وزقاء ، ومجموعة الأسماء التى تجمع على (أفعلة) مثل بناء ، وحذاء ، ورداء ، ورشاء ، وكساء ، ولحاء . . . حيث يعدّ الهمزة فيهما (أى فى المجموعتين) ممثلة للام الكلمة ، ختم حديثه قائلاً « فليس من الشطط أن نقرر أن الأمثلة غير المهموزة - فيما عدا المجموعتين - تمثل الصورة الأصلية ، وأن نظائرها المهموزة ، صور طرأت عليهما الهمزة فى وقت ما قبل الإسلام ، وتم ذلك على ألسنة البدو ، وفى حالة الوقف أوّل الأمر ، ثم اشتهرت بعد ذلك واستعملت فى غير الوقف أيضاً ، وأصبحت الصورتان مما اعترفت به اللغة المشتركة »^(٤).

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٠.

(٢) الأصوات اللغوية ص ١٠٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٣ (بتصرف).

(٤) المرجع السابق ص ١٠٣.

وخلاصة القول أن الدكتور إبراهيم أنيس كان لا يرى تحقق العلاقة الصوتية بين الهمزة من ناحية ، وبين الواو والياء من ناحية أخرى فى كلمات مثل السماء وبقاء ، وجلاء ، وجفاء ونحوها من مصادر الأفعال المعتلة ، وكان يقول إن وزنها (فَعَل) كما هو القياس فى مصدر الفعل الثلاثى الصحيح ، وليست الهمزة فيها لام الكلمة حتى يكون وزنها (فَعَال) لأن هذا الوزن سماعى وأمثله نادرة ، وإنما الهمزة فيها ناشئة عن التهميز^(١) ، وكذلك كل ماله صورتان مقصورة ، وممدودة ، تكون الهمزة فيه للتهميز الناشئ عن ظاهرة الوقف بالهمزة ، وليست لاما للكلمة باستثناء ما يجمع على (أفعلة) ، أو ما كان على وزن (فُعَال) ودل على صوت أو داء ، فالظاهر أن الهمزة فيه مبدلة من الواو أو الياء عنده .

ونلاحظ على ما ذكره الدكتور أنيس أنه لا يعدو كونه تفسيراً لحالة واحدة من حالات الإبدال الواجب وهو ما تطرفت فيه الهمزة ، أما ما توسطت فيه الهمزة المبدلة نحو قائل ويانع ، وعجائز وصحائف وقلائد وسيائد ، فلا نجد لحلول الهمزة محل الألف والواو والياء تفسيراً فى كلامه ، وكذلك لم يتعرض لتفسير حالات الإبدال فى أوائل الكلمات فى نحو أجوه ، وأولى ، وأواصل وإشاح ، وإسادة ، وأناة ، ولم يتعرض أيضاً لتفسير إبدال التسهيل حيث تحلّ الألف والواو والياء محل الهمزة ، فما تفسير كل ذلك إذا لم نقل بالإبدال؟؟

على أن تفسيره ذلك سيؤدى إلى أن يكون هناك وزن (فَعَلًا) فى مصادر الناقص وهذا لا نظير له فى الصحيح الذى يقيس المعتل عليه . وإذا كان (فَعَال) فى المصادر غير كثير فإنه فى الأسماء غير المصادر كثير ، فهل يفسر أيضاً على أن أصله فَعَل؟؟ وكيف يحمل عندئذ على الصحيح؟ وعلى أى أساس يقوم الفرق بين فَعَال وفُعَال؟ كل هذا يعنى أن تفسير الدكتور أنيس غير صحيح .

(٢) رأى الدكتور عبد الصبور شاهين :

كان الدكتور عبد الصبور شاهين قد تبنى فكرة انعدام العلاقة بين الهمزة وبين الواو والياء كصامتين وحركتين ، وقد عقد فصلاً خاصاً فى كتابه (القراءات القرآنية

(١) راجع ص ١٠١ إلى ص ١٠٤ من الأصوات اللغوية .

فى ضوء علم اللغة الحديث) لبيان طبيعة الواو والياء وعلاقتها بالهمزة ، وانتهى فى ذلك إلى أن بين الجانبين مفارقات من عدة وجوه : -

أولاً : الهمزة من الحنجرة والواو من أقصى اللسان ، والياء من وسط اللسان مع ما يحاذى الموضعين من الحنك الأعلى .

ثانياً : الهمزة صوت انفجارى (شديد) وهما انطلاقيان (لينان) .

ثالثاً : الهمزة صوت ذو وجود صوتى وسياقى (فونتيكى - وفونولوجى) أما هما فوجودهما انتقالى سياقى (فونولوجى) فحسب ، مهما تكن ظروف وجودهما فى المادة اللغوية .

رابعاً : الهمزة صوت مهموس أولاً هو بالمهموس ولا بالمجهور ، وهما مجهوران ، إلا فى حالة خاصة هى حالة الوقف على مثل العفو والسعى حيث يمكن أن يتعرضا للهمس فى هذا الموقع ، وهو ما يقع أحياناً لحركات أواخر الكلمات فى حالة ما سماه القدماء بالروم وهى حالة من حالات الوقف^(١) ، وهو كذلك لا يرى أساساً أية قرابة صوتية بين الهمزة والحركات الطوال (الألف والواو والياء)^(٢) ، ومن هنا حكم بخطأ القدماء ومن وافقهم من المحدثين فى كل ما زعموه من دعاوى الإبدال فى هذا الباب ، لعدم وجود العلاقة الصوتية المشتركة لحدوث الإبدال ، وعليه لابد من البحث عن حل آخر للمشكلة^(٣) ، (أى مشكلة الإبدال) ، وفى مقدمة تفسيره لحالات الإبدال ، قدم رأى الدكتور هنرى فليش فى تلك الحالات ، مثبتاً عليه بعض الملاحظات ، وهاك عرضاً سريعاً لكل ذلك :

أولاً : تفسير الدكتور هنرى فليش لحالات الإبدال :

ذكر الدكتور هنرى أن العربية الفصحى محكومة ببعض الأحداث الصوتية الكبيرة التى تفسّر جزءاً هاماً من علم الصرف ، وقد التزم أن يقدم المبادئ الأساسية

(١) القراءات القرآنية ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٣) القراءات القرآنية ص ٧٧ .

لهذه الأحداث الكبيرة، وحددها في ناحية المقطع، وفي عدم التوافق بين الفونيمات، وفي طبيعة الصوامت^(١). والمفيد من هذه الاتجاهات في حل مشكلة الإبدال ثلاثة :-

- (١) كراهة الاحتفاظ بمصوت طويل أو مزدوج في المقطع المقفل .
- (٢) كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغيرها .
- (٣) ضعف الواو والياء بين المصوتات .

وقد طبق الدكتور هنرى الاتجاهات السابقة على حالات الإبدال في العربية ، فوجد أن النثر قد يسمح بالمقطع الطويل المقفل (س ح ح س) كما في صيغة (افعال) فالمقطع الثانى منها يسمى بالمقطع المديد أو المقفل الطويل ، وهو مقطع مكروه في العربية ، ولا يسمح به الشعر ، ولم يرد إلا في قول الشاعر :

فذاك القصاص وكان التقاص صُ حتما وفرضا على المسلمينا

وذلك على سبيل الشذوذ ، لأنه لم يرد إلا في بحر المتقارب وفي هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض كما نبه إلى ذلك المبرد^(٢) ، ومن أجل ذلك كان الشاعر العربى يتخلص من هذا المقطع المكروه دائماً ، فيقسمه إلى مقطعين ، وذلك يجعل المصوت الطويل مصوتين قصيرين مفصولين بهمزة ، فتتحول صيغة افعال إلى (افعال) ، وبذلك يفسر حلول الهمزة محل الألف في مثل : احمار ، الضالين ؛ لاحتوائهما على ذلك المقطع^(٣).

أما بالنسبة للاتجاهين الثانى والثالث فقد طبقهما على حالات الإبدال الواجب وربط بين هذه الحالات جميعاً بواسطة ما عبر عنه بكراهة النطق بالصوامت الضعيفة (الواو الياء) مع مصوت من جنسهما ، وذلك يتحقق في الواو مع الضمة ،

(١) راجع القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) راجع الكامل للمبرد ج ١ ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) راجع القراءات القرآنية ص ٥٦ ، ٥٧ ، وراجع العربية الفصحى (نحو بناء لغوى جديد). للدكتور هنرى فليش ص ٤٤ ، ص ٤٩ .

والياء مع الكسرة ، وأضاف إليهما الواو مع الكسرة^(١) . ففي سماء وبناء ونحوهما ، يفترض أن أصلهما (سماو ، وبناء) ، وأن الواو تلتقى في حالة الرفع بضممة فيتكون التركيب (آو = Awu) وتلتقى في حالة الجر بكسرة ، فيتكون التركيب (آو = awi) وفي الياء تلتقى في حالة الجر بكسرة ، فيتكون التركيب (آي = ayi) ، وقد أحدث تكوين هذه التراكيب الصوتية ثقلًا على اللسان ألجأ الناطق العربى إلى أن يعدل عن الواو والياء إلى الهمزة ، ولكن يبقى في حالات الواو احتمال التقائها بفتحة حيث يتكون التركيب (آو = awa) ، وفي حالات الياء التقاؤها بضممة على مثال (آي = ayu) ، والتقاؤها بفتحة على مثال (آي = aya) ، وقد حمل الدكتور هنرى هذه الحالات غير المكروهة على سابقتها بوساطة ما أطلق عليه القياس الموحد ، وذلك لتوحيد النموذج اللغوى^(٢).

وفى نحو قائل وبائع ، وأصلهما قاول وبايح ، يتكون التركيب المكروه وهو (آو = awi) فى الأول ، (آي = ayi) فى الثانى ، وللتخلص منه قلبت الواو والياء همزة^(٣).

وأيضًا فى نحو عجائز وصحائف وقوائم نجد التركيبين المكروحين ، وذلك كاف لقلب الواو والياء همزة .

لكن يلاحظ أن الداعى إلى الإبدال فى الأمثلة الخمسة السابقة قد تمثل فى السببين ، فقد وقعت الواو والياء (وهما صامتان ضعيفان) بين مصوتات ، فزاد ذلك من ضعفهما ، كما أن كلا منهما قد تلاها مصوت مكروه من جنسها أو مغاير لها^(٤) .

وفيما يتعلق بحالات الإبدال الجائز ، وجد كراهة النطق بصامت ضعيف مع مصوت من جنسه أو مغاير له ، محققة فى أمثله ، ففي نحو (وجوه ووشاح

(١) راجع القراءات القرآنية ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق ص ٦١ (بتخليص).

وغايي) تتكون التراكيب المكروهة (و = wu) ، (و = wi) ، (آي = ayi) وهذا سر العدول عن الواو والياء فيما سبق ونحوه إلى الهمزة^(١) ، هذا هو رأى الدكتور هنرى فليش فى تفسير حالات الإبدال ، وهو رأى فيه جدية وإبتكار ، وكان يمكن الأخذ به لولا ما به من ثغرات ، ويمكن إيضاح ذلك بما دوّن حول هذا الرأى من ملاحظات :

- ١- تجاهل فليش مناقشة الإبدال فى حمراء .
- ٢- إن الشواهد التى ذكرها لبيان كراهة العربى الاحتفاظ بالمصوّت الطويل فى المقطع المقفل مثل (احمأر ولا الضألين) أمثلة لهجية لا تصلح دليلاً على ظاهرة تكاد تعد مقياساً للغة بوجه عام .
- ٣- قال الدكتور فليش عن بعض التراكيب إنها خفيفة ، وحملها على التراكيب المكروهة لتوحيد النموذج اللغوى ، مع أن القدماء نصوا على كراهة العرب للنطق بهذه التراكيب ، فليس العدول عن قَوْلَ وَيَّعَ إلى قال وباع إلا تجنباً للتركيبين (aya awa) .
- ٤- جمع فليش بين المنهج الصوتى التحليلى ، والمنهج الصوتى السياقى حين عامل المزدوج أحياناً على أنه صامت ، وأحياناً اعتبره مزدوجاً لتحلل عناصره^(٢) .
- ٥- لم يفرق فليش بمقياسه السابق بين أنواع الإبدال الواجب والجائز والشاذ ، ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره .
- ٦- لم يستطع فليش تفسير إبدال الهمزة تفسيراً وافياً ، فهناك أمثلة كثيرة مثل ووعد وووفى ، والظبى والدلو ، ونأى ، وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى : (ay i , y u , w u) ومع ذلك لم تقلب همزة^(٣) .

(١) راجع القراءات القرآنية ص ٦٥ ، ص ٦٦ .

(٢) راجع القراءات القرآنية ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) راجع ابن جنى اللغوى ص ٤٩٦ - قارن مع ٦٥٤ عبقرى اللغويين .

- ٧- إن ما يوجد الآن فى أكثر اللهجات العربية المحلية من النطق بالتركيب (آى=ayi) فى جميع أمثلة الإبدال الواجب نحو بايع وقايم ، وجرايد ، وعوايد ، وفوايد ، وقبايل وما شاكلها ، واطرده فيها - ينفى قول الدكتور (فليش) ، إن هذا التركيب كان مكروهاً ، لأن اللغة تتجه فى تطورها غالباً من الأصعب إلى الأسهل ، ثم إنه كان يوجد ذلك التركيب أيضاً فى اللغة الفصحى القديمة فى كلمات كثيرة مثل معايش ، وجداول ، وقساور ، وقاول ، وبايح - فعلى أمر .
- ٨- لم يتعرض الدكتور فليش لتفسير حالات إبدال التسهيل أى قلب الهمزة إلى الألف والواو والياء .

وخلاصة الأمر - كما قال بعض الباحثين^(١) - أن الصرفيين وضعوا ضوابط وشروطاً حاصرة لهذه الأحوال ، لا تنخرق إلا شذوذاً ، وفى أمثلة معدودة تكلموا فيها وحاولوا تفسيرها أما الأسس التى وضعها فليش فهى قاصرة عن قواعد الصرفيين وضوابطهم ، فضلاً عن أنها تفترض فى العربية ظواهر تراها مطردة ، ولم تعترف بها العربية .

* * *

ثانياً : تفسير الدكتور شاهين :

ذكر الدكتور فى مقدمة تفسيره لحالات الإبدال أن ما تعوده اللسان العربى فى معاملته للواو والياء والهمزة ناشئ عن بعض الكراهات التى لم يألفها ، ومقتضى هذا أنه تكونت للسان العربى خصائص نطقية ، من أهمها ما يلى :

أولاً : أن الأصل فى الوقف هو السكون ، فلا يوقف على متحرك ، وبعبارة أخرى لا يوقف على مقطع مفتوح .

ثانياً : أغفل القدماء النص على أنه لا يبدأ بحركة ، وهو طبع فى اللسان العربى لم يتعود خلافه ، كما أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهاها من جملة

(١) راجع دراسة فى الصيغ العربية د. محمد خاطر من ص ٨٣ إلى ص ٨٥ (رسالة دكتوراه).

الحركات ، مع أنها تكبير للحركات وتركيب لا يستساغ في بداية الكلمات ، وبخاصة إذا ولى المزدوج حركة من جنسه .

ثالثاً : من المسلم به أن العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية ، ومن ثم لجأوا إلى إقفال بعض هذه المقاطع المفتوحة ، بالإسكان أو الإدغام ، وقياساً على هذا كان العرب يكرهون توالي الحركات الكثيرة الذى يضعف النظام المقطعى^(١) .

وانطلاقاً من هذه الخصائص قرر الدكتور أن الهمز كان لدى العربى ذا وظيفتين :
أولاهما : الهروب من تتابع الحركات .

ثانيهما : المبالغة فى نبر بعض المقاطع ، فيتحول بذلك نبر الطول إلى نبر التوتر^(٢) ثم أخذ فى نقد قواعد الإبدال على النحو التالى :

(أ) فى نحو كساء وبناء مما تطرفت فيه الواو والياء بعد ألف زائدة ، يرى أن أصله (كساو ، وبناء) بإسكان الآخر على الوقف ، ويرى أن الموجود فى آخر الكلمة ليس واواً ، ولا ياء ، وإنما هو ضمة أو كسرة تكون مع الفتحة الطويلة قبلها المزدوج ، ويترتب على ذلك وجود المقطع المفتوح فى آخر الكلمة الموقوف عليها ، وذلك مكروه فى العربية ، لذلك لجأ الناطق إلى إحلال الهمزة محل الضمة (التي هى الواو) ومحل الكسرة (التي هى الياء) لا على سبيل الإبدال ، بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة بالوقف على المقطع المقفول^(٣) . أما الهمز فى حمراء ، فيرجع إلى التطور فى علامة التأنيث ، التى كانت فى الأصل القديم الذى مات ، هى التاء ، ثم تطورت إلى الألف المقصورة ثم إلى الألف الممدودة ، لكره العربى أن تنتهى الكلمة فى نطقه بالمقطع المفتوح ، فأثر إقفاله بالهمزة ، وهو تطور خاص بالعربية وحدها تقريباً فيما ذهب إليه بروكلمان^(٤) . هذا وقد حدث إقفال المقطع

(١) راجع القراءات القرآنية ص ٧٨ إلى ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) راجع القراءات القرآنية ص ٨١ (بتلخيص) .

(٤) المرجع السابق ص ٨٢ إلى ٨٤ (بتلخيص) .

المفتوح فى بعض الكلمات المؤنثة بصورة أخرى كهمز الألف فى (هذه حبلاً) وربما همزوا ألفات أخرى لغير التأنيث مثل : (رأيت رجلاً) وقريب منه (قولى وقولاً ، وقولئ) فى الوقف عليها ، وربما شاركت الهزمة فى قفل المقطع المفتوح هاء السكت وهاء الندبة ، والهزمة فيما سبق إلى جانب مهمتها كوسيلة لإقفال المقطع المفتوح ، لها وظيفة أخرى وهى تقوية النبر ، وعلى الرغم من أنه نبر طولى فإن اختتام المقطع المنبور بالهزمة يمنح النبر قوة أخرى^(١) .

(ب) وفى نحو قائل وبائع وعجائز وقوائم . . يرى الدكتور شاهين أنها تخضع لتفسير واحد ، وهو الهروب من تتابع الحركات ، لأن أصلها قاول وبائع وعجائز وقواوم ، وكل الواوات والياءات بعد الألف ليست إلا ضمات وكسرات والكسرة أو الضمة هى العنصر الثانى من عنصرى صوت اللين المركب الذى هو (أو أو آى) وهرباً من هذا التتابع الحركى المكروه ، حذفت الضمة التى هى الواو ، والكسرة التى هى الياء ، وحلت محلها الهزمة التى هى علامة النبر لا على سبيل الإبدال بل لمجرد التعويض الموقعى كوسيلة للنبر^(٢) ، أما فى قلائد : فيبدو أن السبب فى نبره هو الرغبة فى صوغ جمعه على صيغة معينة ، لأن المتتابع فيه ففتحان طويلتان (قلااد) ومن الصعب على الناطق أن يعطى للألفين حقهما من الطول ، لذلك نبرت الألف الثانية ثم كسرت النبرة ليلحق بوزن مفاعل ، على أنه يوجد جمع آخر اكتفى فيه بنبر الطول وهو (قلااد)^(٣) .

(ج) أما جمع مفاعل وما أشبهه مما أعلت لامه ، نحو خطيئة وخطايا ، فيرى أنه جمع تغيرت فيه طريقة النبر من الهمز إلى طول الحركة ، وهو جمع تفرضه تقاليد من لا ينبرون ، ومفرده (خَطِيْه) بلا همز ولا إدغام ولا إبدال ، ويرى أن الوقف على الفتحة الطويلة فى آخره ، يمكن أن يكون بالهاء أو بالهزمة فيقال فى الوقف عليه بالهاء : خطايه ، أو خطايا ، وفى الوقف عليه بالهزمة يقال خطايا ،

(١) المرجع السابق ص ٨٥ إلى ٨٦ (بتلخيص).

(٢) المرجع السابق ص ٨٨ إلى ٨٩ (بتلخيص).

(٣) القراءات القرآنية ص ٨٩ (بتلخيص).

وإن كان ذلك لا يظهر فى الكتابة ، أما الجمع المنبور فهو ما ورد مسموعاً فى قول بعض العرب « اللهم اغفر لى خطائى » بهمزيّن ، إلا أن هذه الصيغة اختفت من الاستعمال لعدم إمكان نبر مقطعين متواليين^(١) .

(د) وأما فى (وواصل) ونحوها ، فإنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى عند التحليل (ua ua sil) حيث تتابعت فيها أصوات اللين المزدوجة ، فجرى النطق العربى على نبر مقطعيها الأول تفادياً للنطق بحركة فى بدء الكلمة فصارت أواصل ، أما ما بدئ بمزدوج واحد فهو مستساغ فى النطق العربى نحو وكَد ، ويَوْم ، ويد ، ولكنه لم يسلم من الهمز عند بعض العرب فى مثل وجوه ووشاح^(٢) .

(هـ) كذلك تناول الدكتور شاهين إبدال التسهيل وأوضح أن أهل الحجاز أحياناً كانوا يستعيضون عن النبر الهمزى بنبر الطول فيما إذا تخلف عن سقوط الهمزة صوت لين طويل ، نحو راس وبير وجونة فى رأس وبئر وجؤنة ، وأحياناً كانوا يستعيضون عن الهمز بنبر التضعيف ، وذلك فيما إذا تخلف عن الهمز صوت مضعف فى خطية ومقروّة ، وأحياناً كانوا لا يستعيضون عن موقع الهمزة الساقطة بشيء كما فى يَسَلْ ، وَيَجَرُ ، وَخَطِيّة دون تضعيف ، وفى هذه الحالة يكون النبر قد انتقل من موضعه إلى المقطع السابق عليه^(٣) .

تعقيبات :

لم يسلم رأى الدكتور شاهين الذى صاغه فى شكل نظرية عامة سماها (نظرية النّبر) من بعض الملاحظات التى وجهت إليه ، فالدكتور عبد الغفار هلال يرى أن مقاييس هذه النظرية لم تف بالمطلوب من التفسيرات ، وذلك من عدة نواحى :

(١) قال الدكتور شاهين إن العربى كان يكره الوقف على المقطع المفتوح ويريد إقفاله فى نحو (سماو وبنائى) والواقع أن الكلمات لم توضع لتستعمل

(١) القراءات القرآنية ص ٩١ ، ص ٩٢ (بتلخيص).

(٢) المرجع السابق ص ٩٢ ، ٩٣ (بتلخيص).

(٣) راجع المرجع السابق من ص ١٠٩ إلى ص ١١٢ .

مفردة ، بل لتستعمل فى تركيب يؤدى معنى مقصودا ، فالوصل هو طريق استعمال اللغة لا الوقف ، وكذلك لو نطقنا كساو وبنأى بالتونين لم يوجد المقطع المفتوح أيضاً . ثم لماذا لم تقلب الواو والياء همزة حال الوقف فى مثل نأى ورأى؟؟ مع وجود المقطع المفتوح فيها . ولماذا لم يحدث ذلك فى مثل التراخى والتسامى؟ ثم إننا لا نجد فى كلامه تفسيراً لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة فى مثل قراء ، وقلبها واواً فى صحراء ، وترجيح أحدهما فى نحو كساء وبناء وعلباء . ولماذا لم يقولوا فى إقفال المقطع حمراً كما قالوا حُبلاً؟؟ ثم إن تطور كلمة (حمراء) من حمرت إلى حمرة إلى حمرا إلى حمراء لا دليل عليه ، وإلا لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حمرة أو حمرت بالرجوع إلى أصل سابق .

(٢) قال الدكتور شاهين إن سبب التغيير إلى الهمزة يتمثل فى الهروب من تتابع الحركات ، فلماذا لم يهرب العربى منه فى نحو قاول وبائع فعلى أمر ، وهما مثل قائل ، وبائع اسمى فاعل؟؟ ولماذا لم يهرب منه فى نحو جداول وقساور ، وهما مثل عجائز وصحائف؟؟

(٣) لم يفرق الدكتور بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز فى الألفاظ التى وجدت فيها واو أو ياء أوألاً ، مع أن بعضها يجب همزه نحو وواصل وبعضها يجوز نحو وسادة ووشاح ووجوه ، وبعضها يمتنع مثل واصل ويواقيت^(١) .

هذا ويمكن أن نضيف إلى ما سبق عدة ملاحظات أخرى وهى :-

(أ) أن الدكتور شاهين اعتمد فى القول بحركة الواو والياء غير المدتين على تحليل المزدوج إلى عناصره ، فى أمثلة الإبدال التى ذكرها ، والواقع أن قضية وجود المزدوج فى اللغة العربية ليست محل اتفاق بين الباحثين ، فالدكتور حسن ظاظا بعد أن عرف الحركة المزدوجة بأنها انتقال الناطق من الفتحة إلى الضمة

(١) راجع رسالة الدكتور عبد الغفار هلال (ابن جنى اللغوى) ص ٤٩٨ - وانظر عبقرى اللغويين ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

أو من الضمة إلى الكسرة ، أو من الكسرة إلى الفتحة أو بالعكس ، بحيث يكون الانتقال قفزاً وانزلاً في دفعة نفس واحدة^(١) ، عقب بقوله : وفى رأينا أنها غير موجودة فى اللغة العربية ، بل الموجود هى حروف اللين فقط ، أما الواو والياء غير المدتين فهما صوامت لا حركات ، سواء أ جاءت ساكنة ، مثل قَوْلٍ وَيَبِيعُ أو متحركة مثل عواقب وهياكل^(٢) . ونحن نرى أن ما قال عنه الدكتور شاهين إنه حركة مزدوجة فى معظم أمثلة الإبدال (قاوِلٌ وبايِعٌ وصحايِفٌ وسياوِدٌ) لا يتم فيها الانتقال فى دفعة نفس واحدة ، لأنها موزعة على مقطعين من مقاطع الكلمة ، ومعلوم أن كل مقطع يتم فى دفعة نفس على حدة ، ومما يؤكد أنهما صامتان لجوء بعض العرب إلى إقفال المقطع المفتوح بهما ، بدلاً من الإقفال بالهمزة ، فكلمة (أفعى) التى تنتهى بمقطع مفتوح ، كان بعض العرب كقبيلة فزارة ، وناس من قيس وبعض طيئ يقلبون الألف الموقوف عليها ياء ساكنة فيقولون هذه أَفْعَى ، ومرت بِأَفْعَى وكان بعض طيئ يقلبها واو ساكنة ، فيقولون هذه أَفَعَوْ ، ورأيت أَفَعَوْ ، ومرت بِأَفَعَوْ^(٣) ، وكان بعض طيئ أيضاً يقلبها همزة فيقول هذه أَفَعَأْ ، ورأيت أَفَعَأْ ومرت بِأَفَعَأْ^(٤) ، والذى يمكن تصوره أن الذين كانوا يقولون أَفَعَأْ ، وأَفَعَى ، وَأَفَعَوْ (فى أفعى) أرادوا قفل المقطع المفتوح المنتهى بحركة طويلة ، إلا أن طريقة الإقفال اختلفت فالبعض يفضل الهمزة فى الإقفال ربّما لأنهم بدويون ، والبعض يؤثر الإقفال بالواو أو بالياء ، ربما لأنهم حضريون ، أما الذين يقولون (أفعى) بصوت اللين الطويل ، فهم يستريحون إلى المقطع المفتوح فى نهاية الكلمة ، فالعرب إذن لهم أذواقهم فى الوقف على المقطع المفتوح ، وفى وسيلة الإقفال ، وأعتقد أن ذلك مرده إلى اختلاف اللهجات .

(١) كلام العرب (من قضايا اللغة) ص ٣٧ (بتصرف).

(٢) المرجع السابق (بتصرف).

(٣) جاء فى شرح الرضى على الشافية (ج ٢ ص ٢٨٦) اعلم أن فزارة وناسا من قيس يقلبون كل ألف فى الآخر ياء سواء كانت للتأنيث كجبلى ، أو لا ، كمشى كذا قال النحاة. وقال فى (٢٨٧): واطرد قلب الياء من كل ألف عند طيئ فى الوقف .. وفى (٣١١) ولذلك يقلب بعضهم الألف فى الوقف واواً أو ياء آيين منهما.

(٤) انظر ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٣٢٥.

(ب) إن الدكتور شاهين لا يختلف فى قوله بالوقف على المقطع المقفول فى نحو سماء وبناء ، عن قول الدكتور إبراهيم أنيس بالتهميز فى حال الوقف ، وهو لا يختلف كثيراً فى قوله بالهروب من تتابع الحركات فى قائل وبائع وصحائف وقوائم . . . عن قول الدكتور هنرى فليش بكراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغيرها فى الأمثلة السابقة ، فهو يلتقى معهم فى كثير من تفسيراته ، وإن اختلفت صياغتها .

(جـ) إن الجمع (قلائد) الذى علل لنبره بأنه الرغبة فى صوغه على صيغة معينة لوجود صيغة أخرى غير منبورة هى (قلاد) يعارضه ما ورد فى القاموس المحيط من أن (القلاد)^(١) مفرد كما أن مفرد خطايا الذى قال عنه إنه (خَطِيْه) بلا همز ولا إدغام ولا إبدال لا دليل عليه ، وكذلك قوله إن خطايا جمع تفرضه تقاليد من لا ينبرون وإنه فى حال الوقف ينتهى بهمزة أو بهاء لا تظهر فى الكتابة ، كلها أمور ينقصها الدليل ، ولا يؤيدها الواقع اللغوى الذى ورثناه .

(د) إن تفسير إبدال التسهيل على أساس النبر أيضاً يتعارض مع الشائع بين اللغويين القدامى ، من أن التسهيل ليس بنبر ، وأن المتكلمين به من أهل الحجاز وأهل مكة والمدينة وهذيل ومن جاورهم ليسوا بأصحاب نبر كما قال عيسى ابن عمر ، فالتفسير بالنبر لا يعدو أن يكون انطلافاً من أقوال وتفسيرات بعض المستشرقين ولا سيما الألمان ، فهم الذين يخصّون النبر بقيمة مهمة فى تفسير الأحداث الصرفية فى العربية الفصحى^(٢) .

ثانياً : القائلون بالعلاقة بين الهمزة والألف والواو والياء : -

يعد الخليل بن أحمد أول من أشار إلى العلاقة القوية التى تربط بين الهمزة ، وبين الألف والواو والياء ، وذلك عندما جمع بينها ، وأوقعها موقعاً خاصاً من أبجديته الصوتية ، التى رتبها على النحو التالى : (ع ح هـ - خ غ - ق ك - ج ش

(١) راجع القاموس المحيط مادة (قلد).

(٢) راجع كتاب العربية الفصحى (نحو بناء لغوى جديد) ص ٢٠٥ .

ض - ص س ز - ط د ت - ظ ث ذ - ر ل ن - ف ب م - و ا ي والهمزة^(١) ،
فجمعه بين هذه الأربعة فى آخر الأصوات ، يدل على إحساسه بما بينها من صلة
صوتية ، ولا سيما أنه يرتب الأبجدية العربية ترتيباً صوتياً ، والخليل فضلاً عن
كونه عالماً صوتياً ، فهو عربى ذواقه صادق الإحساس .

وقد جمع بينها أيضاً حين لقبها بالحروف الجوفية لأنها تخرج من الجوف ،
وتلقبها بالجوفية لا يخلو من دلالة ، لأنه كما قيل « كل مجموعة تشترك فى لقب
لتقاربها فى المخرج »^(٢) ، فالذى يظهر أن الخليل كان يعد ما دون الحلق المعروف
الآن فى علم التشريح (وهو يشمل الحنجرة والقصبه الهوائية والرئتين) مخرجاً ،
وكان يسميه الجوف ، فى الوقت الذى كان يسمى أعلى نقطة فيه أقصى الحلق ،
ويبدو أن أقصى الحلق عنده ، يراد به الحنجرة ، غير أن التسمية الأخيرة لم تكن
معروفة لديه . والخليل وإن كان قد جعل الهمزة وحروف اللين من مخرج الجوف ،
إلا أنه كان يميز طبيعة كل منها ، فكان يطلق على الأخيرة الحروف الهوائية قال
الخليل بن أحمد : حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً ، منها خمسة وعشرون
حرفاً لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف يقال لها جوف ، الواو أجوف ومثله الياء ،
والألف اللينة ، والهمزة ، سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع فى مدرجة ،
وهى فى الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه ، وكان يقول كثيراً الألف اللينة ،
والواو ، والياء هوائية ، أى أنها فى الهواء^(٣) . فحديثه عن حروف اللين فى هذا النص
فى غاية الدقة ، وموافق لما أثبتته الدراسات الصوتية الحديثة وكل ما يؤخذ عليه
هو تسميته الهمزة هوائية أو قوله إنها فى الهواء أو هاوية^(٤) ، لأنها من أقصى
الحلق على حد تعبيره هو^(٥) ، أو من الحنجرة على تعبير المحدثين ، ولأن الهواء

(١) العين للخليل بن أحمد ج ١ ص ٥٣ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة ص ٣٢١ .

(٣) مقدمة التهذيب للأزهري ج ١ ص ٤٨ .

(٤) راجع العين للخليل بن أحمد ج ١ ص ٦٤ .

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٥٨ .

ينحبس بها فى أقصى الحلق أو فى الحنجرة ، ثم ينطلق ؛ لهذا يقال فيها إنها صوت انحباسى فلا يليق بها وصف (هوائية) الذى يعنى أن الهواء يخرج حرّاً طليقاً دون اعتراض حال النطق بها ^(١) ، وإنما يليق بحروف اللين فقط ، وعلى أية حال فإننا نفهم من مجموع أقوال الخليل أن الهمزة وحروف اللين تخرج كلها من مخرج واحد هو الجوف أو مخرجين متجاورين ومتداخلين هما أقصى الحلق والجوف حسب تعبيره .

والخليل فى موضع آخر حاول شرح الصلة بين الهمزة وبين حروف المد واللين فقال : «ومدارج أصواتها مختلفة ، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ، وأصلهن من عند الهمزة ، ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عليهن همزهن ، كقولك للمرأة افعلى وتسكت ، وللأثنين افعلاً وتسكت ، وللقوم افعلو وتسكت ، فإنما يُهمَزْنَ فى تلك اللغة ؛ لأنهن إذا وقف عندهن انقطع النفس بهن فرجعن إلى أصل مبتدئن من عند الهمزة ، فهذه حال الألف اللينة ، والواو الساكنة بعد الضمة ، والياء الساكنة بعد الكسرة ، وهؤلاء فى مجرى واحد» ^(٢) .

ففى هذا النص نرى الآتى :

- ١- الخليل يعقد الصلة بين الهمزة والحركات الطوال .
- ٢- أن الهواء الحامل لهذه الحركات يبدأ من عند الهمزة (وهى من الجوف عنده) وينتهى أيضاً عند الهمزة ، ونحن نعلم أن الهواء الحامل للصوت حيثما انقطع فذلك مخرج الصوت ، وأصوات المد واللين ينقطع النفس بها فى مخرج الهمزة (وهو أعلى الجوف) فلا غرابة فى أن يكون الجوف مخرجاً لها .
- ٣- أن الحركات الطوال تجرى فى مجرى واحد ، وإن اختلف شكل المجرى مع كل منها ، فلا يلتفت إلى ما يقال من «أن النصب من أقصى الحلق ، والجراً من وسط الفم ، والضم من الشفتين» ^(٣) .

(١) راجع علم اللغة العام - الأصوات ص ١٤٤ .

(٢) مقدمة التهذيب للأزهري ج ١ ص ٥١ .

(٣) كتاب أسرار العربية لابن الأنباري ص ٢٣ طبعة ليدن ١٨٨٦م .

هذا كلام الخليل عما بين الهمزة وحروف المد واللين من صلة صوتية ، فهما من مخرج واحد هو الجوف ، أو من مخرجين متداخلين : أقصى الحلق وتخرج منه الهمزة ، والجوف وتخرج منه الهمزة أيضاً وحروف المد واللين .

وممن كانوا يقولون بما يقرب من رأى الخليل الأزهرى صاحب التهذيب ، فهو لا يفترق معه إلا فى عدم القول بأن الهمزة جوفية ، أى أن الأزهرى فصل بين مخرجى الجوف والحلق ، فالأول تخرج منه الألف والواو والياء^(١) ، والثانى تخرج منه الهمزة^(٢) .

وأكاد أقول هنا إن تردّد الخليل فى جعل الهمزة من أقصى الحلق ، أو من الجوف مع أحرف المد واللين ، هو الذى جعل سبويه يضع الألف مع الهمزة والهاء وينسبها إلى مخرج واحد هو أقصى الحلق ، فكما كان الخليل يطلق الجوف على ما يشمل أقصى الحلق ، يبدو أن سبويه كان يطلق أقصى الحلق على الحنجرة وما دونها إلى الرئتين ، مكتفياً ببعض ما أثر عن الخليل فى تسميته لأبعد المخارج . وهذا الذى كان يقول به الخليل من وجود قرابة مخرجية بين الهمزة وحروف المد واللين ، يمثل رأى طائفة من علماء اللغة المحدثين ، فالأستاذ جبر جومط يجعل حروف المد (الحركات) والهمزة تخرج من مخرج واحد ، فيقول «أما مخارج الحركات فحلقية كالعين والهمزة ، فالفتحة تتحصل مثلاً من إخراج النفس مع فتح الفم كالعين ، إلا أن أواخر اللسان لا تنقبض فيها ، وينهزم بعضه إلى الأسفل كما فى هذه أو فى الحاء ، وأما الضمة فكالفتحة مع ضم الشفتين ، وأما الكسرة فكهذه أيضاً ، مع الاستعانة شيئاً بطرف اللسان ، وتحريك الشفة السفلى إلى الأسفل ، فترى من هذا أنه يصدق عليها حدّ الحرف ، ونذكرها تحت اسم الحركة أيضاً ، على ما جرت به عادة الصرفيين من سلف^(٣) ، فهذا رأى لا يفترق مع رأى الخليل السابق ذكره ، إلا قليلاً ، فالخليل يجعل الحركات من

(١) راجع تهذيب اللغة ج ١٥ ص ٦٤٩ .

(٢) المرجع السابق ج ١٥ ص ٦٨٢ .

(٣) الخواطر فى اللغة ج ٨ ص ٩ .

الجوف ، والأستاذ جومط يجعلها من الحلق ، ويخيل إلى أنه لا اختلاف بينهما ، لأن الجوف عند الخليل يشمل الجزء الأدنى من الحلق وما دونه إلى أسفل الجوف . وهناك أيضاً بعض الباحثين الذين تابعوا الخليل فى رأيه بالنسبة للهمزة وحروف المد واللين ، وفى المصطلح أيضاً ، فالأستاذ حفى ناصف حينما تحدث عن المخارج جعل المخرج الأول لحروف المد واللين (ا وى) وقال : إنها تخرج من جوف الصدر ، وجعل المخرج الثانى للهمزة والهاء ، وقال إنهما يخرجان من أقصى الحلق ، غير أن الهمزة أدخل فى الحلق^(١) ، والدكتور على عبد الواحد وافى جعل للأصوات العربية نحو خمسة عشر مخرجاً ، وسمى الأربعة الأولى منها المخارج الجوفية والحلقية ، وهى : الجوف مع الحلق لأحرف المد الثلاثة ، فهى تخرج من الصدر والحلق ، وتنتهى إلى خارج الفم . وأقصى الحلق للهمزة والهاء ، والهمزة أدخل فى ذلك من الهاء . ووسط الحلق للعين والحاء ، والعين أدخل فى ذلك من الحاء . وأدنى الحلق للعين والحاء ، والغين أدخل فى ذلك من الخاء . فالصدر مع الحلق يتكون منهما مخرج لثلاثة أصوات ، والحلق وحده يشتمل ثلاثة مخارج لكل منها صوتان^(٢) . وهذا الرأى يكاد ينطبق على رأى الخليل السابق تمام الانطباق ، لولا اختلاف العبارة ، فهو يشير أيضاً إلى التداخل بين مخرجى الهمزة وأصوات المد واللين ، والتداخل بين المخارج أمر «مقرر» ومعروف ، يقول الأستاذ جومط : ولا يخفى أنه قد تتداخل هذه المقاطع بعضها مع بعض ، فيكون الحرف مشتركاً بين المقطعين منها^(٣) . فلا غرابة إذن فى أن يقال لحروف المد واللين إنها تخرج من الجوف ، أو من الحلق ، أو من الجوف والحلق ، وإن كان جعلها جوفية حلقية أدق وأضبط ، وأكثر انطباقاً على واقع هذه الحروف .

هذا ويمكن أن نستأنس فى إمكان الصلة الصوتية بين الهمزة والحركات ، بما ورد فى كلام بعض المُحدِّثين عن صلة الحركات بحروف الحلق ، فالدكتور أحمد

(١) انظر تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية (مجموعة محاضرات) ص ١٦ .

(٢) انظر فقه اللغة ص ١٥٤ ، ١٦٠ - الطبعة السادسة .

(٣) الخواطر فى اللغة ص ٤ . (والمقاطع = المخارج) .

مختار عمر وهو يتحدث عن ظاهرة تطور صوت العين نحو أصوات اللين ، فى الألفاظ العديدة المركبة (أحد عشر وخمسة عشر ، ستة عشر) والتي صارت فى المصرية الحديثة (حداشر ، خمستاشر ، ستاشر) - يقول - «إنها نتيجة التسهيل بإبدال الصوت الساكن الحلقى إلى صوت لين مماثل»^(١) ، ويعلل لذلك الإبدال بقوله : «فإن من الثابت صوتياً ، وجود علاقة بين صوت الحلق والفتحة»^(٢) ، والمراد بصوت الحلق فى النص السابق هو صوت العين ، وبالفتحة الألف اللينة ، كما أنه يقصد بالعلاقة بينهما ، العلاقة المخرجية ، لا الوصفية ، لأن الألف ليس لها من صفات العين إلا الجهر فقط ، وذلك غير كاف لإيجاد العلاقة الوصفية . ونجد مثل هذه الإشارة الخاطفة فى كلام الدكتور عبد الرحمن أيوب حيث يقول : «أما العين فالظاهر أن المصرية تميل إلى التخفيف من درجة احتكاكها ، وذلك بجعل فتحة مخرجها فى الحنجرة أكثر رخاوة واتساعاً ، وتكاد تكون العين القاهرية ، تقارب الحركة لهذا السبب»^(٣) ، وأظن أن هذا التقارب ليس مقصوراً على العين والفتحة الطويلة ، ولكنه موجود أيضاً بين جميع أصوات الحلق والفتحة الطويلة ، وهذا ما نلمسه من عبارة الدكتور إبراهيم أنيس التى يقول فيها : «إن أصوات الحلق تناسب فى الغالب وضعاً خاصاً للسان يتفق مع ما نعرفه من وضعه فى الفتحة»^(٤) ، ولا شك فى أن الأوضاع المتقاربة فى أعضاء النطق تنتج أصواتاً متقاربة فى المخارج ، وإذا ثبتت مثل هذه الصلة الصوتية بين الحركات وحروف الحلق ، فَلَمْ لا تثبت بين الحركات وبين الهمزة ، مع أن الهمزة من الحلق أيضاً أو من الحنجرة التى هى أقرب ما تكون للحلق ؟ ؟

ربما تكون هناك صلة صوتية بين الهمزة والحركات ، وقد يشفع فى وجودها ما قيل من أن «التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة ، قد أظهرتها بصوراً متنوعة

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ١٠٦ ط القاهرة ١٩٦٠م.

(٢) المرجع السابق .

(٣) التطور اللغوى للدكتور أيوب ص ٧١. نقلاً عن الموضوع السابق وص ٨٠ من نسخة طبعت

١٩٦٤م وص ٩٧ من كتابه اللغة والتطور ط ١٩٦٩م .

(٤) من أسرار اللغة ص ٥٠ الطبعة الخامسة ١٩٧٥م .

وصوتًا غير مستقرّ ، لا تأخذ شكلًا معينًا مُحدّدًا ، وصوتًا شبيهًا بالعلة في بعض السياقات ، - فهي في الأول تظهر كأنفجار متبوع بفجوة سكوتية ، وأحيانًا يتبع الانفجار بضجيج منخفض ، وفي حالات أخرى تظهر الهمزة كصوت انزلاقي قصير تبدأ به حزم العلة الثانية ، وهي في الوسط - فيما عدا بين علتين - تظهر كفراغ سكوتى ، وبين علتين لا تظهر كفراغ ، ولكن كصوت انزلاقي شبيه بالعلة^(١) فظهورها شبيهة بالعلة كما في النص السابق ، قد يكون من أهم أسبابه التقارب بينها وبين أصوات العلة في المخرج .

وعلى فرض صحة ما دلت عليه النصوص السابقة ، من وجود صلة صوتية بين الهمزة والحركات الطوال ، كما يفهم من قول الخليل ومن تابعه من المحدثين يجوز أن يقال بالإبدال في كل موضع حُلَّتْ فيه الهمزة محل الحركة الطويلة وبالعكس . لكن هل يمكن القول بمثل هذه الصلة بين الهمزة وبين الواو والياء غير المدتين؟؟ .

الواقع أن ذلك غير ممكن بأية حال من الأحوال ، لما يوجد من تباعد في المخرج بين الهمزة والواو والياء ، فالأولى تخرج من الحنجرة ، والثانية من أقصى اللسان حين يتصل بأقصى الحنك ، والثالثة من وسط اللسان وما يقابله من الحنك ، وعلى ذلك فليست هنالك صلة صوتية يمكن القول على أساسها بالإبدال ، وإذن لابد من تفسير يوضح حلول الهمزة محل الواو والياء أو بالعكس ويكون أيضًا قابلاً للأخذ والرد .

* * *

محاولة لتفسير جديد :-

في مقدمة ما نتصوره تفسيراً لذلك نشير إلى أن الأمر لا يَعْدُو أن يكون مَيْلاً إلى المقطع الضعيف أو القوى من جانب الناطقين باللغة ، وضعف المقطع أو قوته

(١) دراسة الصوت اللغوى د. أحمد مختار ص ٢٩٧ بالأصل والهامش .

يتوقف على مكونات المقطع من ناحية ، وعلى موقعه من ناحية أخرى ، ونشير أيضاً إلى أن الواو والياء غير المدتين صوتان صامتتان ، وذلك فى كل موقع أُتْبِعَتْ فيه الواو والياء بحركة من أى نوع ، وفى كل موضع وقعتا فيه ساكنتين وقبلهما فتحة^(١) ، فهما يقعان موقع الحروف الصراح ويؤديان وظيفتها فى السياق ، فيبدأ بهما المقطع مثلاً ، كما يبدأ بالحرف الصحيح^(٢).

وفى ضوء ذلك نقول بداهة إن المقطع الذى يحتوى على الصامت الضعيف هو مقطع ضعيف ، وإن المقطع الذى يحتوى على الصامت القوى هو مقطع قوى ، بشرط أن يتساوى المقطعان فى عدد الصوامت وفى عدد الحركات وأشكالها .

وانطلاقاً من هذا المبدأ يمكن أن نقول إن المقاطع الآتية مقاطع قوية :

(١) همزة + لين قصير .

(٢) همزة + لين طويل .

(٣) همزة + لين قصير + أى صوت ساكن .

ويمكن أن نقول إن المقاطع الآتية مقاطع ضعيفة لاحتوائها على الصامت الضعيف وهى : -

(١) صامت ضعيف (واو أو ياء) + لين قصير .

(٢) صامت ضعيف + لين طويل .

(٣) صامت ضعيف + لين قصير + أى صوت ساكن .

وإذا صح ذلك أمكن تفسير حلول الهمزة محل الواو والياء ، بأنه الميل من جانب المتكلمين باللغة العربية إلى إثارة المقطع القوى على المقطع الضعيف ، فى أمثلة الإبدال الواجب دائماً ، وفى أمثلة الإبدال الجائز أحياناً ، وينبغى أن يلاحظ هنا أن ذلك التفسير خاص بأمثلة هذا وذاك بالشروط التى ذكرها الصرفيون ،

(١) راجع علم اللغة العام (القسم الثانى الأصوات) من ص ١٠٥ إلى ص ١٠٨ .

(٢) راجع اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦٨ إلى ص ٧٣ .

بمعنى أننا لا ندعى أنه سلوك صوتى عام فى اللغة ، بدليل أنه قد يحدث العكس وهو الميل إلى المقطع الضعيف كما فى إبدال التسهيل ، وتفصيل ذلك كالآتى : -

أولاً : حلول الهمزة محل الواو والياء :

(١) فى نحو سماو وبنأى ، مما تطرفت فيه الواو والياء ، بعد ألف زائدة تطرفاً حقيقياً ، يكون العربى قد أثر المقطع القوى المبدوء بالهمزة ، على المقطع الضعيف المبدوء بالصامت الضعيف (الواو أو الياء) ، وكذلك الأمر فيما إذا كان التطرف حكماً كاصطفاء ، واكتفاء ، وبناءان . ونلاحظ أن شكل المقطع الذى يحدث فيه التغير إما أن يكون مفتوحاً قصيراً ، أو متوسطاً مقفولاً ، أو متوسطاً مفتوحاً ، والشكلان الأولان يحدث التغير فيهما دائماً ، إلى المقطع القوى ، أما الشكل الأخير فيتوقف التغير فيه على اختلاف اللهجات ، فالذين يقولون مثلاً كساءن يميلون إلى المقطع القوى ، أما الذين يقولون كساوان أو كسايان فهم يؤثرون المقطع الضعيف ، ولا يدخل هنا صحراوان ، لأن الذى تطرف فى مفرده هو الألف ، وليس الواو أو الياء .

(٢) فى نحو قاول وبائع مما أعلت عينه فى الفعل الثلاثى ، وفى نحو عجاوز وشعاير مما كانت الواو والياء فيه مدة زائدة ثلاثة فى المفرد ، وفى نحو أوأول ، ونياف وسياود ، وقواوم ، مما وقعت فيه الواو والياء ثانى حرفين لينين بينهما ألف مفاعل . . فى كل هذا أثر العربى المقطع القوى (همزة + لين قصير) بدلاً من المقطع الضعيف (و + لين قصير) أو (ى + لين قصير).

(٣) فى نحو وواصل ، ووك ، أثر العربى البدء بالمقطع القوى على البدء بالمقطع الضعيف (و + لين قصير) ، وكذلك الأمر فى وجوه ووشاح أحياناً .

(٤) فى نحو وولى ، أثر العربى المقطع القوى على المقطع الضعيف (و + لين طويل).

(٥) فى نحو غايى ، أحياناً كان العربى يؤثر المقطع القوى (همزة + لين قصير + ى) وأحياناً كان يستريح إلى المقطع الضعيف (ى + لين قصير + ى).

أما لماذا كان التّغيير واجباً في بعض المسائل وجائزاً في بعضها الآخر؟؟ فنقول إن ذلك يتوقف على الشروط التي ذكرها الصرفيون ، وعلى شكل المقطع وموقعه من الكلمة ، فيكون واجباً أو جائزاً على النحو التّالي : -

(أ) كل مقطع مبدوء بصامت ضعيف يجب تغييره إلى مقطع قوى بعد الألف الزائدة ما لم يكن منتهياً بلين طويل ، أو بصامت ضعيف ، فإنه يجوز تغييره ولا يجب ويمكن أن نطبق ذلك على أمثلة (١) ، (٢) مما سبق ، فكلمة كساو ، في حال التنوين تنتهي بالمقطع (و + لين قصير + ن) المتوسط المقفول بغير صامت ضعيف ، وفي غير التنوين تنتهي بالمقطع (و + لين قصير) القصير المفتوح ، وفي هذا كله يجب التغيير . أما في حال التثنية والجمع ، فإمّا أن ينتهي المقطع المبدوء بالصامت الضعيف بلين طويل كما في حالة الرفع (كساوان) أو بصامت ضعيف كما في حالة الجر والنصب (كساوين) وفي هذه الحالة يكون التغيير جائزاً وكذلك في الجمع ، وقد يؤكد ذلك أنهم قالوا في النسب إليها (كسائي وكساوي) بجواز التغيير ، وذلك لكون المقطع الضعيف منتهياً بصامت ضعيف أيضاً . وقد يكون ذلك أيضاً هو السرّ في جواز التغيير في مثل (غائي ورائي) حيث نجد المقطع المذكور بعد الألف منتهياً بصامت ضعيف .

أما أمثلة (٢) مما سبق فواضح أن المقطع الواقع فيها بعد الألف لا يصير إلى المقطع المنتهي بلين طويل ، أو بصامت ضعيف ، مهما كان شكل الكلمة .

(ب) إذا تكرر المقطع المفتوح المبدوء بالصامت الضعيف في بدء الكلمة كان التغيير واجباً كما في واصل ، وُوك ، أما إذا لم يتكرر لم يجب التغيير كما في وجوه ، وشاح ، وسادة ، وناة . بل يكون جائزاً كما ورد في بعض اللهجات العربية القديمة من قولهم « أجوه » إشاح ، إسادة ، أناة^(١) .

(١) انظر لسان العرب في مواد مختلفة .

(ج) إذا كان المقطع الضعيف المبدوء به منتهياً بـلين طويل يجب تغييره إلى مقطع قوى بشرط أن يكون اللين الطويل أصلياً أو منقلباً عن حرف أصلى ، والأول ينطبق على الأولى أنثى الأول وأصلها وولى ، والثانى ينطبق على الأولى أنثى الأوأل وأصلها وؤلى ، ثم خففت الهمزة فصارت وولى .

ثانياً : حلول الواو والياء محل الهمزة :-

تحدثنا عن مواضع ذلك فى الفصل الأول تحت عنوان إبدال التسهيل ، وعرفنا فى الفصل الثانى أن التسهيل لهجة حجازية ، ونريد هنا أن نعرف السرّ فى عدول أهل الحجاز عن الهمزة إلى الواو والياء ، وفى ضوء ما سبق ذكره عن المقطع القوى والمقطع الضعيف نقول إن المتكلمين بالتسهيل كانوا غالباً ما يؤثرون المقطع الضعيف على المقطع القوى .

ونلاحظ هنا أن الفرق بين المقطع القوى وبين المقطع الضعيف هو الفرق بين لهجتى البدو والحضر :

(١) ففى نحو مئروجؤن ، أهل الحضر يؤثرون أن يكون المقطع الثانى القوى وهو (همزة + لين قصير) مقطعاً ضعيفاً فيحولونه إلى (ى + لين قصير) فى الكلمة الأولى ، وإلى (و + لين قصير) فى الكلمة الثانية .

(٢) وفى نحو خطيئة والنسئ يحولون المقطع القوى إلى مقطع ضعيف ويقفلون المقطع السابق عليه ، حتى لا يقع المقطع الضعيف القصير بعد لين طويل زائد ، لأن ذلك تنفر منه اللغة ، كما علمنا فى سماء ، وقائل ، وعجائز ، ولذلك فهم إذا سهلوا هذا النوع الأخير لا يصيرون إلى الوضع المكروه ، بل يسهلونه بين بين ، ويبدو أن الذى دعاهم إلى بين بين فى مثل ذلك هو عدم إمكانهم قفل المقطع السابق على المقطع الضعيف .

هذا ما يمكن أن نتصوره فى تفسير العلاقة بين الهمزة وبين الواو والياء فى المقطع المشتمل عليهما ، فهى علاقة الصامت القوى بالصامت الضعيف أولاً ، ثم علاقة المقطع القوى بالمقطع الضعيف ثانياً .

وأخيراً أردد أن هذه الفكرة قابلة للأخذ والردّ ، ويتوقف الأخذ بها على دراسة نظام المقاطع العربية وتطورها ، فى مراحل مختلفة من حياة اللغة العربية للتعرف على اتجاهها إلى الضعف أو إلى القوة فى كل مرحلة على حدة ، وبعد ذلك يمكن ردّ المقطع القوى المشتمل على الهمزة إلى مرحلته ورد المقطع الضعيف المشتمل على الواو والياء إلى مرحلته أيضاً .

الفصل الرابع

الهمز والتسهيل فى القراءات القرآنية

تمهيد فى القراءات (تأصيل وتاريخ) :-

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز ، والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحي المذكور فى كتابة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرهما^(١) . والقراءات أيضاً هى الوجوه المختلفة التى سمح النبى ﷺ بقراءة نص المصحف بها قصداً للتيسير ، والتى جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية^(٢) . واختلاف القراءات وتنوعها كان رحمة من الله بعباده ، وتيسيراً عليهم فى حفظ القرآن ، وتلاوته ، واستنباط أحكامه ، وصدق الله القائل ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر: ١٧) يسره على قارئيه ، والمرتلين لآياته ، فلهم أن يقرءوه بلهجاتهم التى جرت عليها ألسنتهم ولا يمكنهم النطق بغيرها ؛ وذلك لأن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كانت لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى حرف آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ، ولا بالتعليم والعلاج ، ولا سيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتاباً ، كما أشار إليه ﷺ ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم ، والانتقال من ألسنتهم ، لكان من التكليف بما لا استطاع^(٣) . . .

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة فى كتابه المشكل : فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يُقرئ كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم ، فالهذلى يقرأ (عنى حين) يريد (حتى) هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والأسدى يقرأ

(١) البرهان فى علوم القرآن ص ٣١٨ ج ١.

(٢) البحث اللغوى عند العرب د. أحمد مختار ص ٥.

(٣) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢٢.

تَعْلَمُونَ ، وَنَعْلَمُ ، وَتَسُودُ وجوه ، وألم إِنْهَذَا إِلَيْكُمْ ، والتميمي يهمز ،
والقرشي لا يهمز ...»^(١).

فالقراءات القرآنية إذن هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان
سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وهي أصل المصادر جميعاً في معرفة
اللهجات العربية^(٢).

ولما كان الهمز والتسهيل من اللهجات التي جرت على ألسنة القبائل العربية ،
رخص الرسول ﷺ ، في أن يقرأ القرآن بأحدهما أو بهما معاً ، يفهم ذلك من
حديث الرسول « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فاقراءوا ما تيسر
منه » قال الإمام الرازي في تفسير هذا الحديث (إن الكلام لا يخرج اختلافه عن
سبعة أوجه والوجه السابع عنده : اختلاف اللغات من فتح وإمالة ، وترقيق
وتفخيم ، وتحقيق وتسهيل ، وإدغام وإظهار ، ونحو ذلك^(٣)) ، وقال الحافظ
أبو عمرو الداني : « ومنها اختلاف اللغات كقولك : جبريل بكسر الجيم من غير
همز ، وبفتحتها كذلك ، وجَبْرُثَل : بفتح الجيم والراء ، مع الهمز من غير مدٍّ ،
وبالهمز والمد ، وميكال بغير همز ، وميكاءل بالهمز من غير ياء ، وبالهمز والياء ،
وإبراهيم بالياء ، وإبراهام بالألف ، وأرجئه بالهمز ، وأرجه بغير همز ، وكذلك
مُرْجُون ومرجئون ، وترجى وترجى ، ويضاهئون ويضاهون ، ويأجوج ومأجوج ،
وياجوج وماجوج ، والتناوش والتناوش ، وموصده ومؤصدة ، بالهمز وبغير همز ،
وكذلك ما أشبهه . . . ومنها التصرف في اللغات ، نحو الإظهار والإدغام ، والمدّ
والقصر ، والفتح والإمالة بين بين ، والهمز وتخفيفه بالحذف والبدل وبين بين ،
والإسكان والروم والإشمام عند الوقف على أواخر الكلم ، والسكوت على الساكن
قبل الهمز وما أشبه ذلك . . . وقد ورد التوقيف عن النبي ﷺ ، بهذا الضرب من
الاختلاف ، وأذن فيه لأُمَّته ، ومن ذلك حديث حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ

(١) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٢.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٨٣.

(٣) النشر ج ١ ص ٢٧.

(اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها) قال أبو عمرو الداني : ولحونها وأصواتها مذهبها وطباعها^(١).

فالهمز والتسهيل إذن من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها ، والتي أٌيِّح للقراء أن يقرءوا بها ، وهما أيضاً مما تواترت به القراءات القرآنية ، إذ « كيف يكون ما أجمع عليه القراء أمما بعد أمم غير متواتر ، وإذا كان المدُّ وتخفيف الهمز ، والإدغام غير متواتر على الإطلاق فما الذي يكون متواتراً^(٢)؟؟ » .

أما عن تاريخ القراءات « فيرجع عهد القراء الذين أقام الناس على طرائقهم في التلاوة ، إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم ، فقد اشتهر بالإقراء منهم سبعة : عثمان ، وعلى ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وعنهم أخذ كثير من الصحابة ، والتابعين في الأمصار ، وكلهم يسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التي سمعوها ما وافق لهجتهم ، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

حتى إذا اختلف الناس في القراءات إلى حد أن « أنكر بعضهم على بعض ما كان يقرؤه من غير مصحفه زاعماً أنه ليس من القرآن^(٥) » ، بل إلى حد أن « كفر بعضهم بقراءة بعض^(٦) . . . كتب عثمان بن عفان المصاحف ، وقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم : فكان (بالمدينة) ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبدالعزيز ، وسليمان ، وعطاء^(٧) ، ومعاذ ابن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهري ، ومسلم بن حبيب ، وزيد بن أسلم .

(١) جامع البيان في القراءات السبع (ورقة ٧) مخطوط بدار الكتب ٣ م قراءات ، وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ورقة (٢٤) . (٣) إعجاز القرآن للرافعي ص ٥١ .

(٤) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص ٣٤ . (٥) المصاحف للسجستاني ص ٦ .

(٦) المرجع السابق ص ٢١ . (٧) هو عطاء بن يسار .

(وبمكة) عبيد بن عمير ، وعطاء^(١) ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبي مليكة .

(وبالكوفة) علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثعم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزيد بن حبيش ، وعبيد بن نضلة ، وأبو زرعة بن عمر بن جرير ، وسعيد ابن جبير ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي .

(وبالبصرة) عامر بن عبد قيس ، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، ومعاذ ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .
(وبالشام) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان فى القراءة ، وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء .

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرحل إليهم ، ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءاتهم بالقبول ، ولم يختلف عليهم فيها اثنان ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم فكان : بالمدينة : « أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبة بن نصاح ، ثم نافع ابن أبي نعيم .

وبمكة : عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن محيصن .
وبالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة ، ثم الكسائي .

وبالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، ثم عاصم الجحدري ، ثم يعقوب الحضرمي .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكلابي ، وإسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر ، ثم يحيى بن الحارث الزماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي^(٢) .

(١) هو عطاء بن أبي رباح أبو محمد القرشي المكي أحد الأعلام وردت عنه الرواية فى حروف القرآن وروى القراءة عن أبي هريرة ت ١١٥ هـ (غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٥١٣) .

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٨ ، ص ٩ .

وقد اشتهر من هؤلاء الأئمة سبعة قراء ، هم نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ابن العلاء ، وعبدالله بن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وقد عرفت قراءاتهم بالقراءات السبع^(١)، فمن الذى كان يهمز منهم؟؟ ومن الذى كان يسهل؟؟ ولماذا يهمز بعضهم ويسهل الآخرون؟؟

ولكى نجيب على السؤال الأول ينبغى أن نعرض فى سرعة وإيجاز لأبواب الهمز كما وردت فى كتب القراءات ، وبعد ذلك سوف يكون لنا تعليق ومناقشة ، ثم يتلوها التعليل .

* * *

أبواب الهمز فى كتب القراءات :-

أولاً : الهمز المفرد الساكن : وهو يأتى بعد ضَمٍّ فى كلمة نحو يؤمنون ، والرؤيا . . أو يكون الهمز فى كلمة والضم فى كلمة سابقة عليه نحو يقول أئذن لى . . ويأتى بعد كسر كذلك نحو يئس وجئت . . ، ونحو الذى ائتمن . . ويأتى بعد فتح كذلك نحو فأتوهن ويألمون . . ، ونحو الهدى ائتنا . .

وهذا الضرب - إذا لم يعرض فيه السكون للوقف ، أو لم يتحرك الساكن فيه لالتقاء الساكنين - قرأه ورش من طريق الأصبهاني بإبدال الهمزة حرف مد من جنس ما قبلها فى الأسماء والأفعال، سواء أكانت الهمزة الساكنة فاء أم عيناً أم لاماً ، ولم يستثن من هذا الباب إلا خمسة أسماء ، هى : البأس والبأساء ، واللؤلؤ ، ورثيا ، والكأس ، والرأس . وخمسة أفعال وهى : جئت وما جاء منه ، ونبيى وما جاء من لفظه ، وقرأت وما ورد من مادته ، ويهيى وما جاء منه ، وتؤوى وتؤويه^(٢) .

وقرأ أبو عمرو من روايته بإبدال جميع ما تقدم ، إلا ما سكن للجزم نحو إن يشأ ، إن نشأ ، ننسأها ، تسؤهم ، تسؤكم ، ويهيى لكم ، أم لم ينبأ ، أو ما سكن

(١) يلاحظ أننا سوف نعرض أساساً للقراءات السبع، وما يأتى من غيرها يكون لإتمام الفكرة وإيضاحها.

(٢) تقريب النشر فى القراءات العشر ص ٣٠ (بتصرف) وإتحاف فضلاء البشر ص ٥٣ بتصرف.

للبناء ، نحو أنبئهم ، أرجئه . . . أو ما كان إبداله أثقل من همزه ، نحو تؤوى إليك
التي تؤويه ، وإلا ما أدى إبداله إلى الالتباس بمعنى آخر نحو رثيًا ، أو ما أدى إلى
الخروج من لغة إلى لغة أخرى نحو مؤصدة^(١).

وقرأ أبو جعفر جميع هذا الضرب بالإبدال إلا فى كلمتين هما : أنبئهم
بالبقرة ، ونبئهم بالحجر ، وكان يدغم مع الإبدال فى لفظى (رؤيا والرؤيا) ،
ولا يدغم فى لفظى تؤوى وتؤويه^(٢).

أما بقية القراء الأربعة عشر ، فلم يرد عنهم الإبدال إلا فى ألفاظ قليلة ،
فالكسائى وكذا خلف كانا يبدلان فى لفظ (الذئب) ، وكلهم كان يبدل فى لفظى
(يأجوج ومأجوج) ما عدا عاصمًا والأعمش ، وكلهم كان يقرأ لفظ (ضيزى) بغير
الهمز إلا ابن كثير ، ووافق ابن ذكوان أبا جعفر فى إبدال وإدغام (رثيا) ، وكلهم
كان يبدل (مؤصدة) إلا أبو عمرو وحفص وحمزة وكذا يعقوب وخلف^(٣).

ثانيًا : الهمز المتحرك المسبوق بمتحرك ، وهو أنواع :

(١) مفتوح بعد ضمّ : وهذا الضرب إن كان فاء من الفعل ، قرأه ورش ، وكذا
أبو جعفر بالإبدال واوا ، نحو يؤاخذ ، ويؤيد . . . وإن كان عينا من الفعل
قرأه ورش من طريق الأصبهاني بالإبدال فى حرف واحد ، وهو الفؤاد ،
والباقون بالتحقيق فى ذلك كله ، وإن كان لاما من الفعل ، قرأه حفص
بإبدالها واوا فى هزؤا المنصوب ، وفى كفؤا بالإخلاص^(٤).

(٢) مفتوح بعد كسر : وهذا يقرؤه أبو جعفر بالإبدال ياء فى (رثاء الناس . خاسئا ،
ناشئة الليل ، شائنك ، استهزئ فى الأنعام والرعد والأنبياء . ليبطن بالنساء .
وفى قرئ بالأعراف والانشقاق . لنبوئهم فى النحل والعنكبوت . خاسئا ،
الخاطئة ، ملئت ، ومائة وفئة ، وتشنيتهما ، والباقون بالتحقيق فى الجميع^(٥) ،
وقد جاء هذا الإبدال عن ورش من طريق الأصبهاني فى عدة مواضع

(١) تقريب النشر فى القراءات العشر ص ٣٠ (بتصرف) وإتحاف فضلاء البشر ص ٥٣ بتصرف.

(٢) راجع الإتحاف ص ٥٤.

(٣) انظر الإتحاف ص ٥٤.

(٤) راجع الإتحاف ص ٥٥.

(٥) راجع الإتحاف ص ٥٥.

(خاسنا ، ملئت ، ناشئة ، فبأى حيث وقع بالفاء ، وأبدل من طريق الأزرق
(لثلا) فى البقرة والنساء والحديد^(١) .

(٣) مضموم بعد كسر وبعده واو ، نحو يستهزئون والصابثون . . ، وهذا الضرب
قرأه نافع بحذف الهمزة ، وضم ما قبلها لأجل الواو ، . . . وقرأ أبو جعفر
جميع الباب كذلك . . ، والباقون بالهمز وكسر ما قبله^(٢) .

(٤) مضموم بعد فتح وبعده واو ، نحو ولا يطؤون ، أن تطؤوهم ، لم تطؤوها ،
وهذه الألفاظ كان أبو جعفر يقرأها بحذف الهمزة ، وإسكان الواو ، وإبقاء
ما كان قبلها مفتوحاً على فتحه^(٣) . وانفرد الحنبلى عن هبة الله بتسهيل
(رءوف) حيث وقع ، وانفرد الهذلى عن أبى جعفر بتسهيل (تبوءوا الدار) . .
والباقون بالهمز^(٤) .

(٥) مكسور بعد كسر وبعده ياء وهذا الضرب قرأه نافع وكذا أبو جعفر بحذف
الهمزة فى (الصابثين) بالبقرة والحج ، وزاد أبو جعفر حذف الهمزة من
متكئين والخاطئين ، والمستهزئين حيث وقع ، والباقون بالهمز^(٥) .

(٦) مفتوح بعد فتح : وهذا الضرب قرأه قالون وورش من طريق الأصبهانى وكذا
أبو جعفر بالتسهيل بين بين فى (أرأيت) حيث وقع بعد همزة الاستفهام نحو
أرأيت ، أرأيتكم ، أفأيت . . . وعليه الجمهور وهو الأقيس ، وقرأ
الكسائى بحذف الهمزة فى ذلك كله ، والباقون بالتحقيق^(٦) .

(٧) مكسور بعد فتح : وفى هذا الضرب انفرد الحنبلى عن هبة الله عن ابن وردان
(راوى أبى جعفر) بتسهيل الهمزة فى (تطمئن) ، بئس) حيث وقع ولم يروه
غيره^(٧) .

(١) راجع الإتحاف ص ٥٦ .

(٤) راجع تقريب النشر ص ٣٢ .

(٦) الإتحاف ص ٥٦ .

(١) راجع ص ٣٢ من تقريب النشر .

(٣) انظر السبيل الميسر ص ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٣٧ .

(٥) الإتحاف ص ٥٦ .

(٧) تقريب النشر ص ٣٣ .

ثالثاً : الهمز المتحرك المسبوق بساكن وهو أنواع :

(١) ما يكون قبله ألف : نحو (إسرائيل) حيث وقع ، (كأَيِّن) حيث وقع الذى كان يقرؤه أبو جعفر كائن بألف لينة بعد الكاف ، و(ها أنتم) فى موضعى آل عمران والنساء و(اللاء) حيث وقع . . وهذه الأربعة قرأها أبو جعفر بتسهيل الهمزة بين بين ، وكذلك قرأ نافع وأبو عمرو (ها أنتم) فى المواضع المذكورة ، وقرأ ورش وأبو عمرو والبيزى (اللاء) ، وللأخيرين وجه آخر ، هو إبدال الهمزة ياء ساكنة^(١) . والباقون بالهمز .

(٢) ما يكون قبله ياء ، وهى مَدَّة زائدة ، نحو (النسء) وهذا اللفظ قرأه ، أبو جعفر ، وورش من طريق الأزرق بالإبدال والإدغام ، والباقون بالهمز^(٢) . وقرأ أبو جعفر أيضاً (برىء وبريثون) و (هنئا مريثا) بالبدل مع الإدغام بخلف عنه^(٣) .

(٣) ما يكون قبله واو وهى مدة زائدة ، نحو قروء ، وهذه خففت بالإبدال والإدغام فيما حكاه ابن خالويه عن الزهري^(٤) . وهو قارئ مدنى كما سبق فى أول الفصل .

(٤) ما يكون قبله ساكن صحيح غير ميم الجمع : ومثل ذلك كان أبو جعفر يقرؤه بنقل حركة الهمزة وحذفها ، فى لفظى (الآن) و(من أجل) وفى الأخير كان يكسر حركة الهمزة المنقولة فينطق (من جُل ذلك)^(٥) .

وقد اختص ورش من طريقه بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، إذا كان الساكن آخر كلمة ، وكان الهمز فى أول كلمة أخرى سواء كان ذلك الساكن تنويناً أو لام تعريف أو غير ذلك ، فيتحرك الساكن بحركة الهمزة ، وتسقط الهمزة نحو متاع إلى حين ، الآخرة ، من آمن ، فحدث ألم نشرح ، ابنى آدم ، خلوا إلى الأرض...^(٦) ، وقد جاء النقل فيما وقع من كلمة واحدة فى كلمات مخصوصة وهى

(١) الإتحاف ص ٥٨ .

(٢) الإتحاف ص ٥٨ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) مختصر فى شواذ القراءات ص ١٤ .

(٥) السبيل الميسر ص ٢٩ ، ص ٦٦ .

(٦) راجع تقريب النشر ص ٣٦ .

القرآن فى قراءة ابن كثير ، وسلّ وما جاء من لفظه أمرا ، فى قراءة ابن كثير والكسائى وخلف بشرط أن يسبق بالواو أو بالفاء ، وملء الأرض فى قراءة ورش من رواية الأصهبانى وابن وردان ، وردءا ، يصدقنى فى القصص ، فى قراءة نافع وأبى جعفر ، والأخير يبدل من التنوين ألفا فى الوصل والوقف^(١).

رابعاً : أحكام الهمزتين فى كلمة ، وهى كالآتى^(٢) : -

(١) إن كانت الأولى للاستفهام والثانية للقطع وهما مفتوحتان نحو (أنذرتهم) أو الثانية مكسورة نحو (إذا) أو الثانية مضمومة نحو (أو لقى) . . فنافع وابن كثير يسهلان الثانية بين بين من غير فصل بين الهمزتين وأبو جعفر وأبو عمرو يسهلان الثانية ويفصلان بين الهمزتين بألف ، وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى يحققون الهمزتين من غير فصل بينهما .

(٢) إن كانت الأولى للاستفهام والثانية للوصل ، وهما مفتوحتان نحو (الذكرين) أو الثانية مكسورة نحو (اصطفى البنات) فالقراء السبعة أجمعوا على تسهيل الثانية من المفتوحتين يئن يئن أو بالإبدال ألفاً خالصة ، وأجمعوا على حذف همزة الوصل المكسورة ، وكذلك أبو جعفر .

(٣) إن كانت الأولى لغير الاستفهام والثانية مكسورة نحو (أئمة) فنافع وابن كثير ، وأبو عمرو ، يسهلون الثانية مع القصر ، وأبو جعفر يسهل ويدخل ألفاً بين الهمزتين أو يبدل ياء ، وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى يحققون الهمزتين مع القصر أيضاً . أما إن سكنت الثانية نحو آدم وإيمان ، فالقراء السبعة أجمعوا على إبدال الثانية بحركة ما قبلها ، وكذلك أبو جعفر .

(١) راجع تقريب النشر ص ٣٧.

(٢) راجع تقريب النشر ص ٢٣ وما بعدها ، وإتحاف فضلاء البشر ص ٤٤ وما بعدها.

خامساً : أحكام الهمزتين من كلمتين^(١) :

(١) إن اتفقت الهمزتان فى الحركة بالكسر نحو (هؤلاء إن كنتم) أو بالفتح نحو (جاء أحدكم) أو بالضم نحو (أولياء أولئك).. فورش يحقق الأولى ويسهل الثانية بين أو يبدلها حرف مد خالصاً ، أما قبله فله مثل ورش وله وجه آخر كأبى عمرو وهو حذف الأولى فى الأنواع الثلاثة مبالغة فى التخفيف ، وأما قالون ومثله البزى فله حذف الأولى من المفتوحتين ، وتسهيلها بين بين من المكسورتين والمضمومتين ، وأما أبو جعفر فيسهل الثانية بين بين لا غير .

(٢) وإن اختلفت الحركتان :-

- (أ) فكانت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو (زكرياء إذ نادى) فنافع وابن كثير وأبو عمرو يحققون الأولى ، ويسهلون الثانية كالياء (بين بين) وكذلك أبو جعفر .
- (ب) وإن كانت الأولى مفتوحة والثانية مضمومة نحو (كلما جاء أمة رسولها) فالثلاثة يحققون الأولى ويسهلون الثانية كالواو ، وكذلك أبو جعفر .
- (ج) وإن كانت الأولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو (السفهاء ألا) فالثلاثة يحققون الأولى ، ويبدلون الثانية واواً محضة وكذلك أبو جعفر .
- (د) وإن كانت الأولى مكسورة والثانية مفتوحة ، نحو (من الشهداء أن) فالثلاثة يحققون الأولى ، ويبدلون الثانية ياء محضة ، وكذلك أبو جعفر .
- (هـ) وإن كانت الأولى مضمومة والثانية مكسورة نحو (يا زكرياء إنا) فالثلاثة يحققون الأولى ويسهلون الثانية بين بين أو بالإبدال وكذلك أبو جعفر .
- أما ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى فيحققون الهمزتين من الكلمتين فى جميع مواضعهما .

* * *

(١) راجع تقريب النشر ص ٢٨ وما بعدها، والإتحاف ص ٥١ وما بعدها.

تعليق ومناقشة :

من المستحسن أن نذكر هنا إحصاء تقريبياً لنسبة ورود أنواع الهمز المفرد في القرآن الكريم وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، وهي على وجه التقريب كالآتي :

م	نوع الهمز	حكمه	نسبة وروده تقريبا
١	الهمز الساكن	الإبدال مدا	حوالي ألف مرة
٢	الهمز المسبوق بساكن صحيح غير ميم الجميع	الحذف	حوالي ألفي مرة
٣	الهمز المسبوق بياء المد	الإبدال ياء	أقل من خمسين مرة
٤	الهمز المسبوق بواو المد الزائدة	الإبدال واوا	مرة
٥	الهمز المفتوح المضموم ما قبله في كلمة	الإبدال واوا	أقل من خمسين مرة
٦	الهمز المفتوح المكسور ما قبله في كلمة	الإبدال ياء	أقل من خمسين مرة
٧	الهمز المكسور المضموم ما قبله في كلمة واحدة	الإبدال أو بين	بضع مرات
٨	الهمز المضموم المكسور ما قبله في كلمة واحدة	الإبدال أو بين	أكثر من خمسين مرة
٩	الهمز المسبوق بالألف	بين بين	حوالي ألف ومائتين
١٠	الهمز المفتوح المفتوح ما قبله	بين بين	حوالي مائتين
١١	الهمز المكسور المفتوح ما قبله	بين بين	أكثر من مائة مرة
١٢	الهمز المكسور المكسور ما قبله	بين بين	أكثر من عشرين مرة
١٣	الهمز المضموم مضموم ما قبله	بين بين	أقل من عشرين مرة
١٤	الهمز المضموم المفتوح ما قبله	بين بين	أكثر من سبعين مرة

ومن خلال العرض والإحصاء يتبين لنا الآتي :-

أولاً : مذاهب القراء :-

(١) أبو جعفر : اطرده عنه تسهيل الهمز الساكن الذي يمثل النوع الأول في الإحصاء السابق ، واطرده عنه كذلك تسهيل الثانية من الهمزتين ، سواء في كلمة أو في كلمتين ، وكثر عنده تسهيل النوع الثالث والخامس والسادس والثامن ، وتوسط في تسهيل النوع الثاني عشر وقل عنده تسهيل النوع الثاني والتاسع والعاشر والحادي عشر ، والرابع عشر ، ولم يرد عنده تسهيل في النوع الرابع والسابع والثالث عشر ، وبملاحظة أن هذه الثلاثة التي لم يرد فيها تسهيل قليلة الورد في القرآن يمكن الحكم عليه بأنه من القراء المسهلين .

(٢) الإمام نافع من رواية ورش : اطرده عنده تسهيل الهمز الساكن (تقريباً) وتسهيل الهمز المسبوق بساكن صحيح غير ميم الجمع ، واطرده عنه كذلك تسهيل الثانية من الهمزتين فى كلمة وفى كلمتين ، وكثر عنده فى النوع الخامس ، وتوسط فى النوع السادس ، وقل فى الثالث والثامن والتاسع والعاشر ، ولم يرد عنه تسهيل فى الرابع والسابع والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ، وبمقارنة ما ورد وما اطرده بما لم يرد يمكن الحكم عليه بأنه من المكثرين فى التسهيل .

(٣) الإمام أبو عمرو بن العلاء : يطرده عنه تسهيل الهمزة الثانية (غالباً) من كلمة ومن كلمتين ، ويكاد يطرده عنه التسهيل فى الهمز الساكن أيضاً ، وفيما عدا ذلك فتسهيله قليل جداً ، وإذا لاحظنا أن أبا عمر كان لا يسهل فى المواضع السابقة إلا إذا أدرج^(١) القراءة أى أسرع فيها أو قرأ فى الصلاة ، أو قرأ بالإدغام ، وفيما عدا هذه الحالات الثلاث فإنه يحقق كل الهمزات كما نحفظها فى قراءة حفص^(٢) - إذا لاحظنا ذلك أمكن الحكم عليه بأنه مكثر فى التحقيق مقل فى التسهيل .

(٤) ابن كثير : ليس له - فيما اشتهر به - إلا تسهيل الهمزة الثانية من كلمة أو من كلمتين ، وبضع كلمات أخرى قليلة ، وعلى ذلك فهو من القراء المحققين للهمز .

(٥) ابن عامر وعاصم - فيما اشتهر به - والكسائى وحمزة من القراء المحققين ، ولم يرد عنهم التسهيل فى حال الوصل إلا نادراً .

(١) الإفرج هو الإسراع وهو ضد التحقيق لا كما فهمه من لا فهم له من أن معناه الوصل الذى هو ضد الوقف وبنى على ذلك أن أبا عمر إنما يبدل الهمزة فى الوصل فإذا وقف حقق، وليس فى ذلك نقل يتبع ، ولا قياس يستمع (انظر النشر ج ١ ص ٣٨٦).

(٢) انظر الكشف فى علل القراءات السبع مكى بن أبى طالب ص ٦٠ وانظر الأصوات فى قراءة أبى عمر بن العلاء ص ٩٣. [= ص ١٠٨ ، ١١٢ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى] وانظر النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٣٨٦.

ثانياً : دعم جديد لما بين الهمزة وحروف المد من علاقة :

لاحظنا من خلال العرض السابق اطراد التسهيل فى الهمز الساكن ، عند القراء المسهلين ، المكثرين والمقلين ، ولاحظنا أن تسهيله يجرى على سنن واحد وقياس موحد لم يتخلف ، وهو الإبدال إلى حروف المد فقط دون غيرها من حروف اللين ، وإذا أضفنا إلى ذلك ما نلاحظه من خلال الإحصاء ، وهو كثرة ورود الهمز الساكن فى القرآن ، وقلة ورود الهمز الذى يبدل إلى الواو والياء غير المدتين ، حيث إن الأنواع من الثالث إلى الثامن التى تبدل ياء أو واواً ، لا تكاد تتجاوز نسبة الواحد إلى الخمسة من النوع الأول الذى يبدل مدّاً . . ، وإذا أضفنا أيضاً أن إبدال الهمز إلى الواو والياء غير المدتين لم يطرد فى لسان القراء المسهلين المكثرين ، فضلاً عن أنه لم يرد فى لسان المققلين منهم (كأبى عمرو)... إذا أخذنا كل ذلك فى الاعتبار أمكن الحكم بضرورة وجود العلاقة الصوتية بين ما كثر فيه الإبدال وهو الهمز وحروف المد الثلاثة : الألف والواو والياء ، بينما لا يمكن ذلك فى جانب الواو والياء غير المدتين ، لأن حالات إبدالهما تمثل نسبة قليلة إذا ما قورنت بالأولى ، وربما لو كان قد أجرى هذا الإحصاء فى بيئة الحجاز وقت نزول القرآن على غير ما ورد فى القرآن الكريم من الهمزات لم يكن ليأتى إلا على هذا الوجه ، وبذلك النسب التى وردت فى القرآن وفى قراءات القراء من التسهيل والتحقيق ، وفى هذا دعم جديد لما كنا قد افترضناه فى الفصل السابق من وجود العلاقة الصوتية القائمة على أساس التقارب فى المخرج بين الهمزة وأصوات المد : الألف والواو والياء ، كما قال الخليل ومن تابعه .

ثالثاً : دقة منهج القراء :-

(١) يظهر ذلك فى الشروط التى وضعوها لبعض حالات التسهيل ، فقد اشترطوا تسهيل الهمز الساكن أن يكون السكون أصلياً غير عارض للوقف ، وهذا يعنى أنهم ينقلون الظواهر اللغوية فى أكمل أحوالها وهى حال الوصل ، وأنهم نبهوا إلى أن الحكم قد يختلف فى حال الوقف عنه فى حال الوصل .

واشترطوا ألا يزول السكون عن موضعه ، كأن تعرض الحركة لالتقاء الساكنين ، نحو ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ ﴾ (الأنعام: ٣٩) فلو خففت هذه الهمزة المتحركة بحركة عارضة ، لأدّى التخفيف إلى التقاء الساكنين ، وهو المحذور الذى فرّوا منه فى حال التحقيق ، ولا يمكن التخلص منه فى حال التسهيل إلا بالرجوع إلى التحقيق . ولم ينبّه اللغويون كسيبويه وابن يعش والرضى إلى هذين الشرطين ، ولا يكفى فى ذلك أنهم ذكروا بابا آخر للهمز هو باب الوقف على المهموز .

كذلك اشترط القراء فى نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ألا يكون ذلك الساكن ميمًا للجمع^(١) ، لأن ميم الجمع قبل همزة القطع المتحركة فيها لغتان ؛ الضم مع الصلة وصلًا لورش وابن كثير ، وقالون بخلف عنه ، وذلك اتباعًا للأصل ، ويصبح المدّ عندهم من قبيل المنفصل ، فكل يمد حسب مذهبه فى المدّ المنفصل ، واللغة الأخرى هى الإسكان وبها قرأ الباقون من القراء السبعة^(٢) . فلو نقلوا إليها لخرجت فى بعض المواضع عن هاتين اللغتين ، فالتقل مثلًا فى قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة: ٦) يخرجها من الضم أو الإسكان إلى الفتح ، ويترتب على ذلك ضياع المدّ والصلة على اللغة الأولى ، وكذلك النقل فى قوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) يخرج ميم الجمع من الضم أو الإسكان إلى الكسر ، ويترتب على ذلك أيضًا ذهاب المدّ والصلة على اللغة الأولى .

أما اللغويون والنحاة فلم يشترطوا شيئًا من ذلك ، ومقتضى ذلك أنهم يجيزون النقل إلى ميم الجمع ، قال أبو حيان : « وإذا كانت الهمزة أول الكلمة وقبلها ساكن صحيح ، فأهل الحجاز يحذفونها بعد نقل حركتها إليه ، سواء فى ذلك التوين ، ولام التعريف ، وميم الجمع الساكنة ، وسائر حروف المعجم الصحاح . . ومن

(١) انظر تقريب النشر ص ٣٦ بالهامش ، وإتحاف فضلاء البشر ص ٥٩ ، والنشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٣٤ .

(٢) الإرشادات الجلية فى القراءات السبع ص ٢٤ .

أجاز نقل حركة الهمزة إلى ميم الجمع الساكنة الزجاج، وأبو عبدالله بن أبي العافية، وإبراهيم النقاش، وذكروا أنها لغة قريش وكنانة^(١)، «لكنه عقب بقوله» وقال أبو الحسن الباذش: وهذا ذهاب عن الصواب الذى عليه الخليل وسيبويه، وسائر النحويين المتقدمين^(٢)، فترددهم بين الجواز والمنع يدل على اضطرابهم فيما نقلوه إلينا من ظواهر لغوية، وهذا ما لم نجده عند القراء.

(٢) ويظهر ذلك أيضاً فى موقف أبى عمرو بن العلاء من الهمز الساكن فى بعض أحواله، فهو لا يسهله إذا كان سكونه للجزم أو للبناء، محافظة منه على علامتى الإعراب والبناء، ولا يسهله إذا كان التسهيل أثقل، كأن يؤدى إلى اجتماع الواوين فى (تؤوى وتؤويه)، وذلك نقيض المقصود من التسهيل، ولم يكن يسهل أيضاً إذا أدى التسهيل إلى الالتباس بمعنى آخر، فلو سهل لفظ (رئيا) لصار بعد الإبدال والإدغام (ريّا)، وحينئذ يحتمل أن يكون من (رى الشارب) بينما هو عنده من الرواء، وهو المنظر الحسن^(٣)، ولم يكن يسهل لفظ (مؤصدة) لأنها عنده من آصدت المهموز بمعنى أطبقت، لا من أوصدت غير المهموز الفاء، ومعناه أغلقت، فالهمز عنده لربط الفرع بأصله^(٤). وفى رأى أن النحويين كانوا أولى بذكر هذه المحترزات، لأنهم بصدد التقعيد والتقنين للظواهر اللغوية، أما القراء فهم أصحاب نقل ورواية، فلا حرج عليهم إن لم يفعلوا، ومع ذلك فقد وجدنا العكس هو الذى حدث.

(٣) ويظهر ذلك أيضاً من موقف النحويين والقراء من الهمزتين فى الكلمة وفى الكلمتين، فالنحويون أصدروا أحكاماً بشأنهما، وليس لهم من سند فيها إلا القاعدة المبنية على أساس من العقل والمنطق، فسيبويه يقول: «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق

(١) انظر لرتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٢١٢.

(٢) انظر الموضوع السابق - وقارن مع كتاب الإقناع فى القراءات السبع ٢٢٤ ط أولى ١٩٩٩ م.

(٣) انظر الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص ٩١ - [ص ١٠٩ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى].

(٤) المرجع السابق - [ص ١٠٩ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى].

يخففون إحداهما ويستقلون تحقيقهما لما ذكرت لك ، كما استقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة ، فليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا. ^(١) وفى موضع آخر يقول : «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة ، ولا تخفف ، لأنهما إذا كانتا فى حرف واحد لزم التقاء الهمزتين الحرف» ^(٢) ، وإذا كانوا قد تراجعوا عن هذا الإلزام فى الهمزتين من كلمتين ، فذكر سيبويه أن تحقيقهما لغة ناس من العرب إلا أنهم يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً ، لكراهتهم التقاء الهمزتين ، وذكر أيضاً أن منهم من يحققهما ولا يدخل ألفاً بينهما ^(٣) فيبدو أن هذا التراجع مقصور على ما إذا كانت الأولى من الهمزتين للاستفهام ، كما يؤخذ من الأمثلة التى ذكرها سيبويه وابن يعيش ، أما بالنسبة للهمزتين من كلمة فقد أصروا على عدم تحقيقهما ، فقالوا : واجتماع الهمزتين فى كلمة غير مستعمل ^(٤) . وقالوا عن قراءة الكوفيين وابن عامر التى تحققهما بصفة دائمة ، وليس ذلك بالوجه وذلك ضعيف . . . وقالوا وقد يتكلم ببعضه العرب وهو ردى ^(٥) .

ولا ندرى كيف تأتى لهم أن يقولوا مثل ذلك !! أليست قراءات الكوفيين وابن عامر من كلام العرب؟؟ وكيف لا تكون منه وقد قال النبى ﷺ اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، ولحونها وأصواتها - كما قال أبو عمرو اللانى - مذاهبها وطباعها ، أو ليس تحقيق الهمزتين من كلمة ومن كلمتين إلا لحناً وطبعاً ومذهباً للعرب البادين؟؟ وإذا كان الذى يتكلمون به ، ويتكلم به أربعة من الأئمة المشهورين الذين صحت قراءاتهم وتواترت ويتكلم به كل من تلقى عنهم هو الردىء من الكلام واللغة ، أو هو الضعيف أو ليس بالوجه . . فما الجيد إذن؟؟ وما القوى عندهم؟؟ وما الوجه الذى يرتضونه؟؟ أليس تحقيق الهمزتين المجتمعين

(١) سيبويه ج ٣ ص ٥٤٩ ط : تراثا.

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٥٥٢.

(٣) راجع السابق ج ٣ ص ٥٥١ ، وراجع شرح المفصل ج ٩ ص ١١٩.

(٤) شرح المفصل ج ٩ ص ١١٧.

(٥) المرجع السابق ج ٩ ص ١١٨.

هو الذى لا يزال سائداً فى لسان كل من ينطق بالعربية الفصحى الآن؟؟ وفى لسان كل قارئ للقرآن برواية حفص؟ لا نظن أن تحقيقهما فى اللغة الفصحى المعاصرة شىء جديد أو مستحدث أو لم يكن مثله كثرة وجودة عند العرب الفصحاء . إن ما سجله القراء من وجود الأمرين : تحقيقهما معاً أو تحقيق إحداهما وتخفيف الأخرى هو المنهج السليم الذى ينطبق على اللغة فى ماضيها وحاضرها .

ولا محل لجزم النحويين أيضاً بأن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة لم يكن بدّ من بدل الآخرة ، ولا تخفف ، لأن البدل والتخفيف ، وجهان واردان فى قراءة قالون وورش ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وكذا رويس وأبو جعفر ، فكلهم قرأ كلمة (أئمة)^(١) فى جميع مواضعها بالتسهيل بين بين أو بالبدل ، وكلهم يفصل بين المحققة والمسهلة بألف ، ما عدا أبا جعفر فإنه لا يفصل فى جميع المواضع ، وما عدا ورشا فإنه يفصل فى الموضع الثانى من سورة القصص ، وفى موضع السجدة ، وليس لمن يفصل إلا التسهيل بين بين لا غير^(٢) . نعم ينطبق قول النحويين على ثانى الهمزتين الساكنة ، فى نحو آدم وإيمان ، فلو خصصوا البدل بها ، لما خرجوا عن دائرة الصواب .

* * *

رابعاً : بين القياس والرواية :-

كان النحويون المتقدمون يريدون بالقياس «وضع الأحكام العامة للغة ، أو وضع القواعد لتلك النصوص التى انحدرت إليهم ، فسيبويه حين استعمل فى كتابه كلمة القياس لم يكن يعنى أكثر من أن ظاهرة ما من ظواهر اللغة روى لها عن العرب قدر من الأمثلة يكفى لأن توضع لها قاعدة عامة»^(٣) ، هكذا أسس

(١) وردت فى خمسة مواضع هى التوبة والأنبياء والسجدة ، وموضعان فى القصص .

(٢) راجع إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠ .

(٣) من أسرار اللغة ص ١٨ .

البصريون مذهبهم على الكثير المتداول من اللغة . أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالأشعار والأقوال الشاذة ، ولا يشترطون أى نوع من الكثرة فى تقعيد قواعدهم ، فهم « لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شئ مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه^(١) ، وهم كذلك إذا سمعوا لفظاً فى شعر أو نادر كلام جعلوه باباً أو فصلاً^(٢) .

وفى مقابلة القياس كان يوجد الشذوذ ، وقد عرفه النحويون بأنه « مخالفة اللفظ العربى مفرداً ومركباً ، ما عليه بقية أفراد بابيه ، فى نثر من يعتد بعريبتهم ، أو فى شعر من يعتد بشعرهم ، بشرط ورود تلك الحالة بعينها فى نثر معتد به ، ويحكم عليه فيه بالشذوذ^(٣) ، « والشاذ ليس لحناً ولا غلطاً ، قال الشيخ محمد على النجار وليس من الخطأ ما جاء شاذاً عن القياس^(٤) ، فهو إذن من كلام العرب الذين يعتد بكلامهم فى تقعيد قواعد اللغة ، غاية الأمر أنه لم يبلغ درجة القياس كثرة ومدولة ، فلم يستحق أن يستقل بنفسه فتبنى عليه القواعد ، فالقياسى هو المستوى الصوابى الأول عند النحويين ، والشاذ هو المستوى الصوابى الثانى عندهم .

أما القراء فكان منهمجهم فى نقل التراث اللغوى (القراءات) يختلف تماماً ، فالصحيح عندهم الذى يقرأ به « ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهى : أن ينقل عن الثقات عن النبى ﷺ ، ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن سائغاً ويكون موافقاً لخط المصحف^(٥) ، والشاذ « ما صح نقله عن الأحاد ، وصح وجهه فى العربية ، وخالف لفظه خط المصحف ، فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين : إحداهما أنه لم يؤخذ بإجماع . . . وثانيهما أنه مخالف لما قد أجمع عليه (وهو خط المصحف) فلا يقطع بصحته ، وما لم يقطع بصحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر من حججه^(٦) ، « أما ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له فى العربية فهذا لا يقبل

(١) الاقتراح فى أصول النحو ص ٨٤.

(٢) همع الهوامع ج ١ ص ٤٥.

(٣) الشذوذ والضرورة فى لغة العرب ص ٢٨.

(٤) السابق ص ٤٢ نقلاً عن الأخطاء الشائعة للشيخ محمد على النجار ص ١٩.

(٥) النشر ص ١٣ . (٦) النشر ص ١٤ .

وإن وافق خط المصحف^(١) ، وأما « ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل البتة ، فهذا رده أحق ، ومنعه أشد ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر »^(٢).

فالمعول عليه إذن فى قبول القراءة أمران : الرواية (تواترا أو آحادا) ، وموافقة وجه من وجوه العربية ، ومعنى قبول القراءة أنه يجوز تعلمها ، وتعليمها وتدوينها فى الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها ، على القول بصحة الاحتجاج بها ، والاستدلال بها على وجه من وجوه العربية^(٣).

ومن النظر فى صنيع النحويين والقراء نتبين أن القراء نظروا فى الكم الناطق بالرواية ، الناقل للغة ، أما اللغة ذاتها (الممثلة فى القراءات) فهى جوهر مصون ، ليس لأحد أن ينال من قدسيتها ، كيفما أتت ، وعلى أى وجه رويت ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن نظرتهم تلك كانت فى كل كلمة من كلمات اللغة الممثلة فى القراءات على حدة ، أدركنا مدى الضبط فى منهج الرواية ، وكل ما ترتب على هذا المنهج الدقيق هو إغفال بعض الوجوه اللغوية التى لم تتوفر لها الرواية السليمة ، ونظن أنها قليلة جداً ، وعلى كل حال فليست هناك وجوه فى الهمز والتسهيل لم ترد بها القراءات .

أما النحويون فقد اعتمدوا كل الاعتماد فى بناء قواعدهم على الكم المنطوق من اللغة ، فلم ينظروا إلى كل لفظ على حدة إن صح فى الرواية يكون صحيحاً فقط بل نظروا إليه فى ضوء نظائره ، واعتبروا مدى مخالفته أو موافقته لها ، وقد ترتب على ذلك المنهج عدة أمور : -

(١) أغفل النحويون ذكر وجوه من التسهيل ، مع أنها وردت فى العربية ، ولها وجاهتها ، ولولا القراءات القرآنية ، لم نكن نعلم شيئاً عنها ، ومن ذلك مثلاً

(١) النشر ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧ .

(٣) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص ٨ .

قراءة الإمام أبى جعفر للهمز المضموم بعد كسر وبعده واو ، نحو : مستهزئون والصابئون ، المتكئون ، ليواطئوا ، قل استهزئوا . . . وقراءة نافع للفظ «الصابئون» فى المائدة - حيث كانا يحذفان الهمزة ، ويضمان ما قبلها ، فتصير المستهزون والصابون . . . إلخ ، وعلى الرغم من أن هذا الوجه من التسهيل لم يذكره النحويون^(١) لا فى القياس ولا فى الشذوذ ، فله وجاهته ، يتضح ذلك إذا تذكرنا ما للنحويين فى تسهيله من وجوه ، وهى بين بين على رأى سيبويه ، والإبدال ياء على رأى الأخفش ، أو بين بين البعيد على رأيه أيضاً ، ويترتب على رأى سيبويه وقوع همزة بين بين التى هى كالواو الساكنة بعد الكسرة ، وذلك ثقیل ، ويترتب على رأى الأخفش مجىء الياء الصريحة متحركة بالضم بعد الكسر ، وذلك ثقیل أيضاً ، أما بين بين البعيد فهو مرفوض فى كلامهم^(٢) . أليس فى ذلك الوجه الذى قرأ به أبو جعفر ونافع حال الوصل ، وقرأ به الإمام حمزة فى حال الوقف ، وأخذ به الكسائى فى الوقف أيضاً^(٣) - أليس فيه مخرج من كل ما ترتب على الأوجه الثلاثة التى ذكروها؟؟ وهل هو إلا وجه من الوجوه التى تكلمت بها العرب ، ونقل إلينا بأوثق طرائق النقل؟؟ نعم هو كذلك ، ولكن النحويين نظروا إليه فى ضوء نظائره التى لم تقع فيها الواو بعد الهمزة ، لأنها هى التى لم يرد فيها هذا الوجه ، بل لا يجوز ، وقد وجه الزجاج مثل ما ورد فى قراءة أبى جعفر ونافع وحمزة فقال : « فأما مستهزون فضيف لا وجه له إلا شاذاً ، على لغة من أبدل من الهمزة ياء ، فقال فى استهزأت » استهزيت ، فيجب على لغة استهزيت أن يقال مستهزون^(٤) ، وإذا كنا قد علمنا أن التحويل فى توضأت إلى توضيت - وهو يشبه استهزيت - لهجة هذيل ، أفلا يكون من الإنصاف أن

(١) كسيويه، وصاحب المفصل، وشارحه ، وصاحب الشافية، وشرحها.

(٢) راجع شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١٠٨ - وقارن مع المطبوع منه ج ١ ص ٣٨٢ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ ص ٥٥ .

لا نقول بشذوذ هذا الوجه من التسهيل ، وأن نرده إلى لهجة من ينطق به؟؟
باحثين فقط عن السند السليم الذى نظمثن معه إلى أن العرب كانوا ينطقون
كذلك!! إن منهج الرواية أضبط فى نقل اللغة من منهج القياس .

كذلك أغفل النحويون وجهاً فى الهمز المكسور بعد كسر وبعده ياء ، فليس لهم
فيه إلا بين بين ، أما القراء فلهم وجه آخر ، وهو حذف الهمزة ، وذلك ما قرأ به
نافع (الصائبين) فى البقرة والحج^(١)، وقرأ به أبو جعفر (متكئين) حيث وقع فى
القرآن الكريم ، و(الخاطئين) معرفاً ومنكراً فى يوسف وفى القصص ،
و(المستهزئين) فى سورة الحجر ، بالإضافة إلى (الصائبين) فى البقرة والحج^(٢) .
لم يذكر النحويون هذا الوجه ، لأنهم نظروا إليه فى ضوء نظائره مما لم يقع بعد
الهمزة فيها ياء ، أما توجيهه فيمكن القول أيضاً أنه على لغة من يقول : صبوت
وخطيت واستهزيت ، واتكيت ، ويمكن أيضاً أن يكون من الأفعال المهموزة ، إلا
أن المسهلين استقلوا التقاء همزة بين بين ياء المدّ بعدها ، على عادة العرب فى
التخلص من التقاء الساكنين ، وشبه الساكن مع الساكن .

وأيضاً أغفل النحويون وجهاً فى المضمومة بعد الفتح وبعدها واو ، إذ لم يقولوا
فيه إلا بالتسهيل بين بين ، وذلك الوجه نجده فى قراءة أبى جعفر لقوله تعالى :
﴿ وَلَا يَطْئُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٠) ، ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْئُوهَا ﴾ (الأحزاب: ٢٧) و ﴿ أَنْ
تَطْئُوهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٥) ، حيث كان يقرأ بحذف الهمزة ، وإسكان الواو بعدها ،
وإبقاء ما قبلها مفتوحاً^(٣) ، والسبب فى إغفال النحويين له نظرتهم إليه فى ضوء
نظائره مما لم تقع بعد الهمزة فيه الواو ، ويمكن توجيهه أيضاً بتخلص الناطقين به
من التقاء شبه الساكن مع الساكن ، ثم أسكنوا الواو ، ولم يضموا الطاء ، لثلا يخرج
الفعل من بابهِ .

(١) تقريب النشر ص ٣٢ .

(٢) تقريب النشر والسبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر ص ٢٤ .

(٣) السابق ص ٨٠ ، ص ١٢٣ ، ص ١٣٧ .

ولم يذكر النحويون أيضاً - ولو فى الشاذ - أن همزة بين بين بعد الألف قد
تصير إلى الحرف الذى منه حركتها^(١) ، وهذا ما وردت به القراءات ، ففى قوله
تعالى : ﴿وَأَلْتَمِسْهُ﴾ (الطلاق: ٤) قرأ أبو عمر والبزى (واللاى) بياء ساكنة من
رواية المغاربة ، ويمد حينئذ لالتقاء الساكنين ، قال أبو عمرو وهى لغة قریش^(٢) .
وروى القاسم بن عبد الواحد عن ابن كثير (ولتأتى طائفة ، بالياء)^(٣) . وفى بعض
روايات ابن كثير أيضاً (شعاير) بغير همز^(٤) . وجاء عن السبعة (دايرة السوء)
بالياء^(٥) . ولم يذكر النحويون كذلك بعض الوجوه التى سبق أن نقلناها فى الهمزتين
المجتمعتين من كلمتين . . . وكل هذا وأمثاله يدل على قصور منهج القياس فى
نقل صورة صادقة للغة إذا ما قورن بمنهج الرواية الذى سار عليه القراء .

(٢) قلل النحويون من قيمة بعض الوجوه بوضعهم لها فى المستوى الصوابى الثانى
(الشاذ) ، بينما قد يكون هذا الوجه كل ما ورد عن العرب فى لفظ بعينه ،
ونضرب على ذلك مثلاً باللفظتين اللتين أوردتهما النحويون فى الشاذ وهما
(منساة وسال) بإبدال الهمزة فيهما ألفاً خالصة ، وخرجوا عليهما الأبيات :

إذا دببت على النساء من هرم	فقد تباعد عنك اللهو والغزل ^(٦)
سالت هذيل رسول الله فاحشة	ضلت هذيل بما قالت ولم تصب
سالوا رسول الله ما ليس معطيهم	حتى الممات وكانوا سبة العرب

(١) بل صرح الرضى بعدم جواز ذلك فقال: وكذا لا يجوز قلبها واواً أو ياء ساكنة ، للساكنين ،
ولا متحركة، ١ هـ ج ٣ ص ٤٠ شرح الشافية.

(٢) النشر ج ١ ص ٣٩٨ (بتصرف).

(٣) مختصر فى شواذ القراءات ص ٢٨.

(٤) السابق ص ١١.

(٥) السابق ص ٥٤.

(٦) البيت من البسيط، لم أقف على قائله، وهو فى المحتسب ١٨٧/٢ ، ومجاز القرآن ١٤٥/٢ ، ومعانى
القرآن للفراء ٢٥٦/٢ ، وتفسير القرطبي ٢٦٧/١٤ ، والدر المصون ٤٣٦/٥ ، والبيان والتبيين ٣١/٣ ،
وتفسير الماوردى ٣٥٢/٣ ، ومفاتيح الأغاني للكرمانى ٣٣٧ ، والصحاح واللسان والتاج (نسأ)
و(نسى)، وفتح البيان فى مقاصد القرآن للقتوجى ٥١٢ (رسالة ماجستير للباحث مصطفى أحمد
إسماعيل) والمعجم المفصل ٢٢٣/٦ .

سالتاني الطلاق إذ رأتاني قل مالي قد جئتماني بنكر

وإذا كان الإبدال هو كل ما ورد في قراءة اللفظ (منسأة) عند الأئمة المسهلين (نافع وأبي جعفر وأبي عمرو) ، فقد صرح المبرد بأن « بعض العرب تبدل من همزتها ألفاً » ، وقال البنا الدمياطي إنها لغة أهل الحجاز^(١). إذا كانوا لم ينطقوه إلا على هذا الوجه ، فكيف نعهه شاذاً؟؟ وإذا كان الفعل الماضي (سأل) قد تكرر في القرآن ثماني عشرة مرة ، ولم يقرأ على قياس النحويين في حال الوصل ، ولو مرة واحدة ، فكيف نقول عن الإبدال الذي قرأ به نافع وابن عامر وأبو جعفر ، والذي هو لغة قريش^(٢) إنه وجه شاذ؟؟ لم يكن من سبب لذلك إلا نظرة النحويين إليهما في ضوء نظائريهما ، وهى بالطبع نظرة ظالمة قائمة على افتراض أن الأكثر تداولاً هو الذي ينبغي أن يكون قانوناً ، ولو كان الناطقون به قلة . وأن الأقل تداولاً لا يصلح قانوناً ولو كان الناطقون به كثرة .

(٣) كذلك ترتب على مقياس النحويين ، وقوفهم عاجزين عن التعليل والتخريج أمام بعض الوجوه اللغوية ، كقولهم فى نحو (أريت) أنه مما حذفت همزته بلا علة ولا ضابط^(٣)، أو ليس بالاختيار ، ولم يصح عن العرب ريت^(٤)، وكقولهم فى (يشا) بحذف الهمزة إنه على اللغة القليلة . . مع أن الأول ورد فى قراءة سبعية صحيحة ، وهى قراءة الكسائي لكل ما دخلت عليه همزة الاستفهام من الفعل الماضى (رأى) وقد تكرر ذلك فى القرآن نحو أربع وثلاثين مرة ، ومع أن للثانى نظيراً وردت به القراءات ، ومنه قراءة الأعمش عن أبى بكر (فمن شا اتخذ إلى ربه سبيلاً) بالوصل من غير همز^(٥)، وقراءة ابن محيصن : (فجاءته احداهما)

(١) ينظر فتح البيان فى مقاصد القرآن للقنوجى ٤٢٨/٥، والاتحاف ص ٢٢٠ المطبعة الميمنية ١٣١٧هـ

(٢) الإتحاف ص ٤٢٣ (نسخة أخرى) وص ٢٦١ طبعة الميمنية.

(٣) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٣٧.

(٤) الكشف للزمخشري ج ٤ ص ٦٤١. الطبعة الثانية ١٩٥٢م.

(٥) مختصر فى شواذ القراءات ص ١٦٦.

بإسقاط الهمزة^(١) . . وقراءة أهل مكة (شُرَكَائِ الَّذِينَ) (النحل: ٢٧)^(٢) . . إلخ إن هذا وغيره عيوب لحقت منهج القياس الذى أصله النحويون بينما لم نجد ذلك فى منهج الرواية الذى سار عليه القراء ، ولو اتبع النحويون ما أصله أبو عمرو بن العلاء حين قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات (أى لهجات)^(٣) - فقالوا هذا قياس وهذه لهجة بنى فلان ولم يقولوا هذا شاذ ولا ضعيف ولا قليل أو لا ضابط له ، لكانوا صادقين فى نقل صورة صحيحة وصادقة للغة العرب ولهجاتهم .

* * *

التعليل لمذاهب القراء المشهورين :

قبل أن نأخذ فى التعليل لمذهب كل قارئ ، نود أن نلفت النظر إلى أننا سنتبع فى ذلك طريقة الدكتور عبد الفتاح شلبى فى التعليل لمذاهب القراء فى الإمالة ، فترجع مذهب كل واحد منهم إلى أحد عاملين أو هما معاً :

(أ) شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم .

(ب) البيئات التى توطنوها وما شاع فيها من لهجة^(٤) الهمز والتسهيل .

١- الإمام أبو جعفر

هو يزيد بن القعقاع ، الإمام أبو جعفر المخزومى المدنى القارئ ، أحد القراء العشرة ، تابعى مشهور كبير القدر ، ويقال اسمه جندب بن فيروز وقيل فيروز اسمه . . . كان إمام الناس بالمدينة ، وقال ابن مجاهد : حدثونى عن الأصمعى عن أبى الزناد قال : لم يكن أحد أقرأ للسنّة من أبى جعفر ، وكان يقدم فى زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وقال مالك : كان أبو جعفر رجلاً صالحاً يقرئ الناس بالمدينة ، وتوفى بها سنة (١٣٠هـ أو ١٣٢هـ أو ١٢٩هـ) على خلاف فى ذلك^(٥) .

(١) المحتسب ج ٢ ص ١٥٠ - والآية فى القصص ٢٥ .

(٢) مختصر فى شواذ القراءات ص ٧٦ .

(٣) المزهر ج ١ ص ١١١ مطبعة السعادة .

(٤) انظر الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص ١١٦ الطبعة الثانية ١٩٧١م .

(٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

أما شيوخه الذين أدوا إليه القراءة فمنهم أبو الحارث عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وحبر الأمة عبد الله بن عباس الهاشمي ، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، وأخذ هؤلاء الثلاثة عن أبي المنذر أبي بن كعب الخزرجي ، وقرأ أبو هريرة وابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت ، وقرأ زيد وأبي على رسول الله ﷺ^(١).

وإذا كان النسب ينتهي إلى قبيلة حجازية ، وكان الشيوخ كلهم حجازيين ، وكانت بيئة الإقامة حجازية ، لم يكن ينتظر من أبي جعفر غير التسهيل .

* * *

٢- الإمام نافع

لقد جاءت قراءة نافع موافقة لما عرف عن يئته كل الموافقة ، فهو «المدني» أحد القراء السبعة الأعلام ثقة صالح^(٢) ، كان من أظهر الناس خلقاً ، ومن أحسن الناس قراءة ، وكان زاهداً جواداً ، صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة^(٣) . قال عنه الليث بن سعد : قدمت المدينة ، ونافع إمام الناس في القراءة لا ينزع ، وكان إمام المسجد النبوي^(٤) . أقرأ الناس دهرًا طويلاً ، نيف عن سبعين سنة ، وانتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة ، وصار الناس إليها^(٥) ، وقال أبو عبيد : وإلى نافع صارت قراءة أهل المدينة ، وبها تمسكوا إلى اليوم^(٦) وقال ابن مجاهد : كان الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة الرسول ﷺ نافعاً ، قال : وكان عالماً بوجوه القراءات متبعاً لآثار الأئمة الماضين ببلده^(٧) ، وقال سعيد بن منصور : سمعت مالك بن أنس يقول : قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له قراءة نافع ، قال : نعم^(٨).

(١) انظر غاية النهاية في طبقات القراء وانظر السبيل الميسر في قراءة الإمام أبي جعفر ص ٧.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٣) السابق ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٤) لطائف الإشارات ورقة ٣٢ مخطوط - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٤ .

(٥) غاية النهاية ج ١ ص ٣٣١ .

(٦) السابق .

(٧) السابق .

(٨) السابق .

ولد نافع سنة (٧٠هـ) وتوفى (١٦٩هـ) فى أواخر أيام المهدي ، وله راويان أخذوا عنه القراءة ، أحدهما : عيسى بن وردان الملقب قالون (ت ٢٢٠هـ) قارئ المدينة^(١) ، و ثانيهما : عثمان بن سعيد الملقب ورش (ت ١٩٧هـ أو ١٩٨هـ) شيخ القراء المحققين ، وإمام أهل الأداء المرتلين ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية فى زمانه ، ولد سنة (١١٠هـ) بمصر ورحل إلى نافع بن أبى نعيم فعرض عليه القرآن عدة ختمات فى سنة (١٥٥هـ)^(٢) ، قال النحاس قال لى يعقوب الأزرق : إن ورشا لما تعمق فى النحو وأحكمه ، اتخذ لنفسه مقراً يسمى مقراً ورش ، قلت (ابن الجزرى) يعنى مما قرأ به على نافع^(٣) .

فالبينة التى عاش فيها نافع ، وقالون ، وقضى ورش بها شطراً كبيراً من حياته بيئة حجازية خالصة ، عرف عنها التسهيل .

وأما شيوخ نافع الذين أدوا إليه القراءة ، فكلهم مدنيون أيضاً ، وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وقد « كان إمام أهل المدينة فى القراءة »^(٤) ، وأبو داود عبدالرحمن بن هرمز الأعرج « المدنى التابعى الجليل »^(٥) ، وشيبة بن نصاح وهو إمام ثقة مقرئ أهل المدينة مع أبى جعفر وقاضيه^(٦) ، وأبو عبد الله مسلم ابن جندب الهذلى « مولا هم ، المدنى القاضى »^(٧) ، ويزيد بن رومان أبو روح المدنى مولى الزبير^(٨) .

فلا غرابة إذن فى أن يكون الإمام نافع ، وقد تتلمذ لهؤلاء الشيوخ المدنيين وقضى فى المدينة حياته الطويلة ، التى ناهزت المائة سنة ، من أكثر القراء تسهلاً للهمزة .

(١) غاية النهاية ج ١ ص ٦١٥ .

(٢) السابق ج ٢ ص ٥٠٢ .

(٣) غاية النهاية ج ٢ ص ٥٠٣ .

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٣٨٣ .

(٥) السابق ج ١ ص ٣٣٩ .

(٦) السابق ج ١ ص ٣٨١ .

(٧) السابق ج ٢ ص ٣٨١ .

(٨) السابق ج ٢ ص ٢٩٧ .

وأما ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبي : أى القراءة أحب إليك؟ قال قراءة أهل المدينة ، قلت : فإن لم تكن ، قال : قراءة عاصم ، قرأت القرآن كله على الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التحقيق ، وقرأه هو على الصائغ التحقيق ، وقرأ على الكمال الضرير التحقيق ، وقرأ على الشاطبي التحقيق ، وقرأ على ابن هذيل التحقيق ، وقرأ على أبي داود التحقيق ، وقرأ على الداني التحقيق ، وقرأ على فارس التحقيق ، وقرأ على عمر بن عراك التحقيق ، وقرأ على حمدان بن عون التحقيق ، وقرأ على إسماعيل النحاسي التحقيق ، وقرأ على الأزرق التحقيق ، وقرأ على ورش التحقيق ، وقرأ على نافع التحقيق^(١) - فهو وإن كان حديثاً متصلاً ، ودالاً على أن نافعاً كان يحقق الهمزة إذا ما قرأ بالتحقيق (ضد الحذر) ، إلا أنه لا يتعارض مع ما ذكرته آنفاً من أن مذهبه الذى قرأ به على شيوخه ، ولقنه لراويه هو التسهيل ؛ ذلك لأن نافعاً تلقى قراءته عن جمع غفير من التابعين غير هؤلاء الشيوخ ، فهو الذى قال : قرأت على سبعين من التابعين ، فما اجتمع عليه اثنان أخذته ، وما شك فيه واحد تركته ، حتى اتبعت هذه القراءة^(٢) . وفيه يشير إلى تنوع مصادر قراءته ، وإلى أنه كان يختار منها ، فربما كان قد أخذ - فيما أخذه عن شيوخه - التسهيل والتحقيق ، ثم اختار التسهيل مذهباً له ، وقد يشير إلى ذلك قول الأعشى : كان نافع يسهل بالقرآن لمن قرأ عليه ، إلا أن يقول له إنسان : أريد قراءتك^(٣) ، يعنى « أنه كان يقرئ الناس بكل ما قرأ به ، حتى يقال له : نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت »^(٤) ، وأنه كان لا يرد على أحد ممن يقرأ عليه ، إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته ، فإن قيل له أقرئنا بما اخترته من روايتك : أقرأ بذلك^(٥) .

(١) غاية النهاية ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) الإبانة عن معانى القراءات لمكى بن أبى طالب ص ١٧ .

(٣) غاية النهاية ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٤) الإبانة عن معانى القراءات ص ٤٥ .

(٥) السابق ص ٤٦ .

وبمثل ذلك التفسير وحده يمكن تأويل الحديث الذى أورده ابن الجزرى ونصه
أخبرنى محمد بن أبى بكر الحافظ عن عثمان بن محمد المالكى عن أبى إسحاق
الأشيبلى ، عن أبى عبد الله الأندلسى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبى عمرو ، قال :
حدثنا فارس بن أحمد ، ثنا عمر بن محمد المقرئ ، ثنا أبو محمد الحسن بن
أبى الحسن العسكرى ، ثنا محمد بن الحسن بن عمر ، ثنا عبدالرحمن بن داود بن
أبى طيبة قال : قرأت على أبى التحقيق ، وأخبرنى أنه قرأ على ورش التحقيق ،
وأخبره أنه قرأ على نافع التحقيق ، قال وأخبرنى نافع أنه قرأ على الخمسة التحقيق
، وأخبرنى الخمسة أنهم قرءوا على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة التحقيق ،
وأخبرهم عبد الله أنه قرأ على أبى بن كعب التحقيق ، وأخبر أبى أنه قرأ على
رسول الله ﷺ التحقيق ، قال وقرأ النبى ﷺ عَلَى التحقيق ، قال الحافظ أبو عمرو
الدانى : هذا الحديث غريب لا أعلمه يحفظ إلا من هذا الوجه ، وهو مستقيم
الإسناد^(١) ، فورش تلميذ نافع ، وشيوخه الخمسة ، كانوا أيضاً مثله فى الجمع بين
التحقيق والتسهيل ، حتى يتحقق التيسير الذى قصده الرسول ﷺ من حديث (أنزل
القرآن على سبعة أحرف) ، ولا سيما أنهم يقطنون المدينة ، وعليها يفد المسلمون
من شتى البلاد الإسلامية ، مؤدين لنسك الحج ، أو مجاورين بها ، والحال أن
قبائلهم مختلفة ، وألسنتهم متعددة ، فإذا أراد قارئ أن يقرأ على أحد شيوخ المدينة
أقرؤه بما تعود لسانه فى بيئته أو بما قرأ به فى بلدته التى وفد منها إن تحقيقاً
وإن تسهلاً ، ويبقى بعد ذلك لكل واحد منهم اختياره ، وهو ما نسميه بمذهب
القارئ وطريقته ، كمذهب التسهيل مثلاً فى قراءة الإمام نافع .

* * *

٣- الإمام عبد الله بن كثير

اشتهر بين العلماء والباحثين قديماً وحديثاً أن ابن كثير كان يهمز ، ولم يكن من
مذهبه تسهيل الهمزة ، وها هو ذا أبو على الفارسى يحدثنا فى كتابه الحجة فيقول :

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٢ .

« وابن كثير كان أكثر الهامزين »^(١)، وقد سار على ذلك جميع شراح الشاطبية يقول أحد تلاميذ الشاطبي عن ابن كثير : وليس له إبدال الهمزة الساكنة حيث جاء وليس له نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وإنه يسهل الهمزة الثانية حيث اجتمعت همزتان في كلمة واحدة ولا يفصل بين همزتين بمدّ »^(٢)، وعدم تسهيله لهذين الضربين يعنى أنه من غير المسهلين ، لأنهما من أكثر الأنواع دورانا في القرآن الكريم ، كما دل الإحصاء السابق ، وعلى هذا الاعتقاد أيضاً سار المحدثون الذين درسوا اللهجات العربية في ضوء القراءات القرآنية ، فقرروا أنه قد « خالف ابن كثير في تسهيل الهمز ، ومال إلى تحقيقه وهو مكى »^(٣)، وقرروا أيضاً أن قراءته « تخالف بيئته كل المخالفة »^(٤)، ولا نستطيع أن نساير هؤلاء جميعاً في إطلاق القول بأن ابن كثير كان أكثر الهامزين ، وأنه خالف بيئته كل المخالفة ؛ ذلك لأن النصوص التي بين أيدينا تؤدي إلى خلاف ذلك ، فابن الجزرى في كتابه النشر ، يعطينا قضية عامة إذ يقول : « والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب فما أحد من القراء إلا وقد روى عنه تخفيف الهمز ، إما عموماً وإما خصوصاً »^(٥) ، وإذن فقد ورد عن ابن كثير تسهيل الهمز ، وهذا ما نص عليه ابن الجزرى في موضعين آخرين : أولهما : يقول فيه « ولما كان الهمز أثقل الحروف نطقاً ، وأبعداها مخرجاً تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف ، كالنقل وبين وبين والبدل والإدغام ونحو ذلك ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ، كابن كثير من رواية ابن فليح . . . وكنافع . . . وكأبى جعفر . . . وكابن محيص . . . وكأبى عمرو . . . وكذلك عاصم من رواية الأعشى عن أبى بكر من حيث إن روايته ترجع إلى ابن مسعود »^(٦) ، وثانيهما : ذكره

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٨٩ نقلاً عن الحجة لأبى على ج ٦ ورقة (٦٧)، ومى مخطوطة بمكتبة بلدية الأسكندرية برقم ٣٥٧٠ ج.

(٢) رسالة في القراءات السبعة لأحد تلاميذ الشاطبي ورقة (١) مخطوطة بدار الكتب المصرية.

(٣) في اللهجات العربية ص ٧٦.

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٠٦.

(٥) النشر ج ١ ص ٤٢٢.

(٦) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٤٢١.

ابن الجزرى عند ما تحدث عن كيفية القراءة بالتحقيق وبالحدرد ، حيث عرف التحقيق بأنه « عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد ، وتحقيق الهمز ، وإتمام الحركات »^(١) ثم ذكر أسماء القراء الذين كان مذهبهم التحقيق ، ولم يذكر منهم ابن كثير ، وبعد ذلك عرف الحدرد بأنه « عبارة عن إدراج القراءة ، وسرعتها ، وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس ، والبدل ، والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمز ، ونحو ذلك »^(٢) ، ثم قال : وهذا النوع وهو الحدرد مذهب ابن كثير ، وأبى جعفر ، وسائر من قصر المنفصل ... »^(٣).

وإذن لا نجاوز حدّ الصواب إذا قررنا أن ابن كثير كان يقرأ بتسهيل الهمز إلى جانب قراءته بالهمز المحقق ، غاية الأمر أن مذهبه فى التسهيل لم يشتهر مثل شهرته فى التحقيق .

وتعطينا كتب القراءات تأكيداً لذلك حيث تذكر بعض المواضع التى كان يقرؤها ابن كثير بالتسهيل ، وقد روى البزى (ت ٢٤٠ هـ) أحد رواة القراءة عن ابن كثير بعض هذه المواضع ، قال أبو عمرو الدانى : -

١- روى أبو ربيعة وابن الحباب عنه (أى عن البزى) (ولو شاء الله لأعنتكم) فى البقرة - بتلين الهمزة ، وكذلك نص على ذلك البزى فى كتابه^(٤) .

٢- قرأ (ضياً) فى الأنفال - بفتح الياء من غير همز ، وكذلك فى الأنبياء والقصص^(٥) .

٣- واختلف عنه فى قوله ﴿ أَفَلَمْ يَأْتِئْسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (الرعد: ٣١) فقرأه - بالهمز وتركه^(٦) .

(١) النشر ج ١ ص ٢٠٥ .

(٢) السابق ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) المفردات السبع لأبى عمر الدانى ص ٩٩ .

(٥) السابق ص ١٠١ .

(٦) السابق ص ١٠٢ .

٤- وقرأ ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِكَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ﴾ (النحل: ٢٧) - بغير همز هنا خاصة^(١).

٥- وقرأ ﴿عَنْ سَاقِيهَا﴾ (النمل: ٤٤)، و﴿بِالسُّوقِ﴾ (ص: ٣٣)، و﴿عَلَى سُوْقِهِ﴾ (الفتح: ٢٩) - بغير همز في الثلاثة^(٢).

٦- وقرأ {اللاي} هنا أى فى الأحزاب ، وفى المجادلة والطلاق - بإسكان الياء من غير همز^(٣).

٧- وروى الخزاعى وابن هارون عنه ﴿ضَيْرَى﴾ (النجم: ٢٢) - بغير همز^(٤).

٨- عن شبل عن ابن كثير قال رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، وهو يقرأ (جبريل وميكائيل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز ، ولا أقرؤها إلا هكذا^(٥).

وزاد أحد تلاميذ الشاطبى :

٩- وقرأ ابن كثير (النبين) مشدداً بغير همز ، حيث جاء جمعاً وفرداً ومصدراً^(٦) ، و(أنبياء) بالياء حيث جاء^(٧).

١٠- وقرأ ﴿هَتَأْتُمْ﴾ (آل عمران: ٦٦) - بالمد وتخفيف الهمزة البزى، وبالقصر وتخفيف الهمزة (هنتم) على وزن فعلتم قبل^(٨).

١١- وقرأ ﴿وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٣٢) بنقل حركة الهمزة إلى السين ، وحذف الهمزة وكذلك (فاسئلوا - وسل ، فسل) حيث جاء^(٩).

(١) المفردات السبع ص ١٠٣.

(٢) السابق ص ١٠٤.

(٣) السابق .

(٤) السابق ص ١٠٥.

(٥) السابق ص ٥٥.

(٦) رسائل فى القراءات السبع ورقة (١).

(٧) السابق ورقة (٢).

(٨) رسائل فى القراءات السبع ورقة (٤).

(٩) السابق نفسه.

- ١٢- وقرأ {أأنتم} فى الأعراف - بتلين الهمزة الثانية (البزى) وقرأ قبل فى الوصل (قال فرعون وامنتم) بإبدال الهمزة الأولى واواً ، وتلين الثانية^(١) .
- ١٣- وقرأ (يضاهون) بضم الهاء بغير همزة^(٢) ، وهى فى التوبة .
- ١٤- وقرأ (هَيْتُ) بفتح الهاء وضم التاء ، بغير همزة^(٣) ، وهى فى يوسف .
- ١٥- وقرأ (استايسوا) بياء بعد الألف ، وكذا (ولا تايسوا) و(إنه لا يايِس) و(إذا استايس الرسل) و(أفلم يايِس الذين آمنوا) فى رواية عن البزى^(٤) وكلها بيوسف ، ما عدا الأخيرة فهى بالرعد .
- ١٦- وقرأ (يأجوج ومأجوج) بغير همز^(٥) ، وهى بالكهف .
- ١٧- وقرأ (التناوش) بغير همزة^(٦) ، وهى فى سبأ .
- ١٨- وقرأ (وإليه النشور أأمنتم) بإبدال الهمزة الأولى واواً ، وتلين الثانية (قبل) وقرأ البزى بتلين الهمزة الثانية بغير إبدال^(٧) ، وهى فى سورة الملك .
- ١٩- وقرأ (مؤصدة) بغير همزة^(٨) ، وهى فى البلد والهمزة .
- ٢٠- وقرأ (البرية) بياء مشددة بغير همزة^(٩) ، وهى فى البينة .
- ٢١- (لإيلاف) بالياء^(١٠) وهى فى سورة قريش .
- ويضاف إلى ذلك أيضاً ، ما جاء عن ابن خالويه :
- ٢٢- (شعاير) بغير همزة ، بعض روايات ابن كثير^(١١) ، وهى فى البقرة .
- ٢٣- (إلى الهداتنا) ابن كثير^(١٢) ، وهى فى الأنعام .

(١) رسائل فى القراءات السبع ورقة (٥).	(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق ورقة (٦).	(٤) السابق نفسه.
(٥) السابق ورقة ٧.	(٦) المرجع السابق ورقة ٩.
(٧) المرجع السابق ورقة ١٠.	(٨) المرجع السابق ورقة ١١.
(٩) المرجع السابق نفس الموضع.	(١٠) المرجع السابق نفس الموضع.
(١١) مختصر فى شواذ القراءات ص ١١.	(١٢) المرجع السابق ص ٣٨.

- ٢٤- (إنما النسيء) بغير همزة... ابن كثير^(١)، وهى فى التوبة .
 ٢٥- (دايرة السوء) عن السبعة^(٢)، وابن كثير منهم ، وهى فى التوبة .
 ٢٦- (ثم ايتوا، وثم ايتوا) ابن كثير^(٣)، وهى فى طه .
 ٢٧- (من سباً) بغير همزة ، ابن كثير فى رواية^(٤)، وهى فى النمل .
 ٢٨- (وأنتم حينئذ) بترك الهمز عن أهل مكة^(٥)، وهى فى الواقعة .
 ٢٩- (فإمّا منّا بعد وإمّا فِداً) بترك الهمز والمد ابن كثير فى رواية^(٦)، وهى فى سورة محمد عليه السلام .

- ٣٠- وقال ابن الجزرى ، وذكر ابن مجاهد عنه (جرير بن حازم) أنه سمع ابن كثير يقرأ : (لَحْدَى الكبر) لا يهمز ولا يكسر^(٧)، وهى فى المدثر .
 ٣١- وقال أبو عمرو الدانى : حدثنا الفارسي قال : حدثنا أبو طاهر ، قال : حدثنا الخزاعى عن أصحابه الثلاثة ، عن ابن كثير أنه لم يهمز فاعلا ، ولا فاعلين ، ولا فاعلات ، من ذوات الياء والواو ، نحو قوله فائضين ، والقائمين ، والصائمين ، وخائف وقائم ، وصائم ، والصائمات وما أشبهه ، قال : وكذلك لم يهمز ، لا يؤاخذكم ، ولا تؤاخذنا حيث وقعا ، قال : وكذلك لم يهمز الهمزة الثانية من هؤلاء فى جميع القرآن ، ويهمز الأولى المضمومة ، قال : وكان يقرأ شعائر الله بنبرة ، والنبرة عندهم دون الهمز ، قال وكذلك خزائن وبصائر ونحوها^(٨) .

هذه بعض المواضع التى وقعت عليها يدى ، والتى تفيد أن ابن كثير كان من مذهبه أيضاً تسهيل الهمزة ، وهى ليست قليلة ، لأننا لو ذهبنا إلى المعجم المفهرس لإحصاء عدد الهمزات التى تدخل فى مفهوم الحديث الأخير ، لوجدنا

-
- (١) مختصر فى شواذ القراءات ص ٥٢ .
 (٢) المرجع السابق ص ٨٦ .
 (٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .
 (٤) المرجع السابق ص ١٤٠ .
 (٥) المرجع السابق ص ١٥٢ .
 (٦) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ١٩٠ .
 (٨) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١١١ - وقارن مع المطبوع منه ج ١ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

أنها تكررت فى القرآن الكريم أكثر من خمسين وأربعمائة مرة ، ولو أضفنا إليها مواضع الهمزتين من كلمة ومن كلمتين - وابن كثير كان يسهل الثانية منهما بصفة دائمة كما عرفنا سابقاً - لانتبهنا إلى أن ابن كثير لم يكن أكثر الهامزين ، ولم يخالف بيئته كل المخالفة ، بل كان له مذهبه فى تسهيل الهمزة ، اختص بروايته ابن فليح كما قال ابن الجزرى ، ونبهت إليه بعض الروايات التى تناثرت فى بطون كتب القراءات ، كما ذكرنا قريباً ، غاية الأمر أن مذهبه فى التسهيل لم يشتهر كمذهبه فى التحقيق .

والآن أعتقد أنه من السهل أن نعلل لمذهبيه المأثورين عنه ، أما التسهيل :
فأولاً : لأن بيئته التى ولد فيها ، ونشأ بها ، كانت بيئة حجازية خالصة ، فهو شيخ مكة ، وإمامها فى القراءات^(١) ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين^(٢) ولد بمكة سنة (٤٥هـ) فى أيام معاوية^(٣) ، وتوفى بمكة سنة (١٢٠هـ)^(٤) ، وهو الذى بعث عثمان رضي الله عنه مع شيخه عبد الله بن السائب بمصحف إلى أهل مكة لما كتب المصاحف ، وسيرها إلى الأمصار ، وأمره أن يقرئ الناس بمصحفه^(٥) .

وثانياً : لأن شيوخه الذين أدوا إليه القراءة حجازيون ، وهم عبد الله بن السائب المخزومى صاحب النبى ﷺ ، ومجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى قيس بن السائب ، ودرباس مولى بن عباس ، وأخذ عبد الله بن السائب عن أبى نفسه ، وأخذ مجاهد ودرباس عن ابن عباس عن أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبى ﷺ^(٦) .

فابن كثير فى قلب هذه البيئة الحجازية ، وفى وسط هؤلاء الشيوخ المكيين الحجازيين ، لم يكن ليقرأ إلا بما يوافق طباع أهل مكة ، ومذاهبهم فى الأداء

(١) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) .

(٢) جامع البيان فى القراءات السبع (ورقة ١٤) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٥ .

(٤) التيسير لأبى عمرو الدانى (ص ٤) .

(٥) إبراز المعانى لأبى شامة ص ٢١ .

(٦) انظر كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى ص ٧ .

اللغوى والقرآنى ، حتى صح أن يقال : « اجتماع أهل مكة على قراءة ابن كثير . . . وقراءة أهل مكة قراءة عبد الله بن كثير »^(١).

أما مذهبه فى التحقيق ، ولماذا اشتهر به؟؟ فنقول إن ابن كثير كسائر الأئمة ، كان يجمع بين التسهيل والتحقيق ، مع اختيار التسهيل فى أول عهد القراءة ، لأن أهل مكة وهم مسهلون ما كانوا ليجتمعوا حول قراءة تخالف لهجتهم فى النطق ، لكن الذى حدث هو أن ابن كثير الذى ولد بمكة « أقام مدة بالعراق ثم عاد إليها »^(٢) ، فيحتمل أنه تأثر بألسنة أهل العراق وقراءاتهم ، وذلك ما حدث به أبو عمرو الدانى فى قوله : « حدثنا فارس بن أحمد قال : حدثنا عبد الله بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن موسى ، قال : حدثنى الحسين بن بشر الصوفى ، قال : حدثنا روح ابن عبد المؤمن ، قال : حدثنا محمد بن صالح ، قال : قرأ عبد الله بن كثير فى بيت شبل ، وثم يومئذ عدة من القراء : (أو من وراء جدر) فناداه ابن الزهير ، ما هذه القراءة؟؟ ارجع إلى قراءة قومك!! قال : (ابن كثير) إنى لما هبطت العراق خلطوا على قراءتى . قال : (أبو عمرو الدانى) فقال : (أو من وراء جدار)^(٣) ، وإذا ثبت هذا الاحتمال نقول إن ابن كثير لما رجع إلى مكة مال إلى اختيار التحقيق فى الهمز ، استحساناً له ، ربّما لأنه رأى أن الهمز أقرب إلى طبعه اللغوى الفصيح ، لأن ابن كثير « كان فصيحاً ، بليغاً ، مفوهاً »^(٤) ، وهو الذى قال عنه جرير بن حازم : رأيت عبد الله بن كثير ، فرأيت رجلاً فصيحاً^(٥) ؛ وربما لأن القبائل العربية التى استقرت فى الحجاز مع مجىء الإسلام ، كانت ألسنتها لا تستقيم بغير الهمز فالبكرى يقول : « وجاء الله - عز وجل - بالإسلام وقد نزل الحجاز من العرب أسد ، وعيس ، وغطفان ، وفزارة ، ومزينة ، وفهم ، وعدوان ، وهذيل ، وخثعم ، وسلول ،

(١) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٥) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) ، وسراج القارئ المبتدئ ص ١١ .

(٣) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٥) .

(٤) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٤ .

(٥) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص ٥٥ .

وهلال ، وكلاب بن ربيعة ، وطئ - وأسد وطئ حليفان - وجهينة نزلوا جبال الحجاز^(١) . . . «فأسد وعبس كانتا تستقران فى قلب الجزيرة قبيل الإسلام ، وكذلك غطفان وفزارة وهلال كانت من القبائل النجدية قبل أن تسكن الحجاز^(٢) . أضف إلى ذلك أن مكة على وجه الخصوص كانت قبلة أنظار العرب للحج والعمرة ، والمجاورة يفدون إليها فى كل وقت ، ومنهم البدو والأعراب ، وهؤلاء إذا قرأوا أو أقرئوا ، كانوا لا ينطقون إلا بلهجة بيثهم ، ولا تلتذ أسماعهم إلا بها ، فلا غرابة فى أن يقرأ ابن كثير بتحقيق الهمز إذا ما تصدر لإقراء النازلين أو الوافدين إلى مكة ، ولا سيما «أن التحقيق يكون للرياضة ، والتعليم والتمرين»^(٣) .

* * *

٤- أبو عمرو بن العلاء

هو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة^(٤) ، ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة (١٥٤هـ)^(٥) ، كان «إمام البصرة ومقرئها»^(٦) ، وكان عربياً صريح النسب ، ينتهى نسبه إلى «مالك بن عمرو بن تميم بن مرة ، بن أذ بن طابخة ، بن إلياس ، ابن مضر ، بن معد بن عدنان»^(٧) .

وإذن فنسبه وبيئته كانا من أهم العوامل فى حرص أبى عمرو على تحقيق جميع الهمزات ، إذا لم يدرج القراءة ، أو لم يقرأ فى الصلاة ، أو لم يقرأ بالإدغام ؛ ذلك لأن تميماً كانت من أكثر قبائل البدو حرصاً على الهمز وتحقيقه ، بل ربما بالغت فى الهمز فعنعت ، أو همزت ما ليس بمهموز ، كما سبق فى الفصل الثانى ؛

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج ١ ص ٩٠ .

(٢) انظر مصور جزيرة العرب قبيل الإسلام فى أول كتاب (الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه) .

(٣) لطائف الإشارات ورقة (٨٦) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٢٢٠ .

(٤) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٦) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١٣٨ .

(٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٢ .

(٦) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٥ .

(٧) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨ .

ولأن بيئة العراق كانت منزل البدو ، فالبصرة اختطها عتبة بن غزوان ، وتم تمصيرها سنة (١٤هـ) وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي ، والكوفة اختطها سعد بن أبي وقاص ، وتم تمصيرها سنة (١٧هـ) ، وكان سعد قد أنزل القبائل منازلهم في الكوفة ، وكان من بينهم تميم وأسد^(١) ، وكان الغرض من إنشائهما أمران : نقصان شأن المدن العراقية ، والفارسية الأصل مثل المدائن والحيرة ، لثلا تفوق العرب قدرًا وتأثيرًا . وجعل مقامات الأعراب النقيمين في أطراف البادية ، متوسطة بين البدو والحضر ، ليعتادوا المعيشة المدنية شيئًا فشيئًا ، وتزال رغبتهم في الرجوع إلى براريهم ، وكراحتهم للاستقرار في المدن^(٢) . وإذن فتحقيق الهمز عند أبي عمرو كان كالاستجابة لعامل النسب والبيئة البدوية الخالصة .

وإذا عرفنا إلى جانب ذلك أن أبا عمرو «قرأ على أهل الحجاز ، وسلك طريقته في القراءة»^(٣) ، وأن مادة قراءته إنما هي عن أهل الحجاز^(٤) ، وأنه كان «حسن الاختيار سهل القراءة ، غير متكلف ، يؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل»^(٥) ، ولا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله^(٦) - «... إذا عرفنا ذلك أدركنا السرّ في قراءته بالتسهيل مع التحقيق ، ويفسر هذا أكثر ، أن الأئمة الذين تلقى عنهم أبو عمرو ، كانوا خليطًا من الحجازيين ، مكيين ومدنيين ، ومن العراقيين ، كوفيين وبصريين ، «فمن أهل مكة : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة بن خالد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد الله بن كثير ، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصة ، وحמיד بن قيس الأعرج ، ومن أهل المدينة : يزيد بن القعقاع القارئ (أبو جعفر)

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٩٠ إلى ص ٥٩٧ ، ج ٤ ص ٤٠ وما بعدها . وانظر تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٥ وما بعدها وص ٢٢٢ وما بعدها .

(٢) انظر تاريخ الآداب العربية كارل نالينو ص ١٤٥ (بتصرف) الطبعة الثانية .

(٣) المفردات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٣٣ .

(٤) السابق ص ١١٦ .

(٥) السابق ص ١١٤ .

(٦) السابق ص ١١٣ .

ويزيد بن رومان ، وشيبة بن نصاح . ومن أهل البصرة : الحسن بن الحسن البصري ، ويحيى بن يعمر وغيرهما^(١) » ومن أهل الكوفة : عاصم بن أبي النجود^(٢) . فلا غرابة أبداً في أن يأخذ أبو عمرو عن أئمة التسهيل والتحقيق فيقرأ بذا تارة ، وبذا تارة أخرى ، ويعن لى هنا أن أقول إن أبا عمر كان مستجيباً لعامل بيئته أكثر من استجابته لعامل شيوخه ، لأنه لم يطرد عنه - كما قلنا سابقاً - سوى تسهيل الهمزة الثانية من المجتمعتين في كلمة وفي كلمتين ، وتسهيل الهمزة الساكنة ، وتسهيلهما لم يكن قاصراً على أهل الحجاز ، بل أهل التحقيق أيضاً كانوا ينفرون من اجتماع الهمزتين ، ومن هنا تسنى لسيبويه أن يقول : ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا^(٣) . وكانت العرب تنفر من الهمزة الساكنة ، ومن هنا قال الفراء : إن العرب لا تنطق بهمزة ساكنة إلا بنى تميم^(٤) . وخلاصة القول أن أبا عمرو مقل في التسهيل ، مكثر في التحقيق ، ولكل علة وسبب كما تقدم .

* * *

٥- عبد الله بن عامر

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي^(٥) ، إمام أهل الشام وقاضيه ، كان تابعياً جليلاً ، إماماً بالجامع الأموي ، في أيام عمر بن عبد العزيز ، وقبله وبعده ، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشیخة الإقراء بدمشق ، ودمشق إذ ذاك دار للخلافة ، ومحط رحال العلماء والتابعين^(٦) ، ولد سنة (٨هـ) وتوفي بدمشق سنة (١١٨هـ)^(٧) ، لقي جماعة من الصحابة رضوان الله

(١) التيسير لأبي عمرو الداني ص ٧ ، ٨ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) سيبويه ج ٣ ص ٥٤٩ ط : تراثنا .

(٤) جامع البيان في القراءات السبع ورقة (١٠٠ ، ١٠١) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٦١ .

(٥) غاية النهاية في طبقات ج ١ ص ٤٢٤ .

(٦) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٦ .

(٧) غاية النهاية في طبقات ج ٢ ص ١٠٦ .

عليهم أجمعين ، وروى عنهم ، وسمع منهم ، منهم معاوية بن أبي سفيان ، وفضالة ابن عبيد ، ووائل بن الأسقع ، وأبو الدرداء عويمر بن عامر ، عرض عليه القرآن ، وأخذ عنه القراءة ، ويقال عرض على عثمان رضي الله عنه ، وعرض عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ ، يقول أبو عمرو الداني : وليس بثابت عندنا والصحيح أنه عرض على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، وعرض المغيرة على عثمان رضي الله عنه ^(١) ، وفي هذا دلالة واضحة على أن قراءة ابن عامر مأخوذة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأنها متصلة بالنبي ﷺ ^(٢) وأنه لم يتعد - فيما ذهب إليه - الأثر ، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر ^(٣) ، بخلاف ما زعم بعض أهل النظر من أنها ليست كذلك ولا لها مادة ^(٤).

والذي يهمنا كثيراً أن ابن عامر كان يقرأ بالمدّ والهمز والإدغام ^(٥) ، وأنه كان متأثراً في قراءته بالهمز ، بالبيئة التي عاش فيها دهرًا طويلاً ، نيف على عشر ومائة سنة ، فالشام كانت المنزل المحبوب لدى قبائل البدو التي دخلت في الإسلام ، ولا سيما بعد أن صارت داراً للخلافة ، من مقتل عثمان إلى سقوط دولة بني أمية ، وفوق ذلك كان ابن عامر عريباً يحصيياً ثم تميمياً ، تربى في أحضانهم وتأثر بلهجتهم ، ولا يتعارض مذهبه في الهمز مع أخذه عن شيوخ حجازيين كمعاوية القرشي ، والمغيرة المخزومي ، وأبي الدرداء الأنصاري الخزرجي . . . ، لأنهم وإن كانوا كذلك إلا أنهم عاشوا حقبة غير قصيرة في بيئة الشام ، يقرئون الناس بما سمحت به لهجاتهم وبما جرت عليه ألسنتهم ، وقد نستشف ذلك من طريقة أبي الدرداء في إقراء الناس ، « قال سويد بن عبدالعزيز ، كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا صلى الغداة في جامع دمشق ، اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريقاً ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط

(١) المفردات السبع ص ١٧٧ .

(٢) السابق ص ١٧٩ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٢٤ .

(٤) المفردات السبع ص ١٧٩ .

(٥) السابق ص ١٧٧ .

أحدهم رجع إلى عريفهم ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء ، فسأله عن ذلك ، وكان ابن عامر عريفاً على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر (٣٢هـ)^(١) ، فأغلب الظن أن أبا الدرداء كان يجعل كل عشرة اتفقت لهجاتهم ، وتقاربت ألسنتهم ، فى حلقة واحدة ، وكان يجعل عريفهم أقرب الناس إليهم لهجة ، حتى يكون خبيراً بلغتهم ، فيسهل عليه تلقينهم ، ويسهل عليهم سماعه ، والأخذ عنه ، وعلى ذلك فيجوز أن ابن عامر - وهو يحصى تيمى - كان عريفاً على جماعة من تميم وغيرهم من البدو ، ممن كانوا يألّفون الهمز ، ولا يميلون إلى غيره ، ثم لما صارت إليه إمامة الإقراء اتخذ ذلك مذهباً له . . والله أعلم .

وليس معنى ذلك أنه لم يكن يعرف التسهيل ، بل معناه أن الهمز كان اختياره حين يصل القراءة ، فإذا وقف سهل الهمزة المتطرفة فقط ، وسوف نتحدث عن ذلك فى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

* * *

٦- عاصم بن أبى النّجود

هو عاصم بن أبى النجود (بفتح النون) . . . ، أبو بكر الأسدى ،^(٢) مولاهم ، وعلى وجه التحديد « مولى نصر بن قعين بن هنين من بنى أسد^(٣) ، وبنو أسد ممن كانوا يهمزون ، بل ممن يبالغون فيه إلى حدّ إبدالهم من أصوات اللين . وهو الكوفى شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة^(٤) ، ولد بالكوفة وتوفى بها سنة (١٢٨هـ) ، أو بالسماوة ، قال شعلة : وهو موضع بالبادية^(٥) - وهو الإمام الذى انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبى عبد الرحمن السلمى فى موضعه^(٦) قال أبو بكر

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٦٠٦ .

(٢) السابق ج ١ ص ٣٤٦ .

(٣) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص ٣٣٢ .

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٦ .

(٥) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٦ .

(٦) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٧ .

(ابن عياش): كان أبو عبد الرحمن (السلمي) يقرئ الناس في المسجد، فلما هلك، جلس عاصم يقرئ الناس، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن^(١).

أما عن شيوخه: فاتصلت قراءته من جهة أبي عبد الرحمن (السلمي) بعلى ابن أبي طالب عن النبي ﷺ، ومن جهة أبي مريم زرّ بن حبيش بعبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ^(٢)، وشيخه الأول أبو عبد الرحمن السلمي هو الضرير مقرئ الكوفة، انتهت إليه القراءة تجويداً، أخذ القراءة عن عثمان بن عفان، أو على بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب رضي الله عنه^(٣)، وشيخه الثاني زرّ ابن حبيش: هو الأسدي الكوفي، عرض على عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب^(٤)، وكذلك أخذ عاصم عن سعيد بن إياس أبي عمرو الشيباني الكوفي (ت ٦٩ هـ)^(٥).

وإذن كان من الطبيعي مع هذا الولاء لبنى أسد، وهذه البيئة الكوفية الضاربة أطنابها حول الإمام عاصم، وهؤلاء الشيوخ الكوفيين الذين قرأ عليهم وأخذ منهم مادة قراءته، ثم تولية إمامة الإقراء بالكوفة - كان من الطبيعي أن يكثر عاصم من الهمز، ويشتهر به، حتى قال فيه شريك بن عبد الله: كان عاصم صاحب همز ومدّ، وقراءة شديدة^(٦)، وحتى عرف عنه السكوت على الساكن الواقع قبل الهمزة إذا كان الساكن والهمزة من كلمتين نحو (مَنْ آمَنَ)، قال الشموني عن الأعشى في (وبالآخرة وما أشبهه) يسكت على اللام سكتة فيها طول قليلاً، وقال النّقار قال لي الخياط: حتى يظن أنك قد نسيت ما بعد الحرف، (لام المعرفة أو غيرها)^(٧). ونحن نعلل لهذا السكوت بما علل به أبي على الفارسي سكوت حمزة حيث قال:

(١) المفردات السبع لأبي عمرو الثاني ص ٢٣٢.

(٢) السابق ص ٢٣٣.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤١٣.

(٤) السابق ج ١ ص ٢٩٤.

(٥) السابق ج ١ ص ٣٠٣.

(٦) المفردات السبع ص ٢٣٢، والحجة لأبي على الفارسي ج ١ ص ١٦٠.

(٧) راجع جامع البيان في القراءات السبع ورقة (١١٣). وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٩٨.

« والحجة لحمزة فى ذلك أنه أراد بهذه الوقفة التى وقفها تحقيق الهمزة ، وتبيينها ، فجعل الهمزة بهذه الوقفة التى وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق ، لأن الهمزة قد صارت بالوقفة مضارعة للمبتدأ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها»^(١) فعاصم أيضاً كان يرمى من وراء السكوت على الساكن قبل الهمزة ، جعل الهمزة على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق، ونظن أن حمزة أخذ ذلك عنه؛ لأنه تلميذه كما سنرى .

ولكن رغم ذلك الذى اشتهر به عاصم من الهمز ، وجدنا له مذهباً فى التسهيل اختص بروايته الشمونى ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبى بكر بن عياش عن عاصم ، وإليك هذا المذهب باختصار^(٢) :

١- روى الشمونى ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبى بكر عن عاصم : أنه كان يسهل الهمزة الساكنة سواء أكانت فاء أم عينا أم لا ، سكنت للأمر أو للجزم أو لتوالى الحركات ، كانت فى اسم أو فعل نحو (يؤمنون . . . الذى ائتمن . .) إلا عدة أحرف فإنه همزها ، وهى : فاداراتم ، والرؤيا ، ورؤياك ، ورؤياى ونبتنا بتأويله ، ويأجوج ومأجوج ، وأثانا ورثيا .

٢- وروى أيضاً عن الأعشى عن أبى بكر تسهيل الهمزة المتحركة ، إذا كانت فاء وانفتحت وانضم ما قبلها ، نحو (لا تؤاخذنا . . .) إلا أربعة أحرف وهى : (فليؤد) بالبقرة ، (يؤده ، لا يؤده) بآل عمران ، (أن تؤدوا) بالنساء - وزاد أبو عمرو الدانى (والمؤلفة) بالتوبة ، (يؤلف) بالتور - فقد جاء فيها التخيير فى الهمز وتركه عن الأعشى ، وروى ابن غالب ترك همزها .

٣- وروى كذلك أنه كان يسهل الهمزة المفتوحة إذا انكسر ما قبلها فى خمسة أصول مطردة ، وخمسة أحرف ، أما الأصول فهى : (رثا الناس) فى البقرة

(١) الحجة لأبى على الفارسى ج ١ ص ٢٩٦ .

(٢) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (٩٩) . وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

والنساء والأنفال ، (ولقد استهزئ) حيث وقع ، (وإذا قرئ) حيث وقع
(لنبوئهم) فى النحل والعنكبوت ، (بالخاطئة) فى الحاقة ، (خاطئة) فى العلق ،
وأما الأحرف فهى : (لَمَنْ لبيطن) فى النساء ، (خاسئا) فى الملك ، (ملئت)
فى الجن ، (ناشئة) فى المزمل ، (شائنك) فى الكوثر .

٤- خير الشمونى فى الهمز وتركه فى أصليين : ما جاء من لفظ (تَأَخَّرَ) حيث
وقع ، وما جاء من لفظ (فئة) مفرداً أو مثني أو جمعاً ، واختار الهمز ، ورواه
ابن غالب بالهمز .

٥- روى الشمونى (الفؤاد ، فؤادك ، فؤاد أم موسى) بالهمز ، ورواه ابن غالب بترك
الهمز .

٦- روى الشمونى (تَبَوَّءوا الدار) فى الحشر ، بغير همز ، وضم الواو ضمة مختلصة ،
ورواه ابن غالب بالهمز .

٧- روى الشمونى وابن غالب (من إستبرق) فى الرحمن ، بإلقاء حركة الهمزة على
النون وتحريكها بها ، وقال النقاش عن الخياط عن الشمونى عن الأعشى عن
أبى بكر أنه كان مرة يصلها ومرة يقطعها .

٨- وروى الشمونى (فإن أحصرتم) فى البقرة ، بإلقاء حركة الهمزة على النون .

٩- وعن الشمونى أيضاً (قل اتخذتم) فى البقرة موصولة ، (أن أدوا) فى الدخان
موصولة مخففة ، وروى عنه أيضاً (موطئاً) فى التوبة بغير همز .

١٠- وعنه أيضاً (فَمَنْ شاء اتخذ) حيث وقع بترك همزة شاء ، وقال فى (بأن ،
بأنهم) يجعل موضع الهمزة فتحة ، وقال فى (سنقرئك) بغير همزة ويظهر
الياء ويرفعها . اهـ ثم قال أبو عمرو الدانى : « وروى سائر الرواة (أى غير
الأعشى) عن أبى بكر عن عاصم : تحقيق الهمز فى جميع ما تقدم من ساكن
ومتحرك ، إلا عبيد بن نعيم ، فإنه حكى عن عاصم أنه كان لا يهمز
(يؤمنون) قال : وربما سمعتها تقرأ عليه بإشمام الهمز قليلاً^(١) .

(١) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٠) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٥٨ .

وهكذا كان لعاصم مذهبان : -

أولهما : تحقيق الهمز وهو المشهور الذى رواه عنه سائر الرواة .

ثانيهما : تسهيل الهمزة فى بعض المواضع ، وهو غير مشهور اختص بروايته الشمونى ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبى بكر . وإذا كنا قد عللنا للمذهب الأول فى يسر وسهولة ، حيث كان موافقاً لما عرف عن أشياخ عاصم وبيئاتهم فهل يمكن التماس التوجيه للمذهب الثانى؟؟

أولاً : وقبل البحث عن سر وجود التسهيل فى قراءة عاصم ، ينبغى أن نلفت النظر إلى أن الشمونى ، ومحمد بن غالب والأعشى ، وأبا بكر بن عياش ، من الثقات الضابطين وأن روايتهم فى غاية الصحة ، ولا يشك فيها ، وها هو ذا محمد ابن الجزرى يقول عن الشمونى : إنه «مقرئ ضابط ، مشهور ، وهو أجل أصحاب الأعشى وأحذقهم»^(١) ، ويقول عن محمد بن غالب : «مقرئ متصدر»^(٢).....

ويقول عن الأعشى : إنه أجل أصحاب أبى بكر ، قال أبو بكر النقاش عنه ، كان الأعشى صاحب قرآن وفرائض ، ولست أقدم عليه أحداً فى القراءة على أبى بكر ، وقد قرأ عليه القرآن مرتين^(٣) ، «أما أبو بكر بن عياش فما ظنك به وهو الذى قال له عاصم : «ألا تقرأ علىّ كما قرأ يحيى على عبيدة بن نضلة كل يوم آية»^(٤) ، وهو الذى «تعلم القرآن من عاصم خمسا خمسا كما يتعلم الصبى من المعلم وذلك فى نحو من ثلاثين سنة»^(٥)... لا شك أنه كان عالماً عاملاً وكان ثقة ، كيف لا وهو الذى لم يفرش له فراش خمسين سنة ، وختم فى زاويته ثمانى عشرة ألف ختمة^(٦)!!!

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) السابق ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٣) السابق ج ٢ ص ٣٩٠ .

(٤) السابق ج ١ ص ٤٩٨ .

(٥) سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح ص ١٣ .

(٦) لطائف الإشارات (المطبوع) ج ١ ص ١٠٣ وغاية النهاية ج ١ ص ٣٢٥ .

ثانياً : يبدو أن تسهيل الهمزة فى قراءة عاصم مرجعه أمران : -

أ- الأول : وهو يتصل بالبيئة الكوفية التى كانت محط رحال البدو من تميم وأسد وغيرهم ، وهؤلاء وإن كانوا يحققون الهمزة ، إلا أنهم كانوا يستسيغون تسهيل الهمزة الساكنة ، لجريانها على سنن واحد وقياس موحد فى التسهيل ، ولذا صح للفراء - كما ذكرنا عنه سابقاً - أن يقول عن تسهيل الهمز الساكن إنه لغة العرب جميعاً فيما عدا بنى تميم ، وإذا تجاوزنا الهمز الساكن فى تسهيل عاصم ، ونظرنا فى بقية ما يسهله ، وجدناه قليلاً ، على أنه يمكن التعليل له بأن عاصماً وقد كان من أسبق قراء العراق زمناً ، عاش فى فترة لم تكن القبائل البدوية النازلة قد تمت سيطرتها اللغوية فى الكوفة ، ولم تكن قد تناسلت وتكاثرت بحيث تؤثر فى ألسنة الناطقين ، وفى اختيار القراء تأثيراً كاملاً ، لذلك نفترض أن عاصماً تأثر بعض التأثير بالقراء الحجازيين الفاتحين ، ويظهر هذا التأثير من جعل أحمد بن حنبل قراءة عاصم تالية لقراءة أهل المدينة ، عندما سأله ابنه عبد الله « أى القراءة أحب إليك؟ قال : قراءة أهل المدينة ، فإن لم تكن فقراءة عاصم »^(١) ، فاقتران القراءتين فى ذهن أحمد ابن حنبل له أسبابه ، كالاتراك بينهما فى بعض مواضع التسهيل ، أو فى الفتح الذى هو ضد الإمالة ، لأن عاصماً كانت قراءته فى الفتح أقرب إلى قراءة أهل المدينة^(٢) ، « أوفى عد آيات المصحف فقد روى يحيى بن آدم عن أبى بكر قال : لم يكن عاصم يعد « ألم » آية ، ولا « حم » آية ، ولا « كهيعص » آية ، ولا « طه » آية ، ولا نحوها ، لم يكن يعد شيئاً من هذا آية ، قلت (أى قال ابن الجزرى) : وهذا خلاف ما ذهب إليه الكوفيون فى العدد^(٣) ، كل ذلك يوضح تأثر عاصم بقراءة أهل المدينة ، ويرجح ما افترضناه من تأثره بهم فى التسهيل .

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص ١٢١.

(٣) انظر السابق، وغاية النهاية ج ١ ص ٣٤٨.

ب- الأمر الثانى : وهو يتصل بشيوخ عاصم الذين أدوا إليه القراءة ، وهى - كما ذكرنا سابقاً تتصل بأبى عبد الرحمن السلمى ، الذى قال عنه عاصم : « ما أقرأنى أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمى »^(١) ، فهو ينتسب إلى قبيلة حجازية وولد فى حياة النبى ﷺ ، وأخذ القراءة عن عثمان وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبى بن كعب رضي الله عنهم وهؤلاء كلهم حجازيون أيضاً ، وكلهم أقام بالمدينة إقامة طويلة ، ولذلك يغلب على الظن أن التسهيل فى قراءة عاصم كان أثراً من آثار قراءة السلمى وشيوخه الحجازيين ، أما شيخاه الآخران فهما : زَرَّ بن حبيش الأسدى الكوفى^(٢) ، وأبو عمر الشيبانى الأسدى الكوفى^(٣) ، ومعلوم أن بنى أسد يحققون ويبالغون فى الهمز ، ومن هنا يمكن القول بأن التحقيق فى قراءة عاصم يرجع إلى هذين ، ويعتبر أثراً من آثار القراءة عليهم .

بقى سؤالان : لماذا اشتهر التحقيق دون التسهيل عن عاصم؟؟ ولماذا جاء التسهيل من طريق أبى بكر بن عياش ، ولم يأت من طريق حفص عن عاصم؟؟

الواقع أن عاصماً لم يخرج عن طريقة القراء فى أنهم كانوا يجمعون فى قراءاتهم وجوهاً كثيرة ، يقرئون بها من لم يستطع القراءة بغيرها ، وإلى جانب هذا يكون لهم اختيارهم الذى يميلون إليه ، لهذا نفترض أن عاصماً كان يجمع فى قراءته الهمز والتسهيل ، ثم اختار الهمز ، وقد يعين على مثل هذا التفسير أن شيخه أبا عبد الرحمن السلمى الذى نرجح أن التسهيل فى قراءة عاصم من آثاره مات سنة (٧٤هـ)^(٤) ، بينما امتد العمر بشيخه زَرَّ بن حبيش حتى سنة (٨٢هـ)^(٥) ، وبشيخه أبى عمرو الشيبانى حتى سنة (٩٦هـ)^(٦) ، فالأمر إذن يحتمل أن عاصماً كان قد عدل عن التسهيل بموت شيخه أبى عبد الرحمن ، واختار الهمز الذى كان مذهباً

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٤ .

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤١٣ .

(٦) السابق ج ١ ص ٣٠٣ .

(١) المفردات السبع ص ٣٣٣ .

(٣) السابق ج ١ ص ٣٠٣ .

(٥) السابق ج ١ ص ٢٩٤ .

لشيخه المعمرين ، وبذلك نفسر شهرة التحقيق دون التسهيل ، أما مجيء التسهيل من طريق أبي بكر فقط ، فذلك أمر يتصل بالطريقة التي تلقى بها أبو بكر عن عاصم حيث كان قد تعلم القرآن من عاصم خمساً خمساً ، كما يتعلم الصبي من المعلم ، وذلك فى نحو من ثلاثين سنة ، أو كما قال له عاصم : « ألا تقرأ على كما قرأ يحيى بن وثاب على عبيدة بن نضلة فى كل يوم آية » ، فهذه الطريقة تعنى أنه تلقى القراءة عن شيخه بأوجه كثيرة ، بل بكل ما يعرف شيخه من قراءات التسهيل والتحقيق وغيرهما ، (ولذلك قدّم الشاطبى وأكثر المؤلفين شعبة لكونه كان عارفاً بالقراءات والحديث وقدم صاحب التيسير حفصاً لكونه كان أتقن لقراءة عاصم (أى التى كان يختارها) ^(١) ، والله أعلم .

* * *

٧- الإمام حمزة

كان الإمام حمزة يصل القراءة بتحقيق الهمزة المفردة والهمزتين المجتمعين بجميع أنواعهما ، ويمكن تعليل ذلك عن طريق النظر فى بيئته وشيوخه أيضاً ، أما بيئته فنعرفها مما قيل فى ترجمته من أنه « أبو عمارة الكوفى التميمى » مولاهم وقيل من صميمهم ، الزيّات ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة (٥٨هـ) وأدرك الصحابة بالسن ، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم ^(٢) ، فهو من تابعى التابعين ، انتهت إليه القراءة بعد عاصم ، وتوفى بحلول (١٥٤هـ) أيام المنصور أو المهدي قاله الجعبرى ، وقال ابن الجزرى (١٥٦هـ) على الصواب ، وقدم على الكسائى لأنه شيخه . ^(٣)

أما شيوخ حمزة : فهم سليمان الأعمش ، وحمران بن أعين ، وأبو إسحاق السبيعى ، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، وطلحة بن مصرف ، ومغيرة

(١) الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص ٧٢ .

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٢٦١ .

(٣) لطائف الإشارات ورقة (٣٣) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٧ .

ابن مقسم ، ومنصور ، وليث بن أبي سليم ، وجعفر بن محمد الصادق ، وهؤلاء كلهم - فيما عدا جعفر الصادق - كوفيون^(١).

وإذن كان من المؤلف وهذه البيئة وهذا النسب وهؤلاء الشيوخ أن يكون لحمزة مذهبه الذي ذكرناه في تحقيق الهمزة حال الوصل ، أما في حال الوقف فله مذهب آخر سوف نذكره ونعلل له قريباً إن شاء الله تعالى ، ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن ما روى عن أحمد بن حنبل وعبد الله بن إدريس من كراهة قراءة حمزة لِمَا فيها من الإفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف ، محمول على قراءة من سمعا منه ، وما آفة الأخبار إلا رواها ، إذ كيف يكون ذلك وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه ، ويقول لمن يفرط عليه في المد والهمز لا تفعل ، أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق الجعودة فهو ققط ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة!! لا يمكن أن يتأتى ذلك وقد قيل عنه : ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر^(٢).

* * *

٨ - الكسائي

هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم^(٣) . توفي سنة (١٨٩هـ) عن سبعين سنة ، كان إذا قرأ أو تكلم ، كأن ملكاً ينطق على فيه ، وكان يجلس على منبر بالكوفة ، ويقرأ فتضبط المصاحف بقراءته ، وتؤخذ الألفاظ منه^(٤) ، وكانت مادة قراءته من قراءة حمزة بن حبيب الزيات ، لأنه سلك فيها طريقه ، واقتفى بآثاره ، ولم يخالفه إلا في أحرف يسيرة ، رواها بإسناده عن النبي ﷺ من

(١) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٣١٥ ، ٢٦١ ، ٦٠٢ ، ج ٢ ص ١٦٥ ج ١ ص ٣٤٣ ، ج ٢ ص ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣٤ ، على الترتيب .

(٢) راجع السابق ج ١ ص ٢٦٣ .

(٣) السابق ج ١ ص ٥٣٥ .

(٤) لطائف الإشارات ورقة (٣٣) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٧ .

أصحابه^(١) ، قال أبو عبيد فى كتاب القراءات كان الكسائى يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً ، وكان من أهل القراءة ، وهى كانت علمه وصناعته ، ولم يجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه^(٢) ، « انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات^(٣) ، ثم إنه لما عرض على حمزة خرج إلى البدو ، وشافه العرب وأقام عندهم ، حتى صار كواحد منهم ، ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة^(٤) .

وأما شيوخه غير حمزة فهم كثيرون منهم محمد بن أبى ليلى ، وعيسى بن عمر ، وأبو بكر بن عياش ، والمفضل بن محمد الضببى ، والأعمش وهؤلاء كلهم كوفيون^(٥) ، إذن فما ظنك برجل نشأ بالكوفة ، وتربى فى أحضان بنى أسد ، وخرج إلى البدو وشافهم ، وتلمذ على شيوخ عاشوا فى بيئة الهمز ، لا بد أن يكون كما قال عنه شيبه بن مهران : كان الكسائى صاحب همز شديد ، وتحقيق فى القراءة^(٦) .

* * *

خلاصة هذا الفصل :-

إذا كنا قد انتهينا فى الفصل الثانى - الذى عرضنا فيه للقبائل العربية بين الهمز والتسهيل - إلى أن القبائل الحجازية هى التى تسهل ، وأن القبائل البدوية هى التى تهمز ، وإلى أن ما جاء مخالفاً لتلك القاعدة يكون من باب التأثير بلهجات الغير ، أو من باب تقارض اللهجات . . . إذا كنا هنالك قد انتهينا إلى ذلك ، فإن هذه

(١) المفردات السبع ص ٣٥٧.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٨.

(٣) السابق ج ١ ص ٥٣٥.

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٨.

(٥) انظر السابق ج ٢ ص ١٦٥ ، ج ١ ص ٦١٢ ، ج ١ ص ٣٢٥ ، ج ٢ ص ٣٠٧ ، ج ١ ص ٣١٥ ، على الترتيب.

(٦) المفردات السبع ص ٣٥٠.

النتيجة تتأكد فى هذا الفصل الذى درسنا فيه قراءات القراء بين الهمز والتسهيل ، حيث وجدنا أن القراء يمثلون بيئاتهم التى عاشوا فيها تحقيقاً وتسهيلاً وأن ما كان من مخالفة عند أحدهم لما هو شائع فى بيئته ، فإنما هو أيضاً لتأثره بما هو حادث فى بيئة أخرى ، وطريق التأثير هنا وهناك كان هو الامتزاج والاختلاط بالبيئة الأخرى ، وذلك واضح من تأثر ابن كثير بقراء العراق لما اختلط بهم ، وأقام بينهم مدة ، ومن تأثر أبى عمرو وعاصم ببعض الشيوخ الحجازيين ، وسوف يتضح هذا التأثير أكثر فى وقف حمزة وهشام ، وذلك ما سوف ندرسه فى الفصل المقبل إن شاء الله تعالى .

الوقف على المهموز فى ضوء رسم المصحف

تمهيد فى تاريخ رسم الهمزة :

لقد عرف صوت الهمزة فى وقت جد مبكر ، يبدأ مع ظهور الأبجدية العربية الأولى (أبجد ، هوّز ، حطى ، كلمن) ، حيث كان الصوت الأول فيها هو صوت الهمزة ، غير أن اسم الهمزة لم يكن معروفاً ، فلم يكن علماً عليها ، وإنما كانت تسمى بما كانت تلقب به فى اللغات السامية ، فكانت تعرف بالألف .

وهذا الاسم يرجع إلى اسم الحرف فى اللغات الكنعانية الآرامية ، فهو بالعبرية (=أليف Alef) بإمالة حركة اللام ، وفى السريانية (=آلف alaf) وفى الأثيوبية (=ألف olf) ، وفى اليونانية (=ألفا olfa) ^(١) ، وهو فيها جميعاً صوت احتباسى ، والقول بأنه أخذ يضعف فى الآرامية ، حتى فقد كل قيمته الصوتية كساكن ^(٢) ، لا يصدق على الألف التى تقع فى أول الكلام ، وربما لا يصدق أيضاً على كل الألفات فى أواسط الكلمات وأواخرها ^(٣) .

ولما بدأ العرب يكتبون لغتهم استعملوا الخط الآرامى فى بداية القرن الثالث الميلادى ^(٤) ، والذى يظهر أنهم لم يكونوا يعرفون للهمزة اسماً إلا (الألف) ، ولا رسماً إلا الرمز (ألف = ا) ، « وخلاصة القول هو أن حروف الهجاء العربية الحالية اقتبسها الحجازيون من الحروف النبطية المشتقة بدورها من الحروف الآرامية المنحدرة من الحروف السريانية ، التى ينتهى أصلها كسائر الحروف

(١) معجم فيشر - مقدمته ونموذج منه ص ٣٩ - مطبعة الرسالة ١٩٥٠م.

(٢) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ١٧ نقلاً عن جان كانتينو ص ٧٦.

(٣) راجع دراسة فى الصيغ العربية ص ٣٤ ، ٣٥ ج ١.

(٤) انظر قبل السابق ص ١٨ ، وانظر ابن جنى اللغوى ص ٤٠٧.

الهجائية إلى الحروف الفينيقية ، أم حروف الهجاء المختلفة جميعها ، ويمكن القول بأن باكورة رسم الحروف العربية ، بدأت تظهر فى أول القرن الرابع الميلادى ، مع نشأة اللغة العربية العدنانية لغة القرآن^(١) .

المهم أن العرب قبل الإسلام كانوا ينطقون بالهمزة ويلقبونها بالألف ويرسمونها على الصورة الموجودة فى أول (ابجد) دون أية علامة فوقها أو تحتها ، « فكانت الألف رمز الهمزة فى جميع الحالات ، سواء أكانت مسبوقة بضمة أو بكسرة أو بفتحة أو بسكون ، فكانوا يكتبون (سال ، وذاب ، وسال ، وملا ...) »^(٢) فى سؤال وذنب ، وسأل ، ملء ، « وجعل الألف رمزاً للهمزة فى كل حالة إنما هو طريقة آرامية ، . . . ففى الآرامية (ملاك) كانت تنطق (ملأك) لأن الألف فيها إشارة إلى الهمزة ، هذا إلى جانب استعمال الألف فتحة ممدودة ، إلا أن ذلك مقصور فى الآرامية على أواخر الكلمات ، أما إذا جاءت الألف فى وسط الكلمة فإنها ترمز إلى الهمزة ، ولو كانت الكتابة العربية فى عهد رسول الله ﷺ تتوخى الدقة ، وتمشى على قواعد واضحة محددة ، لرأينا أنها تتمشى مع الكتابة الآرامية حذوك القذة بالقذة ، ولولا ما وجدناه من أن رسم القرآن يستعمل الألفات أحياناً فى أواسط الكلمات للدلالة على الفتحة الممدودة ، لكان رسم القرآن منطبقاً على الطريقة الآرامية تمام الانطباق »^(٣) .

وإلى ظهور مثل هذا التخالف بين العربية والآرامية ، يمكن أن يمثل رسم الهمزة مرحلة معينة فى تاريخ كتابتها ، وكل ما يجب أن نعرفه عنها فى هذه المرحلة هو ما يأتى :

- أ- الهمزة صوت احتباسى فى اللغة العربية ، وفى اللغات السامية .
ب- الهمزة مصطلح لم يعرف لدى العرب قديماً ولا عند غيرهم من الساميين فكان يطلق عليه الألف .

(١) نحو أبجدية جديدة لعثمان صبرى ص ٧٤ - الأنجلو المصرية ١٩٦٤م .

(٢) المدخل إلى دراسة النحو العربى د. عبد المجيد عابدين ص ١٣١ .

(٣) المدخل إلى دراسة النحو العربى د/ عبد المجيد عابدين ص ١٣٣ .

- ج- الهمزة كانت ترسم ألفاً عارية من أى علامة فى جميع الحالات .
د - رسم الهمزة على صورة الألف طريقة آرامية أخذها العرب عن الأنباط^(١) .
هـ - الكتابة العربية أخذت من الخط الآرامى طريقة استعمال الألف همزة وحركة مد^(٢) .

* * *

أما المرحلة الثانية فى تاريخ رسم الهمزة ، فتبدأ مع قصة اللهجة القرشية من يوم أن كانت لهجة خاصة لقريش ، حتى تم لها الذبوع والانتشار قبيل ظهور الإسلام ، إذ لا يبعد - بل من المناسب جداً - أن يكون نضوج اللهجة المنطوقة قد صحبه نضوج مماثل فى رسمها وكتابتها ، وإذا كانت القبائل العربية قد وجدت فى اللهجة القرشية نموذجاً عالياً للغة المشتركة ينبغى أن يحتذى ، فلا ريب فى أنها وجدت فى طريقة الكتابة لديهم نموذجاً آخر يجب أن يتبع ويسار عليه ، وهذا الذى نقوله ليس افتراضاً ، بل « مكة بما هى بلد تجارى » ، كانت الكتابة فيها تجد من يعنى بها ضبطاً للأعمال التجارية ، التى يعرف امتدادها إلى المناطق التى وصلت إليها رحلات قريش فى الشتاء والصيف ، ومن هنا كان ما يروى من وجود رجال كاتبين فى مكة ، بل من وجود نساء كاتبات ، فإن السيدة حفصة زوج الرسول عليه السلام مثلاً ، كانت تعرف الكتابة^(٣) ، « لكن مهما قيل فى نضوج الإملائية العربية » عند قريش ، ينبغى أن يعلم أنها « لم تستقر على وجه التمام ، مما يكون معه على جانب كبير من البدهاة تقدير وجود إملاءات قبلية مختلفة اختلافاً بينا بصورة غير يسيرة »^(٤) .

وخير النماذج التى يمكن أن نستدل بها على كيفية رسم الهمزة فى تلك المرحلة ، هو النموذج القرآنى ، باعتباره أقدم النماذج العربية الصحيحة التى وصلت إلينا ، ونحن نعرف أن الرسم القرآنى بدأ به كتاب الوحي على نحو ما كان

(١) انظر فلسفة اللغة العربية وتطورها لجبر جومط ص ٦١ وما بعدها للتعرف على الصلة بين العرب والأنباط فى شبه الجزيرة العربية.

(٢) المدخل إلى دراسة النحو العربى ص ١٣٣ . (٣) دائرة معارف الشعب المجلد الأول ص ١٣ .

(٤) مقدمة لدرس لغة العرب للأستاذ عبد الله العلايلى ص ٣٩ .

ينطق به رسول الله ﷺ ، دون أن يتدخل فى طريقة الكتابة ، لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكتاب الوحي كمعاوية وزيد بن ثابت ، والذين بلغ عددهم إلى بضع وعشرين شخصاً^(١) ، والمملى عليهم صلوات الله وسلامه عليه ، كانوا جميعاً حجازيين ، وفى الغالب قرشيين ، وقبائل الحجاز ومنها قريش ، لم تكن تهمز فى كلامها ، كما عرفنا من قول الإمام على بن أبى طالب : نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبريل نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا ، لذلك وجدنا أثر اللهجة الحجازية القرشية واضحاً تمام الوضوح فى الكتابة بوجه عام ، وفى رسم الهمزة بوجه خاص ، فيما كتبه كتاب الوحي ، وفى كتابة الصحف^(٢) ، ثم المصاحف القرآنية^(٣) ، لأنهم - كما قال ابن الجزرى - كتبوا المصاحف على لفظ لغة قريش ، والعرضة الأخيرة ، وما صح عن النبى ﷺ واستفاض دون ما كان قبل ذلك ، مما كان بطريق الشذوذ والآحاد ، من زيادة ونقصان وإبدال وتقديم وتأخير وغير ذلك ، وجردوا المصاحف من النقط والشكل لتحتمل صورة ما بقى من الأحرف السبعة ، كالإمالة والتفخيم والإدغام والهمز والحركات وأضداد ذلك مما هو فى باقى الأحرف السبعة غير لغة قريش^(٤) .

(١) دائرة معارف الشعب المجلد الأول ص ١٣ .

(٢) الصحف هى مجموع الألواح التى كتبها زيد بن ثابت لأبى بكر الصديق ، وظلت عنده حتى مات ، ثم عند عمر حتى مات ، ثم عند حفصة زوجة الرسول ، إلى أن أمر عثمان بنسختها فى مصحف واحد . انظر المقنع لأبى عمرو الدانى (ص ٣ ، ص ٤) .

(٣) المصاحف جمع مصحف ، وهى كلمة حبشية الأصل قربتها إلى المسلمين الأخوة اللغوية بين العربية والحبشية فى الأسرة السامية ، والصلة الطيبة بين طلائع المسلمين والحبشة حين وجدوها مهاجرين لهم ومنجاة من الاضطهاد انظر (دائرة معارف الشعب ص ١٨ ، ص ٢٠ من المجلد الأول) . أما نساخ المصاحف فهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عباس ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (انظر المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأنصار لأبى عمرو الدانى ص ٤) .

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزرى ورقة (١١) مخطوط بدار الكتب المصرية . وقارن مع المطبوع ص ١١٠ ، ١١١ .

الهمزة فى رسم المصحف :-

عقد أبو عمرو الدانى بابا فى كتابه «المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار بعنوان (باب فى ذكر الهمزة وأحكام رسمها فى المصاحف) وملخصه كالآتى :-

١- الهمزة الساكنة تقع من الكلمة وسطاً وطرفاً ، وترسم فى الموضعين بصورة الحرف الذى منه حركة ما قبلها ، لأنها به تبدل فى التخفيف ، فإن كانت الحركة فتحة رسمت ألفاً نحو البأس والبأساء ، والضأن ... ، وإن كانت كسرة رسمت ياء نحو أنبيهم ، ونبتنا ، وجئت ، وشئت ... ، وإن كانت ضمة رسمت واواً ، نحو المؤمنون ، والمؤتون ، ويؤفكون ...^(١) ، وقد تخلف هذا الضابط فى أربعة أحرف ، حيث حذفت منها صورة الهمزة الساكنة ، وهى كما قال الخراز^(٢):

والحذف فى الرؤيا وفى اداراتم والحلف فى امتلئت واطمأننتم وزاد أبو عمرو الدانى «تؤوى إليك» و«التى تؤويه» حيث اتفقت المصاحف على حذف الواو التى هى صورة الهمزة منهما^(٣) . والعلة فى حذف صورتها من هذه الكلمات هى الدلالة على تحقيقها ، كما ذكر أبو عمرو فى نفس الموضع .

٢- الهمزة المتحركة التى تقع ابتداء ، ترسم ألفاً لا غير ، لأنها لا تخفف رأساً نحو أمر ، وأخذ ، وأحمد ، وأيوب ، وإبراهيم ... ، وكذلك حكمها إن اتصل بها حرف دخيل زائد ، نحو سأصرف ، فبأى ، أفأنت ، بأنه ، كأنه ...^(٤) ، وقد يعتبر الحرف الزائد كأنه من أصل الكلمة ، وحينئذ ترسم الهمزة كما لو كانت فى وسط الكلمة مثل (لئن ، لثلا ، أنفكا ، يومئذ ، أئن ، أئنكم ، حينئذ ، أئن ، أئنا ، أئمة ، أئذا ، هؤلاء ، يئنؤم ، أؤنبئ)^(٥) والرسم بالواو ، أو بالياء فيما سبق . «على مراد الوصل والتلين»^(٦) .

(١) المقنع لأبى عمرو الدانى ص ٥٩ .

(٢) منظومة مورد الظمان فى رسم القرآن ص ٢٠ (البيت ٣٠٠) .

(٣) المقنع ص ٣٦ .

(٤) السابق ص ٦٠ .

(٥) انظر منظومة مورد الظمان البيت رقم (٢٩٣ : ٢٩٦) . (٦) انظر المقنع ص ٥٥ ، ٥٩ .

٣- الهمزة المتوسطة المتحركة وما قبلها متحرك ، ترسم بصورة الحرف الذى منه حركتها دون حركة ما قبلها ، ما لم تنفتح وينكسر ما قبلها أو ينضم ، فإنها تصور بصورة الحرف الذى منه تلك الحركة ، دون حركتها ، لأنها به تبدل فى التخفيف فترسم مع الكسرة ياء ، ومع الضمة واواً ، وكذلك قد ترسم المضمومة التى قبلها كسرة بالياء نحو (أؤنبثكم ، ولاينبثك ، وسنقرئك وشبهه^(١)) ، وذلك أيضاً على مراد التسهيل ؛ لأنها تصير فيه إلى ما يقرب من حرف حركتها ، أو إلى حرف حركة ما قبلها ، كما ذكرنا فى الفصل الأول . وقد خرج عن ضابط رسم تلك الهمزة كلمات حذفت منها الهمزة وهى : (لأملأن حيث وقع ، واطمانوا بها فى يونس واشمازت فى الزمر)^(٢) .

٤- الهمزة المتوسطة المتحركة ، إن سكن ما قبلها ، وكان حرف صحة أو حرف علة غير ألف ، لم ترسم خطأ ، لأنها تذهب من اللفظ إذا خففت بالنقل أو بالبدل نحو (نسأل ، بجأرون ، هنيئاً مريئاً ، سواتكم ، شيئاً . . .)^(٣) ، وقد خرج عن هذا الضابط بضع كلمات وهى (تبوء ، السوءى ، تنوء ، النشأة) فصورت بالألف ، واختلف فى (يسألون) ، حيث جاءت مصورة بالياء ، وجاءت (موثلاً) بالياء أيضاً^(٤) . وسنقف على علة هذا الخروج فيما بعد .

٥- أما إذا كان الساكن قبل الهمزة المذكورة ألفاً ، فإنها ترسم واواً ، إن كانت مضمومة ، وياء إن كانت مكسورة ، نحو (أباؤكم وأبناؤكم ، من آبائكم ، إلى نسائكم ، إلى أوليائكم . . .)^(٥) ، أما إن كانت الهمزة مفتوحة ، أو مكسورة وبعدها ياء ، أو مضمومة وبعدها واو ، لم تصور خطأ ، لثلا يجمع بين صورتين ، وذلك نحو (أبناءنا ، إسرائيل ، يراؤون)^(٦) . . . ، قال أبو عمرو الدانى : والمراد بحذف صورة الهمزة فى ذلك ونظائره تحقيقها ، لاستغنائها فى تلك الحالة عن الصورة ، ولعدم الحرف الذى تخفف عليه رسماً^(٧) .

(١) المقنع ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) السابق ص ١٦ .

(٣) المقنع ص ٦٢ .

(٤) المقنع ص ٣٨ .

(٥) المقنع ص ٢٦ .

(٦) انظر منظومة الخراز البيت رقم (٢٩٩ : ٣٠٢) .

(٧) السابق ص ٣٧ .

٦- الهمزة المتطرفة إذا تحرك ما قبلها صورت بصورة الحرف الذى منه تلك الحركة لأنها به تخفف ، فإن سكن ما قبلها - حرف سلامة كان الساكن أو حرف مد ولين - لم ترسم خطاً لذهابها من اللفظ إذا خففت^(١).

وقد تخلف هذا الضابط فى مجموعة من الهمزات المتطرفة حيث جاءت مصورة بالواو وبعدها ألف ، وهى (علماؤا ، والعلماءوا ، والضعفاؤا ، ويبدؤا ، ينشؤا ، شفعاؤا ، يعبؤا ، البلاؤا ، أنباؤا (حيث وقعت) . وجزاؤا فى الموضعين الأولين من سورة المائدة ، وفى سورة الشورى ، وبخلاف فى الحشر والكهف ، وطه ، والزمر ، والملؤا فى الموضع الأول من سورة المؤمنين ، وفى سورة النمل . وتفتؤا ، وبرءؤا حيث وقع . ودعاؤا فى غافر ، والدخان . وبلاؤا ، ويتفيؤا ، وينبؤا ، ونبؤا فى سورة التوبة . وفيكم شركاؤا . ويدرؤا . شركاؤا شرعوا . وتظمؤا ، أتوكؤا ، وما نشاؤا فى هود . أنباؤا بخلاف وأنباؤا فى الشعراء بخلاف ينبؤا فى القيامة) ، وهذه كلها فى رسم المصحف ليس قبل الواو فيها ألف^(٢) .

وهكذا كانت ترسم الهمزة فى المصاحف العثمانية ، التى كتبت فى سنة (٢٥هـ) كما قال الرافعى^(٣) ، أو فى سنة (٣٠هـ) كما قال جورجى زيدان^(٤) ، ويلاحظ أن المصاحف كتبت بالخط الكوفى أو الحيرى ، المتولد عن الخط المصرى القديم ، فى حلقات من التطور من الخط الفينيقي والخط الآرامى وغيرها ، ولم يكن فى حروف هذا الخط (الكوفى أو الحيرى) نقط تميز ما تشابه من أشكال حروفه ، كما لم تعرف الكتابة العربية الشكل الضابط ، وظلت المصاحف زمنًا غير منقوطة ولا مشكولة^(٥) . وإلى ظهور نظام النقط فى المصاحف ، تكاد تنتهى هذه المرحلة فى تاريخ رسم الهمزة لتبدأ مرحلة جديدة يلعب فيها النقط دوراً كبيراً فى تصوير

(١) المقنع ص ٦٢.

(٢) انظر منظومة الخراز الأبيات (٣١٠ : ٣٢٢).

(٣) تاريخ آداب العرب ج ٢ ص ٢١.

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٢٦ طبعة دار الهلال ١٩٥٧م.

(٥) دائرة معارف الشعب ص ٢٥ (مادة القرآن الكريم بالمجلد الأول).

الهمزة المحققة والهمزات المسهلة ، وقبل أن نترك الحديث عن هذه المرحلة ، يجدر بالقارئ أن يضع يده على الأمور التالية :

١- أن اللهجة القرشية ظهرت بوضوح فى رسم المصاحف العثمانية ، ولا سيما فى رسم الهمزة على الصورة التى قدمناها ، حتى أصبح من الممكن أن نتخذ من ذلك الرسم مرجعاً مادياً ، وتاريخياً ، للتعرف على لهجة قريش فى الهمز والتسهيل ، وها هو ذا يوهان فك يقول : «فها هى ذى قواعد رسم المصحف تدل على أن مكة قد تحررت من تحقيق الهمزة»^(١) .

٢- الهمزة التى هى صوت احتباسى صارت مقصورة على أوائل الكلمات غالباً ، أما فى غير الأوائل ، فقد صارت قريبة من أصوات اللين فى بعض المواضع ، وتحولت إليها فى البعض الآخر .

٣- رسمت الهمزة فى أوائل الكلمات ألفاً عارية من أية علامة ، وكان ذلك بصفة دائمة ، أما فى غير الأوّل فكانت ترسم ألفاً عارية أو واواً عارية أو ياء عارية ، تبعاً لحركتها أو لحركة ما قبلها ، وأحياناً كانت تسقط من الرسم لسقوطها من اللفظ ، ولم يكن ذلك بصفة دائمة كما عرفنا .

٤- وفى هذه المرحلة بدأ مصطلح الهمزة يظهر على بعض الألسنة المتحضرة ، كما يؤخذ من قول على بن أبى طالب (نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ولولا أن جبريل نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا) ، وعلى ذلك «يمكن أخذ هذا النص على أنه يمثل بداية الانتقال من الاستعمال القديم وهو النبر إلى الاستعمال الجديد وهو (الهمزة) الذى تأكد وأصبح مقررّاً بابتكار الخليل له رمزاً مستقلاً»^(٢) ، أما بالنسبة للأعراب فقد ظل مجهولاً لديهم ، وقد قدمنا ما يدل على ذلك فى أول صفحات هذا البحث .

(١) العربية دراسات فى اللهجات والأساليب ص ٤ طبعة الخانجي سنة ١٩٥١م .

(٢) دراسات فى علم اللغة د/ كمال بشر ج ١ ص ٦٢ .

الوقف على المهموز فى ضوء رسم المصحف :

نود أن نلفت النظر إلى أن الوقف بتسهيل الهمزة المتطرفة اختص به الإمام حمزة ، ورواه أيضاً هشام عن ابن عامر ، أما الوقف بتسهيل الهمزة المتوسطة فقد انفرد به الإمام حمزة وحده ، ولم يرد إلا من طريقه ، ونريد للقارئ أيضاً أن يعرف أن حمزة كان له مذهبان فى الوقف بتسهيل الهمزة :

أولهما : مذهب تصريفي يجرى فيه على ما أصله النحويون بعد ذلك من قواعد فى تسهيل الهمزة .

ثانيهما: مذهب يتبع فيه رسم المصحف إذا ما أراد الوقوف على الهمزة ويسمى بالمذهب الرسمي ، أى نسبة إلى رسم المصحف العثماني ، وهذا المذهب الأخير قيده أبو عمرو الداني والشاطبي وجماعة من المتأخرين بشرط صحته فى العربية ، فكان يبدل الهمزة بما صورت به ، فما صورت فيه ألفاً يبدله ألفاً وما صورت فيه واواً يبدله واواً ، وما صورت فيه ياء يبدله ياء ، وما لم تصور فيه يحذفها .

واعلم أنه تارة يوافق الرسم القياس ولو بوجه فيتحد المذهبان ، وتارة يختلفان ويتعذر اتباع الرسم ، كما إذا كان قبل الألف التى هى صورة الهمزة ساكن نحو (السواى) فإنه لا يجوز القراءة به ، لمخالفته للغة ، وعدم صحته نقلاً ، فإن كان فى التخفيف القياسى وجه راجح وهو مخالف ظاهر الرسم ، وكان الوجه الموافق ظاهره مرجوحاً قياساً ، كان هذا أعنى المرجوح هو المختار عندهم ، لاعتضاده بموافقة الرسم^(١) . وسوف نشير إلى بعض ذلك أثناء العرض .

أولاً : الهمزة المتطرفة :

روى عن هشام من طريق الحلواني ، وعن حمزة من طريقه ، أنهما كانا يقفان بتسهيل الهمزة الساكنة والمتحركة إذا وقعت طرفاً فى الكلمة ، ويصلان بتحقيقها ، وكيفية التسهيل كالآتى :

(١) انظر النشر ج ١ ص ٤٥١ ، وانظر الإضاءة فى أصول القراءة للشيخ الضبّاع ص ٨٧ ، ٨٨ .

١- الهمزة الساكنة ولا يكون ما قبلها إلا متحركاً : وهذه كان هشام وحمزة يقفان عليها بإبدالها حرفاً من جنس حركة ما قبلها ، فيبدلانها ألفاً في نحو (اقرأ ، أم لم ينبأ ، إن يشأ ...) ويبدلانها ياء في نحو (نبئ عبادى ، وهبي لنا ...) ولو أتى في القرآن ما قبلها مضموماً لأبدلاها واواً^(١).

ونلاحظ هنا أن النحويين لم يذكروا حكم الوقف على الهمزة الساكنة المتطرفة فى باب الوقف^(٢) ، ولكن يبدو أنهم اكتفوا بما ذكروا لها من أحكام فى حال الوصل ، وسكوتهم يعنى أن من يحققها فى حال الوصل يحققها فى حال الوقف ، ومن يسهل هناك يسهل هنا أيضاً دون اختلاف فى كيفية التسهيل ، وعلى ذلك يمكن أن نقول إن الوقف بتسهيلها هو مذهب أغلب العرب من الحجازيين وغيرهم ، بناء على أنهم كانوا يفعلون ذلك فى حال الوصل ، وحال الوقف أولى ، لكونها محل استراحة المتكلم والقارئ ، ونلاحظ أيضاً أن هذا النوع من الهمز جاء فى المصحف مرسوماً على حركة ما قبله كما سبق ، فلا خلاف إذن بين أن يكون حمزة متبوعاً فى تسهيله مذهب التصريفيين أو متبوعاً مذهب الرسمى الذى يراعى فيه رسم المصحف .

٢- الهمزة المتطرفة المتحركة المتحرك ما قبلها : وهى كما سبق ترسم على حرف حركة ما قبلها إلا ما شذ ، وقد كان حمزة وهشام فى المذهب المشهور يبدلانها - فى غير ما شذ - حرفاً من جنس حركة ما قبلها فى جميع وجوها وحركاتها ، فتبدل ألفاً فى مثل (ذراً ، بدأ) وتبدل ياء فى مثل قرئ ، من شاطئ ... ، وتبدل واواً فى مثل إن امرؤ كأمثال اللؤلؤ ...^(٣) ، وهذا التسهيل أيضاً لا فرق بين أن يكون تصريفيّاً أو متبوعاً فيه رسم المصحف ، ونلاحظ أن الوقف بالتسهيل على هذا الوجه هو لغة أهل الحجاز ، فهم الذين يقولون فى الوقف على الحبا ، والأكمؤ وأهنئ : الحبا ، والأكمو ، وأهنئ فى جميع الحالات ، دون روم أو إسمام^(٤).

(١) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٢) بتصرف - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) راجع باب الوقف على المهموز فى سيبويه وشرح المفصل، وشرح الرضى على الشافىة.

(٣) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٢) بتصرف - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٦٥ .

(٤) راجع سيبويه ج ٤ ص ١٧٩ .

أما الهمزات التي جاءت من هذا الضرب مرسومة في المصحف على حروف حركاتها نحو (تفتؤا ، تظمؤا ...، من نبأئ المرسلين ...، فكانا يبدلأنها في الوقف حرفاً من جنس حركة ما قبلها ، اتباعاً للمذهب التصريفي ، أو يبدلأنها حرفاً من جنس حركتها أي واوا ساكنة أو ياء ساكنة ، مراعاة لرسمها في المصحف ، وقد حكى أبو عمرو الداني هذين الوجهين عن شيوخه ، أما هو فكان يختار الوجه الثاني منهما ، وهو عنده أولى من جهتين :

الأولى : أن أبا هشام وخلفا رويَا عن حمزة نصاً أنه كان يتبع في الوقف على الهمزة خط المصحف فدل ذلك على أن وقفه كان بالواو وبالياء على رسمه ، دون الألف لمخالفته إياه .

الثانية : أن خلفاً قد حكى ذلك عن حمزة منصوفاً ، حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثنا إدريس عن خلف ، قال : كان حمزة يشم الياء في الوقف ما كان فيه ياء ، مثل من نبأئ المرسلين ، تلقائ نفسى وروى محمد بن الجهم عن خلف عن سليم عن حمزة أنه كان يقف على يعبؤا ، وتفتؤا والملؤا ويدرؤا . . . بالواو من غير إشارة إلى الهمزة .

ثم قال أبو عمرو : ومع هاتين الجهتين ، فإن إبدال الهمزة بالحرف الذي منه حركتها دون حركة ما قبلها في الوقف خاصة في نحو ذلك ، لغة معروفة حكاها سيبويه وغيره من النحويين ، يقصد لغة من يقول هو الكَلَوُ ، من الكَلَى ، ورأيت الكَلَا ، قال أبو عمرو : وهم الذين يحققون في الوصل فوجب استعمال هذه اللغة في مذهب هشام وحمزة في الكلم المتقدمة ، لأنهما أهل التحقيق في الوصل ، كالعرب الذين جاء عنهم ذلك^(١) .

وعلى ذلك يكون حمزة في مذهبه التصريفي موافقاً لهجة أهل الحجاز ، وفي مذهبه الثاني (الرسمي) موافقاً لهجة غيرهم^(٢) . وبالمناسبة نُذَكِّرُ بأن لغير أهل

(١) راجع جامع البيان في القراءات السبع ورقة (١٠٣) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٦٨ .

(٢) راجع سيبويه ج ٤ ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

الحجاز وجوها أخرى فى الوقف على هذا اللون من الهمز ، وهى الوقف بالهمزة مع إخلاص الإسكان ، أو مع الإشمام ، ولا يكون إلا فى المرفوع ، أو مع الروم ، وهو يدخل المرفوع والمنصوب والمجرور^(١) .

٣- الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها وهو أصلى : وسواء كان الساكن صحيحاً أو واواً أو ياء نحو المرء ، وجزء ، يضىء ، والمسىء ، ومطر السوء ، فإن حمزة وهشاماً كانا يقفان عليه بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وإسقاطها من اللفظ ، كما هو القياس فيها حال الوصل ، وقد أجاز بعض العلماء فى الواو والياء البدل والإدغام ، حملاً للأصلى على الزائد ، وقياساً على ما حكاه ابن واصل وأبو أيوب الضبى عن أصحابهما عن حمزة من الوقف على قوله (شيئا ، كهياة الطير) بالتشديد ، بل إن الضبى روى عن أصحابه الوقف على ﴿لَيْسْتُمْو﴾ (الإسراء: ٧) بتشديد الواو ، فدل على إجراء القياس فى نظائره ، والنقل أوجه وأقيس^(٢) .

ونلاحظ هنا أن التسهيل التصريفى موافق لرسم المصحف فيما لم يشدّ عن قاعدة رسمه وهى الحذف ، أما ما شدّ فصورته الهمزة فيه على الألف نحو (تبوأ لتنوأ...) فالوقف عليه تصريفى لا غير ولا يجوز سواه ، ونلاحظ أيضاً أن النحويين لم يذكروا فى باب الوقف إلا ما كان قبله ساكن صحيح نحو البُطء ، والرّدء ، وخلاصة ما ذكره فيه ، أن أهل التحقيق (وهم غير أهل الحجاز) يقفون عليه بالهمز مع إخلاص الإسكان ، أو مع الإشمام أو مع الروم ، وقالوا إن بعض تميم وأسد يلقون على الساكن الذى قبل الهمزة حركة الهمزة وبيقونها ساكنة دون روم أو إشمام ، فيقولون : هذا البُطُوء والرّدء ، ورأيت البُطُوء والرّدء ، ومررت بالبُطُوء والرّدئ . ولما كان بعض تميم يكرهون وزن فِعْل وفُعِل مما سبق ، عدلوا عن نقل حركة الهمزة إلى إتباع حركة العين للفاء فقالوا : البُطُوء والرّدئ فى جميع الحالات

(١) راجع سيبويه ج ٤ ص ١٧٨ .

(٢) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٣) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

مع إخلاص الإسكان أو مع الروم والإشمام . وبعض العرب يقلب الهمزة حرف لين من جنس حركتها الإعرابية حرصاً على البيان فقالوا : هو البُطُو ، والرَّدُو ، ورأيت البُطا ، والرَّدَا ، ومن البُطَى والرَّدَى ، دون روم ولا إشمام - وبعضهم - كما ذكر ابن يعيش والرضى - ينقل حركة الهمزة إلى العين قبلها ثم يقلبها حرف مد من جنس الحركة المنقولة ، فيقولون : هذا البُطُو والرَّدُو ، ورأيت البُطا والرَّدَا ، ومن البُطَى والرَّدَى ، دون روم ولا إشمام . والذين تفادوا من فَعُل وفُعِل مع الهمزة ، يتفادون من ذلك أيضاً مع قلب الهمزة ، فيقولون البُطُو فى جميع الحالات والرَّدَى فى جميع الحالات^(١).

أما ما كان قبله ساكن غير صحيح فلم يعرضوا لكيفية الوقف عليه ، فيجوز أن يكون حكمه فى الوقف كحكمه فى الوصل أى أن من يحقق هناك يحقق هنا ، ومن يسهل هناك يسهل هنا على النحو المذكور هناك ، وعلى كل حال فتسهيل حمزة وهشام لهذا الضرب من الهمز هو تسهيل الحجازيين لعدم موافقته وجهها من وجوه الوقف عند غيرهم .

٤ - الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها وهو زائد ، وهذا إن كان ياء أو واواً ، فإن حمزة وهشاماً كانا يبدلان من الهمزة حرفاً من جنس ما قبلها ويدغمانه فيه ، فيقفان على مثل (قروء) بواو مشددة ، و(النسئ) بياء مشددة ، مع إخلاص الإسكان أو مع الروم والإشمام^(٢).

وهذا النوع أيضاً لم يذكره النحويون فى باب الوقف على الهمز ، ولعل ذلك لأن الحكم فى حال الوقف لم يتغير عنه فى حال الوصل ، وبناء على ذلك يكون الوقف بالتسهيل المأثور عن حمزة وهشام تسهلاً حجازياً ، لأنهم هم الذين يفعلون به ذلك فى حال الوصل .

أما إن كان الساكن الذى قبل الهمزة المتحركة ألفاً فى نحو شاء ويشاء ، والسَّراء والضراء ، فإن حمزة وهشاماً كانا يبدلان من الهمزة التى تقع بعدها ألفاً أخرى ،

(١) راجع باب الوقف على المهموز فى سيبويه وابن يعيش وشرح الشافعية.

(٢) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٣) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٦٩ .

بأية حركة تحركت الهمزة فى الوصل ، والرواة قد اختلفوا فى تمكين مدّ الألف ، فكان بعضهم يمكنها زيادة ، ليفصل بذلك بينها وبين المبدلة من الهمزة ، ولیدل به عليها ، وذلك قياس ما أجازہ یونس فى (اضربان زيدا ، واضربان زيدا) على لغة من خفف النون ، لأنها تبدل فى الوقف ألفاً ، فيجتمع ألفان فيزاد فى المد لذلك ، وكان آخرون لا يمكنونها لأنها لما التقت مع المبدلة من الهمزة حذفت للساكين والتمكين أقيس ، لأن عقاد الإجماع على جواز الجمع بين الساكنين فى الوقف ، ولأن خلفا قد جاء به منصوفاً عن سليم عن حمزة ، فقال : يقف بالمد من غير همز ، وكان بعض أهل الأداء ، يجعل الهمزة بعد الألف الساكنة بين وبينه قرأ أبو عمرو الداني فى المكسورة فى نحو (فى السراء والضراء) وفى المضمومة فى نحو (كما آمن السفهاء)، دون المفتوحة فى نحو (وأتوا النساء) ، وهو أيضاً ما رواه خلف وغيره عن سليم عن حمزة^(١).

هذا كله فيما لم تصور فيه الهمزة بعد الألف فى رسم المصحف ، أما ما صورت فيه بالحرف الذى منه حركتها نحو ﴿الضُّعْفَتُوا﴾ (إبراهيم: ٢١) ، ﴿شُفَعَتُوا﴾ (الروم: ١٣) ، ﴿وَمِنْ ءَانَايَ اللَّيْلِ﴾ (طه: ١٣٠) ، ﴿مِنْ تَلْقَايَ نَفْسِي﴾ (يونس: ١٥) فإن الاختيار أن يوقف على المرسوم بالواو يواو ساكنة بدلاً من الهمزة ، وعلى المرسوم بالياء ياء ساكنة بدلاً من الهمزة ، موافقة لمذهب حمزة فى اتباعه رسم المصحف^(٢).

ونلاحظ أن هذا النوع من الهمز قد سكت عنه النحويون ، فلم يبينوا كيفية الوقف عليه ، ولا عذر لهم فى عدم ذكره ، لأن أحكام الوقف عليه مخالفة لما ذكروه فى حال الوصل ، إذ لا يجوز هناك إلا بين بين لا غير ، وبالرغم من ذلك فإننا نرجح أن الوقف على نحو ما نقل عن حمزة وهشام - فى غير ما شذ عن قاعدة رسمه فى المصحف - جاء على لهجة أهل الحجاز ، لأنهم أهل التسهيل فى الوصل ، فيرجح نسبته إليهم فى الوقف ، ما لم يرد نص بنسبته إلى غيرهم ،

(١) راجع جامع البيان ورقة (١٠٤) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

(٢) جامع البيان ورقة (١٠٤) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

أما ما شذَّ عن قاعدته في الرسم كالمثالين السابقين ونحوهما فلو جاز لنا أن نحمل الألف على الساكن الصحيح في مثل البطء والردي ، لقلنا إن الوقف عليه بالواو موافق لأحد الوجوه عند غير أهل الحجاز ، أي اللهجة الذين يقولون : هذا البطو والرذو ، ورأيت البطا والركا ، ومن البطي والردي ، ولعله كذلك .

ثانياً : الوقف على ما فيه الهمزة المتوسطة بالتسهيل :

وهو مما كان قد انفرد به الإمام حمزة دون غيره من القراء ، ولم يذكره النحويون في باب الوقف ولعل السبب في ذلك هو أنَّ حكمه في الوقف لا يختلف عنه في الوصل ، بمعنى أن من يحققه في الوصل يحققه في الوقف أيضاً ، ومن يسهله هناك يسهله كذلك هنا ، فلا غرابة إذن إنَّ حكمنا بأن طريقة حمزة في الوقف على ما فيه الهمزة المتوسطة طريقة حجازية في عمومها ، وهي كالآتي : -

١- الهمزة الساكنة : وهذه يُوقَفُ على ما هي فيه بإبدالها حرف مدٍّ من جنس ما قبلها كما هو تسهيلها في الوصل عند من يسهلون .

٢- الهمزة المتحركة وقبلها ساكن : وهي إما أن يكون قبلها واو أو ياء أصليتان أو زائدتان وإما أن يكون قبلها ألف أو ساكن صحيح ، وفي ذلك كله كان حمزة يقف بالتسهيل^(١) ، مثلما يفعل أهل الحجاز في حال الوصل تماماً ، اللهم إلا بضعة أحرف ، اختلف عنه في كيفية تسهيلها حال الوقف ، وهي : -

أ- هزاء حيث وقع ، وكفواً أحد ، في سورة الإخلاص ، وأصلها كُفّاً بالهمزة ، فهاتان اللفظتان كان بعض الرواة عن حمزة يجريهما مجرى نظائريهما ، فيلقى حركة الهمزة على الزاي والفاء فيهما ، ويسقط الهمزة ، وهذا هو القياس ، وكان آخرون يبدلون من الهمزة فيهما واواً مفتوحة ويسكتون الزاي والفاء قبلها ، اتباعاً لخط المصحف ، وهذا مذهب عامة أهل الأداء من أصحاب حمزة وغيرهم ، رواه منصوباً خلف وأبو هشام عن سليم عن حمزة ، قال أبو عمرو الداني : حدثنا محمد بن أحمد البغدادي قال : حدثنا أبو بكر الأنباري قال : حدثنا إدريس بن عبدالكريم قال : حدثنا خلف بن هشام قال :

(١) أي على مقتضى القياس الذي أصله النحويون في تسهيل هذه الأضرب .

كان حمزة يسكت على هزء وكفؤا ، بالواو ، ويسكت على قوله (منهن جزءا) ينصب الزاى ؛ لأنه ليس فى الحرف واو ، فإذا ترك الهمزة ينصب الزاى ، وكذلك ردءا يصدقنى ، ينصب الدال إذا لم يهمز . وكان آخرون يبدلون الهمزة فيهما (هزءا - كفؤا) واواً مفتوحة ويضمون الزاى والفاء قبلها فى حال الوقف خاصة ، اتباعاً للمصحف^(١) . ويمكن رد الوجهين الثانى والثالث إلى لهجة غير أهل الحجاز ، فالثانى يمكن حمله على لهجة من يقول هو الكُفُو ورأيت الكُفَا ومن الكُفَى ، قياساً على البُطء ، إلا أن الوجه المنسوب لما لحقه التنوين صار (كُفَان) فلزم التخلص من الساكنين فقلبوا الألف المنقلبة عن الهمزة إلى حرف يَقْبَلُ الحركة وهو الواو ، وأرجعوا العين إلى أصل حركتها وهى السكون ، فصارت (كُفُواً) ومثلها (هُزُواً) . والثالث يمكن حمله على لهجة من يتبع العين حركة الفاء ، ثم يقلب الهمزة إلى حرف مد من جنسها ، أى من يقول (الكُفُو) مثل البُطُو ، لكن لما لحق التنوين الكلمة ، التقى ساكنان ، فلزم تحريك المد بحركة الإعراب ، مع إبقاء حركة العين المتبعة للفاء ، فصارت (كُفُواً) ومثلها (هُزُواً) .

ب - (النشأة) فى العنكبوت والنجم والواقعة ، وهذه ورد فيها عن حمزة وجهان : أحدهما : إلقاء حركة الهمزة على الشين وتحريكها بها ، وإسقاط الهمزة طرداً للقياس .

الثانى : إبدال الهمزة ألفاً وفتح الشين قبلها بحركة الهمزة ، ذكر ذلك خلف عن الفراء فى كتاب الهمز له ، وهذا يصح من وجهين :

الأول : أن هذا الضرب من التخفيف على هذه الصورة مسموع حكاه سيويه عن العرب ، قال^(٢) : وقد قالوا : الكَمَاة والمرأة أى فى الكَمَاة وَالْمَرَأة .

والثانى : أنه موافق لرسم المصاحف إذ كانت هذه الكلمة مرسومة فيها بألف بعد الشين خلافاً لرسم أمثالها^(٣) .

(١) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٧) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(٢) سيويه ج ٣ ص ٥٤٥ .

(٣) راجع جامع البيان ورقة (١٠٧) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

و خلاصة القول أن هذين الوجهين جاريان على لهجة أهل الحجاز فى التسهيل .
ج- وجاء عن حمزة فى (الموءودة) بسورة التكوير ، و(مَوْتَلًا) بسورة الكهف ،
أربعة أوجه فى الوقف ، وهى :

- ١- إلقاء حركة الهمزة فىهما على الواو ، وتحريكها بها ، وهو القياس .
- ٢- البدل والإدغام ، قال الكسائى : من وقف على (موتلا) بغير همز ، فإن شاء قال مَوْتَلًا ، بكسر الواو من غير تشديد ، وإن شاء شَدَّدَ ، وكذلك الموءودة .
- ٣- جعل الهمزة بعد الواو بين بين ، قال محمد بن واصل فى كتاب الوقف عن خلف عن سليم عن حمزة أنه يقف على موتلا ، بالإشارة إلى الياء من غير إثبات ، يعنى أنه يجعل الهمزة بين الهمزة والياء ، اتباعاً للخط لأن ذلك فيه بالياء ، قال : وحمزة يقف على الموءودة بثلاث واوات فى اللفظ من غير همز ، يعنى أنه يجعل الهمزة بين الهمزة والواو ، وقبلها واو ساكنة هى فاء ، وبعدها واو ساكنة هى زائدة للبناء ، وهذا مذهب أبى طاهر بن أبى هشام فى ذلك ، قال فى كتابه : كان حمزة إذا وقف لفظ بعد فتحة الميم بواو ساكنة ثم أشار إلى الهمزة بِصَدْرِهِ ، ثم أتى بعدها بواو ساكنة ، قال وهذا ما لا يضبطه الكاتب .
- قال أبو عمرو الدانى : وجعل الهمزة بعد الواو الساكنة فى موتلا والموءودة بين بين ، خارج عن قياس التسهيل ، وإبدالها ياء مكسورة محضة فى موتلا أولى عندى من جعلها بين بين ، وذلك أَشَدُّ موافقةً لِلرَّسْمِ ، وأوجه فى الندرة والشذوذ .
- ٤- جاء فى (الموءودة) فقط ، إسقاط الهمزة وحذف الواو التى بعدها ، فيصير لفظها كلفظ الجَوْزَةِ والمَوْزَةِ ، رَوَى هذا منصوباً أبو سلمة عبد الرحمن ابن إسحاق عن أبى أيوب الضبى قال : حمزة يقف المَوْزَةُ بوزن المَوْزَةِ ، وحكى ذلك القراء أيضاً عن العرب ، وذهب إلى ذلك ابن مجاهد ، واختاره ، وهو موافق للرسم ، لأن هذه الكلمة فيه بواو واحدة ... قال أبو عمرو : وهذا من التخفيف الشاذ الذى لا يصار إليه أيضاً إلا بالسماع ، إذ كان القياس بنفيه ولا يجيزه ، وكان من رواه من القراء ، واستعمله من العرب كره النقل والبدل^(١) .

(١) راجع جامع البيان ورقة (١٠٦) - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

وبالنظر فى هذه الأوجه الأربعة ، يمكن ردّ الأول منها إلى لهجة أهل الحجاز وذلك هو الشائع عندهم فى تسهيل هذا اللون من الكلمات أى المسبوقة بواو أو ياء أصلية ، أما الوجه الثانى فهو على قياس ما حكاه سيبويه من قول بعض العرب سَوَّةٌ ، وضَوٌّ فى سَوَاةٍ ، وضَوٌّ^(١).

ويظهر أن هؤلاء هم الذين يقولون فى (أَوْ أَنْتَ) وفى (غُلَامِيْ أَيْيَكَ) : أَوْنْتَ ، وَغُلَامِيْ يَيْكَ ، بالإبدال والإدغام ، وإذا صح ذلك تكون هذه لهجة غير حجازية ، لأن أبا زيد الأنصارى سمع بعض بنى عجلان من قيس يقول : رأيت غلامِيَّيك ورأيت غُلَامِيَّد يحول الهمزة التى فى أَسَد وفى أَيْيَكَ إلى الياء ويدخلونها فى الياء التى فى الغلامين ، التى هى نفس الإعراب ، فيظهر ياء ثقيلة فى وزن حرفين^(٢) ، وعلى ذلك يُحْمَلُ الوجه الذى حكاه الكسائى فى موثلاً ، وهو مَوَّلًا بالتشديد .

أما الوجه الثالث الذى يسهل الهمزة بعد الواو الساكنة بين بين ، فلا يجوز إلا على رأى الكوفيين الذين يُجَوِّزُونَ أن تقع همزة بين بين بعد كل ساكن أما البصريون فيمنعون أن تقع همزة بين بين بعد ساكن غير الألف ، ورأى البصريين هو الأرجح ؛ لما ذكره أبو حيان معقباً على رأى الكوفيين قال : (وهذا مخالف لكلام العرب)^(٣) ؛ ولما ذكر ابن الجزرى من قوله (وذلك ضعيف جداً)^(٤) .

أما الوجه الأخير ، فهو مما انفرد به القراء دون النحويين .

٣- الهمزة المتحركة وقبلها متحرك : وهذه سواء اتفقت حركتها وحركة ما قبلها أو اختلفتا ، كان حمزة يقف على ما هى فيه بالتسهيل ، على قياس ما ذَكَرَ لَهَا النحويون فى حال الوصل^(٥) ، إلا فى الهمزة المضمومة وقبلها مكسور نحو

(١) سيبويه ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٤ .

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج ١ ص ٦٤ .

(٤) النشر ج ١ ص ٤٣٣ .

(٥) جامع البيان ورقة (١٠٨) بتصرف - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٨٠ .

(مستهزئون) فقد أثر عنه فى الوقف على ما هى فيه وجهان زائدان على ما ذكره سيبويه والأخفش ، وهما :

أ- ضم الحرف الذى قبلها ، وإسقاطها من اللفظ ، وإسالتها اتباعاً للخط وهذا مذهب الكسائى ، وقد جاء منصوصاً عن حمزة ، روى محمد بن سعيد البزار عن خلاد عن سليم عن حمزة أنه كان يقف على (مستهزئون) بغير همز ، ويضم الزاى ، قال أبو عمرو الدانى ، وهذا الوجه من التسهيل جائز فيما لم تصور الهمزة المضمومة فيه واو ، ولا ياء ، اكتفاء بالواو الذى بعدها فى الرسم ، فإذا صورت بالكسرة التى قبلها ، وعدمت واو الجمع بعدها فى اللفظ ، نحو (أُنْبِئُكُمْ ، وَسُنْقِرُكَ . . .) ، وشبهه فلا يجوز فى تسهيلها غير ما أثر عن سيبويه من جعلها بين بين ، أو ما أثر عن الأخفش من إبدالها ياء محضة ، لموافقة مرسوم المصاحف ، واختيار حمزة فى اتباعه^(١) .

ب - وأجاز آخرون فى تسهيل المضمومة التى بعدها واو ، حذفها رأساً ، مع كسر الحرف الذى قبلها ، قال أبو عمرو الدانى : حدثنا محمد بن على قال : حدثنا ابن الأنبارى قال : حدثنا إدريس قال : حدثنا خلف قال : وأجاز الكسائى كَسَرَ الزَاى ، وَوَقَفَ الواو (أى جَزَمَهَا) من غير همز ولا مدّ ، فى مستهزئون . . . أى يقول : مُسْتَهْزَوْنَ ، قال أبو عمرو : وهذا لا عمل عليه ، والاختيار فى هذا الضرب ما ذهب إليه الخليل وسيبويه ، وعليه أهل الأداء .

والوجه الأول من هذين كان قد قرأ به أبو جعفر ونافع حال الوصل ، كما ذكرنا فى الفصل السابق ، وهو يصح على رأى الكوفيين وبعض البصريين الذين أجازوا إبدال الهمزة على حسب إبدالها فى الفعل أى الذين يقولون فى استهزأت ونحوه استهزيتُ ، وقد وصف ابن الجزرى هذا الوجه بصحته فى القياس والأداء ، وقال : إن هذا الوجه من أصح الوجوه المأخوذ بها لحمزة فى الوقف^(٢) . وقال : عن الوجه

(١) جامع البيان ورقة (١٠٨) بتصرف - وانظر المطبوع ج ١ ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) راجع النشر ج ١ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

الثانى : وإنما الخامل الوجه الآخر ، وهو حذف الهمزة وإبقاء ما قبل : الواو مكسورا على حاله على مراد الهمزة كما أجاز بعضهم وحكاه خلف عن الكسائى^(١) .

تعقيب وتعليل :-

ومع أن الوقف بالتسهيل على الهمزة المتطرفة وعلى ما فيه الهمزة ، المتوسطة قد انفرد به حمزة من بين القراء السبعة ، فليس مذهباً فاسداً ، ولا ضعيفاً ، ولا لغة قليلة أو نادرة ، وها هو ذا ابن الجزرى يقول : « ومما صح فى القراءة وشاع فى العربية ، الوقف بتخفيف الهمز ، وإن كان مما يحقق فى الوصل ، لأن الوقف محل استراحة القارئ والمتكلم ، ولذلك حذفت فيه الحركات والتنوين ، وأبدل فيه تنوين المنصوب ، وجاز فيه الروم والإشمام ، والنقل ، والتضعيف ، فكان تخفيف الهمز فى هذه الحالة أحق وأحرى^(٢) » ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا اختص به حمزة دون غيره من القراء السبعة؟؟ ولماذا كان يؤثر اتباع المصحف فى بعض وجوه التسهيل مع أن غيرها قد يكون أقوى منها فى القياس؟؟

وللإجابة عن السؤال الأول يقول ابن الجزرى : « وقد اختص حمزة بذلك من حيث إن قراءته اشتملت على شدة التحقيق والترتيل والمد والسكت ، فناسبه التسهيل فى الوقف ، ولذلك روينا عنه الوقف بتحقيق الهمز إذا قرأ بالحدرد^(٣) » وهذا يعطينا أن حمزة لم يكن يسهل الهمزة فى الوقف إلا إذا قرأ قراءة التحقيق ، وهى قراءة متأنية مطولة ، أما إذا حذر بالقراءة أى أسرع فيها فكان يحقق الهمزة فى الوقف ، كما صرح ابن الجزرى فى النص السابق ، وإذا أضفنا إلى ذلك ما قاله ابن الجزرى فى تعريف التحقيق من أنه : عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات^(٤) . . . وما قاله فى تعريف الحذر من

(١) انظر النشر ج ١ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٢) السابق ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢٠٥ .

أنه : عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها ، وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمز ونحو ذلك مما صحت به الرواية ووردت به القراءة^(١) - إذا أضفنا هذين التعريفين للتحقيق والحدرد إلى نص ابن الجزرى السابق ، يمكن أن نخرج بنتيجة وهى أن حمزة كان إذا قرأ بالتحقيق يسهل الهمزات الموقوف عليها ، ويحقق ما عداها ، وإذا قرأ بالحدرد يحقق الهمزات الموقوف عليها ويسهل ما عداها .

ولعل حمزة بالجمع بين الهمز والتسهيل على النحو السابق يمثل نوعاً من الاعتدال والتوسط ويرى إمكان الجمع بينهما فى القراءة .

أما عن التساؤل الثانى ، فيبدو أن اتباع حمزة لرسم المصحف فى بعض مواضع الوقف راجع إلى ما قيل فى شأن خط المصحف من أنه سنة متبعة أقرها الخلفاء الراشدون ، وإلى خبرة حمزة برسم المصحف ، ولا سيما أنه كان يحوز مصحفاً خاصاً به نقله عن النسخة الرسمية التى أرسلها عثمان إلى الكوفة^(٢) .

هذا ويمكن التماس التعليل لمذهب حمزة فى الوقف من خلال بيئته وشيوخه فقد قيل : « لغة أكثر العرب الذين هم أهل الجزالة والفصاحة ترك الهمزة الساكنة فى الدرج ، والمتحركة عند السكت »^(٣) ، فالتسهيل فى الوقف إذن ليس خاصاً بأهل الحجاز ، بل مما يشاركهم فيه غيرهم من العرب ، وقد استطعنا فى العرض السابق لمذهب حمزة أن نرد بعض الوجوه إلى لهجات أهل التحقيق التى ذكرها النحويون .

ولم تكن موافقة لغة أكثر العرب ، هى الباعث الوحيد على تسهيل الهمزة الموقوف عليها فى قراءة حمزة ، لأن القراءة سنة متبعة ، « وما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر »^(٤) ، « بل كان متبعاً فى ذلك آثار شيوخه ، قال ابن الجزرى :

(١) النشر ج ١ ص ٢٠٧ .

(٢) انظر كتاب المصاحف لأبى حاتم السجستاني ص ٣٤ .

(٣) النشر ج ١ ص ٤٢٢ .

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .

« وقد وافق حمزةُ على تسهيل الهمز في الوقف ، حمران بن أعين وطلحة ابن مصرف ، وجعفر بن محمد الصادق ، وسليمان بن مهران الأعمش في أحد وجهيه ، وسلام بن سليمان الطويل البصرى وغيرهم »^(١) ، وهؤلاء منهم المدني كجعفر الصادق ، ومنهم البصرى كسلام بن سليمان ، ومنهم الكوفى كحمران ، والأعمش ، وذلك يؤكد شيوع الوقف بتسهيل الهمزة عند أكثر العرب ، وفي البيئات المختلفة ، ويغنى عن التماس توجيه آخر لوجوده في قراءة هشام بن عمار ، أحد رواة القراءة عن ابن عامر .

(١) النشرح ١ ص ٤٢٣.

الفصل السادس

علامات الهمز والتسهيل

تمهيد :

تحدثنا فى صدر الفصل السابق عن تاريخ رسم الهمزة ، وتعرفنا هناك بمرحلتين كاملتين من ذلك التاريخ - الأولى : كانت الهمزة فيها ترسم ألفاً عارية من أية علامة فى جميع مواقعها ، وفى جميع أحوالها من الحركة والسكون . الثانية : كانت الهمزة فيها ترسم ألفاً عارية من العلامة فى الابتداء ، وفى غيره كانت ترسم ألفاً عارية ، أو واواً عارية ، أو ياء عارية ، تبعاً لحالتها من الحركة والسكون أو لحالة ما قبلها ، وفى بعض المواضع كانت تسقط من الرسم لسقوطها من اللفظ ، وذلك واضح مما تقدمناه من قواعد رسم الهمزة فى المصحف .

وقد تلت هاتين المرحلتين مرحلتان أخريان ، امتازت الهمزة فيها بعلامة خطية كانت توضع فوقها أو تحتها أو بجانبها ، وقد اتخذت هذه العلامة أشكالاً عديدة وصوراً مختلفة ، وهاك عرضاً سريعاً لهاتين المرحلتين : -

المرحلة الثالثة فى تاريخ رسم الهمزة : -

تكاد تبدأ هذه المرحلة بدءاً حقيقياً مع محاولة أبى الأسود الدؤلى لضبط المصحف بالشكل ، وذلك حينما استحضر كاتباً ، وأمره أن يتناول المصحف ، وأن يأخذ صبغاً يخالف لون المداد ، فيضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه ، وتحت الحرف إذا رآه يخفض شفتيه ، وبين يدي الحرف إذا رآه يضم شفتيه ، أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة ، فينقط نقطتين فوق بعضهما ، وأما الحرف الساكن فقد تركه^(١).

(١) انظر قصة الكتابة العربية للأستاذ إبراهيم جمعة ص ٥١ ، ٥٢ (بتصرف).

ويرى بعض الباحثين « أن الصحابة هم الذين بدأوا بنقط المصاحف ، فقد جاء عن الأوزاعي : سمعت قتادة يقول : بدأوا فنقطوا ، ثم خمّسوا ، ثم عَشّروا »^(١) يند أنهم « لم يجعلوا النقط نظاماً يشمل ألفاظ القرآن جميعاً ، بل كان عملهم محاولات تيسيرية فحسب - فيما يبدو - ومما يدل على ذلك أن أهل المدينة ، كانوا ينقطون على غير النقط المعروف ، فتركوه ونقطوا نقط أهل البصرة ، ويؤيده كذلك أن أهل مكة أيضاً ، كانوا على غير هذا النقط ، فتركوا نقطهم ، واتبعوا طريقة أهل البصرة »^(٢) ، « واتباع أهل المدينة لأهل البصرة في نقط مصاحفهم أمر » لا يحتمل الشك لوجود أدلته وهي : -

(أ) أن أبا عمرو الداني روى عن مصاحف أهل المدينة ، ورأى فيها أنهم ينقطون الهمزتين الملتقيتين من كلمتين نقطتين بالصفراء على سبيل تحقيقهما ، مع أن تحقيقهما لم يرد في قراءة أهل المدينة ، قال أبو عمرو : وأهل المدينة - فيما رويانا عن مصاحفهم ورأيانه فيها - ينقطون في الأضرب الثمانية^(٣) على التحقيق ، فيجعلونهما معاً نقطتين بالصفراء ، وكذلك وجدناه في مصاحف أهل بلدنا القديمة^(٤) .

(ب) أورد أبو عمرو أيضاً خبراً يفيد ذلك ، قال فيه « وحدثنا أحمد بن عمر قال : حدثنا محمد بن مدبر قال : حدثنا عبدالله بن عيسى قال : حدثنا قالون : أن في مصاحف أهل المدينة (بالسوء إلا) بهمزتين في الكتاب ، يعنى في النقط ، وفي القراءة بهمزة واحدة »^(٥) .

(١) مقدمة كتاب المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني تحقيق عزة حسن ص ٣٠ والتخمين: هو وضع علامة خاصة بعد كل خمس آيات المصحف، والتعشير: وضع علامة خاصة بعد كل عشر آيات من المصحف.

(٢) مقدمة كتاب المحكم في نقط المصاحف ص ٣٠. وانظر المحكم نفسه ص ٨ ، ٩ .

(٣) ينظر ص ١٧٨ من هذا البحث .

(٤) مقدمة كتاب المحكم في نقط المصاحف ص ٣٠ وانظر المحكم نفسه ص ١١٧ .

(٥) السابق ص ١١٨ .

والذى أراه فى هذه المسألة أن نظام النقط الذى وجد فى عهد الصحابة هو غير نظام الشكل بالنقط الذى اخترعه أبو الأسود الدؤلى كما هو المشهور ، وهو أيضاً غير نظام الإعجام بالنقط الذى اخترعه يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثى كما هو المشهور أيضاً ، وإنما الذى وجد فى عهد الصحابة هو ما قال عنه الأستاذ حفى ناصف : « فقد كانت الصحف المسوّدة عند حفصة مبيّنة فيها اللغات الأخرى بنقط على الحروف اصطلاحوا على وضعها للدلالة على الإمالة ، وضم ميم الجمع والإشمام ، والهمز والتسهيل ، وغير ذلك من القراءات التى رواها أهل القبائل عن النبى ﷺ ، فأمر عثمان أن يجرّدوا القرآن من هذه النقط ويكتبوه على لغة قريش فقط ، ففعلوا »^(١).

وإذن فعلامة الهمز والتسهيل وجدت قبل عهد عثمان ، وظهرت فى الصحف التى كتبها زيد بن ثابت لأبى بكر الصديق ﷺ ، لكن هذه العلامة قد زالت بكتابة المصاحف العثمانية ، ثم بحرق الصحف التى كان زيد قد كتبها ، ولا نعلم شيئاً عن صورة تلك العلامة وشكلها أو وضعها من الهمزة التى كانت تصور ألفاً أو واواً أو ياء كما سبق ، ومن هنا يجوز لنا أن نعدّ إدخال أبى الأسود الدؤلى نظام النقط فى المصاحف العثمانية ، هو بداية المرحلة التى كان يُعلّم الهمز والتسهيل فيها بعلامة ، لأنها دخلت إلى المصحف وثبتت فيه مع ذلك التاريخ .

علامات الهمز والتسهيل فى المصاحف حتى القرن الخامس الهجرى :

يقول أبو عمرو الدانى : وكان الذى يستعمله نقاط أهل المدينة ، فى قديم الدهر وحديثه ، من الألوان فى نقط مصاحفهم الحمرّة والصفرة لا غير ، فأما الحمرّة فللحركات ، والسكون ، والتشديد ، والتخفيف ، وأما الصفرة فللهمزات خاصة^(٢) .
والذى يتّبع نظام النقط كما أورده أبو عمرو الدانى فى كتابه المحكم فى نقط المصاحف ، يظهر له أن الهمزة المحققة كان يُعلّم عليها بالنقطة الصفراء دائماً ، أما الهمزات المسهلة فقد تعددت علاماتها ، واختلفت باختلاف موقعها وحالتها من

(١) تاريخ الأدب ص ٧٠ ، ٧١ بالهامش.

(٢) المحكم فى نقط المصاحف ص ١٩.

الحركة والسكون ، فأحياناً كانوا يدلون على الهمزة المسهلة بنقطة حمراء ، أو دارة صغرى حمراء ، أو مطة بالحمراء ، أو ياء بالحمراء ، أو واو صغرى بالحمراء وأحياناً كانوا يدلون عليها بجعلها ياء سوداء معرّاة من الحركة ، أو يجعلها واوًا سوداء معرّاة من الحركة ، وأحياناً أخرى كانوا يدلون على التسهيل بإخلاء مكان الهمزة من علامتى التحقيق والتسهيل .

والآن يحسن أن نعرض بعض النماذج من كتاب المحكم لبيان علامات الهمزة فى حالتى التحقيق والتسهيل ، وبعدها سوف يكون لنا توضيح وتعليق .

أولاً : نماذج من كتاب المحكم : -

(١) الهمزة المفتوحة إما أن يكون ما قبلها مفتوحاً نحو أرأيت . . . ، وإما أن يكون ما قبلها مكسوراً نحو خاستا . . . ، وإما أن يكون ما قبلها مضموماً نحو مؤجلا . . . ، يقول أبو عمرو : فإذا نطق ذلك كله على مذهب من لين الهمزة المتوسطة فيه من القراء ، جعل فى موضع التى صورتها ألف - لافتح ما قبلها - نقطة بالحمراء على رأس الألف ، وفى موضع التى صورتها ياء - لانكسار ما قبلها - نقطة بالحمراء على رأس الياء ، وفى موضع التى صورتها واو - لانضمام ما قبلها - نقطة بالحمراء على رأس الواو ، فيدل بذلك على تليينها وتسهيلها^(١).

(٢) فأما قوله (اللائى) حيث وقع ، على قراءة من لين الهمزة ، ففى نقط الياء التى هى خلف من الهمزة وجهان : - إن شاء الناظر جعل تحتها نقطة بالحمراء ، وجعل فوقها دارة علامة لتخفيفها ، ودلالة على أنها همزة ملينة ، وإن شاء أعراها من النقطة ، إذ كسرهما ليس بخالص ، وجعل الدارة وحدها عليها^(٢).

(٣) إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل التى معها لام التعريف ، فقد أجمع القراء والنحاة على تسهيل الثانية بين بين أو بالإبدال ، كما أجمعوا على الفصل بين الهمزة المحققة والمسهلة بألف . وفى ذلك يقول أبو عمرو :

(١) المحكم فى نقط المصاحف ص ٩١.

(٢) السابق ص ٩١.

فإذا نُقِطَ ذلك على مذهب الجميع جُعِلَتْ (أى همزة الاستفهام) نقطة بالصفراء ، وحركتها عليها نقطة بالحمراء قبل الألف السوداء ، وجعل فى رأس الألف السوداء نقطة بالحمراء فقط ، هذا على قول من قال إن همزة الاستفهام هى المحذوفة صورتها ، وصورة ذلك كما ترى (الذكرين ...) وشبهه ، وعلى قول من قال إن همزة الوصل هى المحذوفة صورتها ، تجعل النقطة الصفراء وحركتها فى الألف السوداء ، وتجعل النقطة الحمراء التى هى علامة التسهيل بعد الألف السوداء ، وإن شاء الناظر جعل لها صورة بالحمراء كما تقدم ، وصورة ذلك كما نرى (الذكرين ...) وشبهه^(١). وأكثر النحويين والقراء يزعمون أن همزة الوصل فى هذا النوع تبدل إيدالاً محضاً ، ولا تجعل بين بين ، فتصير فى مذهبهم مدّة مشبعة ، فإذا نقط ذلك على هذا المذهب ، جعل مكان النقطة الحمراء التى هى علامة التسهيل مطة بالحمراء ليدل بذلك على البذل المحض ، وصورة ذلك على القولين كما ترى (الذكرين ...) أو (أ الذكرين ...) وشبهه^(٢).

(٤) إذا التقت همزة الاستفهام مع همزة القطع فى كلمة ، وتحركت الأولى بالفتح والثانية بالكسر ، فإن من سهل الثانية ، ولم يفصل بينها وبين الأولى بألف ، فكيفية النقط هى « أن يجعل نقطة بالصفراء وحركتها عليها على الألف المصورة ، ويجعل بعدها فى السطر نقطة بالحمراء لا غير ، فيدل بذلك على تحقيق همزة الاستفهام ، وتسهيل همزة الأصل (أى القطع) . وإن شاء الناظر جعل فى موضع النقطة الحمراء التى هى علامة التسهيل ياء بالحمراء وألحقها بالحرف من حيث قربت الهمزة المسهلة فى هذا الضرب منها ، إلا أنها إذا ألحقت أعريت من الحركة ، لأنها ليست ياء مكسورة خالصة ، وإنما هى بين الهمزة المحققة والياء الساكنة .

وصورة ذلك على رأى من جعل همزة الاستفهام هى المرسومة (أ ء ذ ا ..) وصورته على رأى من جعل همزة القطع هى المرسومة (ء اذا ...) وشبهه^(٣).

(١) المحكم فى نقط المصاحف ص ٩٧.

(٢) السابق ص ٩٨.

(٣) المحكم فى نقط المصاحف ص ١٠٢ (باختصار).

(٥) فأما ما جاءت الهمزة المسهلة فيه من هذا الضرب مرسومة ياء بالسوداء ، كقوله (أنتكم ، أنتن ،...) فإذا نقط ذلك على قراءة من سهل ، جعلت الهمزة نقطة بالصفراء وحركتها عليها نقطة بالحمراء على الألف المصورة ، وأعريت الياء السوداء بعدها من الحركة ، من حيث كانت خلفاً من همزة مكسورة ، ولم تكن ياء مكسورة خالصة الكسر . ومن أهل النقط من يجعل تحتها كسرة ، ويجعل معها دارة صغرى علامة لتخفيفها ، وأنها ليست بمشبعة الكسرة ، وذلك على سبيل التقريب على القارئ ، وهو حسن ، وصورة نقط ذلك على الوجه الأول (أينكم ، أين ، ...) وعلى الوجه الثانى (أينكم ، أين ، ...) وشبهه^(١) .

(٦) إذا التقت همزة الاستفهام مع همزة القطع فى كلمة ، وتحركت الثانية بالضم فإن من سهل الثانية ، ولم يفصل بينها وبين المحققة بألف يجعل الأولى نقطة بالصفراء ، وحركتها عليها نقطة بالحمراء فى الألف المصورة ، وتجعل الثانية بعدها فى السطر نقطة بالحمراء لا غير ، فيدل بذلك على تحقيق الأولى وتسهيل الثانية ، وأنه نحى بها نحو الواو ، وهنا على قول من جعل الألف المصورة همزة الاستفهام وصورة ذلك كما ترى (أعزل ، ألقى ،...) وإن شاء الناقط جعل فى موضع النقطة الحمراء التى هى علامة التسهيل وأواً صغرى بالحمراء ، ويعريها من الحركة^(٢) . هكذا (أو نزل ، أو لقى).

(٧) فأما الموضع الذى رسمت فيه الهمزة الثانية مما سبق واوا بالسوداء على مراد التسهيل وهو قوله فى آل عمران ﴿ قُلْ أُؤْتِيكُمُ ﴾ (آل عمران: ١٥) فإن الألف المصورة قبلها هى ألف الاستفهام لا غير ، وذلك من حيث صورت الهمزة الثانية بالحرف الذى منه حركتها ، فإذا نقط ذلك على قراءة من سهل جعلت الهمزة نقطة بالصفراء وحركتها عليها نقطة بالحمراء فى الألف ، وأعريت الواو بعدها من الحركة ، لأنها ليست بواو مشبعة الحركة ، وإنما هى خلف

(٢) السابق ص ١٠٦ .

(١) المحكم فى نطق المصاحف ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

من همزة مضمومة ، وصورة ذلك كما ترى (أُونُبْثُكُم) ومن أهل النقط من يجعل أمام الواو نقطة ، وعلى الواو دارة ، علامة لتخفيفها ، وهو وجه والأول أحسن ، وصورة ذلك كما ترى (أُونُبْثُكُم) ^(١).

(٨) إذا التقت الهمزتان من كلمتين ، واتفقتا في الحركة ، فإن أبا عمرو بن العلاء يسقط الأولى من الهمزتين ويحقق الثانية ، ويكفية النقط على مذهبه « هو أن يعرى ما بعد الألف التى هى آخر الكلمة الأولى من علامتى التحقيق والتسهيل لأنها تذهب من اللفظ رأساً ولا يبقى لها أثر ، وتجعل الهمزة الثانية نقطة بالصفراء ، وحركتها عليها نقطة بالحمراء فى الألف التى هى أول الكلمة الثانية نحو (تلقا أصحاب ، هؤلاء إن ، أوليا أولئك ...) ^(٢).

أما الهمزتان المختلفتان فى الحركة فإن مذهب أبى عمرو بن العلاء هو إسقاط الثانية منهما ، وطريقة نقط ذلك كما ذكر أبو حاتم السجستاني : أنك تترك الآخرة ولا تنقط عليها ، وإن أحببت فانقط عليها بخضرة ، ليعرف أنها تقرأ على وجهين ، وكلما كان فيه وجهان فانقط بالحمرة والخضرة ^(٣).

توضيح وتعليق :-

بعد النظر والتأمل فى النماذج السابقة يتضح لنا ما يأتى :-

(١) الهمزة المحققة كانت علامتها نقطة بالصفراء فى كل الحالات .

(٢) همزة بين بين كانت لها علامات عديدة وهى :-

(أ) الهمزة التى هى بين الهمزة المحققة وبين الألف ، تارة كانت ترسم علامتها نقطة حمراء ، كما هو فى النموذج الأول ، وتارة كانت تصور ألفاً بالحمراء كما فى النموذج الثالث .

(ب) الهمزة التى هى بين الهمزة المحققة وبين الياء الساكنة ، كانت ترسم ياء سوداء معرأة من الحركة كما فى النموذج الخامس ، أو كانت ترسم ياء

(١) المحكم فى نقط المصاحف ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) راجع السابق ص ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤.

(٣) المصاحف للسجستاني ص ١٤٧.

سوداء وعليها دارة كما فى النموذجين الثانى والخامس ، وأحياناً كانت ترسم ياء بالحمراء معرفة من الحركة كما فى النموذج الرابع ، وربما رسمت نقطة بالحمراء فى السطر كما فى النموذج الرابع أيضاً .

(جـ) الهمزة التى هى بين الهمزة المحققة والواو الساكنة ، كانت ترسم واوا صغرى بالحمراء معرفة من الحركة ، أو يجعل فى موضعها نقطة بالحمراء فى السطر كما فى النموذج السادس ، وأحياناً كانت تترك على ما هى عليه واوا سوداء وتعرى من الحركة ، أو يجعل عليها دارة كما فى النموذج السابع .

(٣) الهمزة المبدلة كانت علاماتها كالآتى : -

- (أ) الهمزة المبدلة ألفا ، كانت تصور مطة بالحمراء كما فى النموذج الثالث .
- (ب) الهمزة المبدلة ياء كانت علامتها نقطة بالحمراء كما فى النموذج الأول .
- (جـ) الهمزة المبدلة واوا كانت علامتها نقطة بالحمراء أيضاً كما فى النموذج الأول .

(٤) الهمزة الساقطة كان يترك مكانها خالياً من علامتى التحقيق والتسهيل كما فى النموذج الثامن .

(٥) الهمزة التى يجوز فيها وجهان ربما علّم عليها بنقطة خضراء كما ذكر فى النموذج الثامن أيضاً .

وبعد : فإن هذه الطريقة التى اتبعت فى رسم علامات الهمزة بالنقط ، كانت أشبه بكتابة صوتية للهمزة فى جميع أحوالها ، لولا ما وجد فيها من عيوب واضطرابات ، ويمكن أن نسجل من عيوب هذه الطريقة ما يأتى : -

(١) التباس علامة التسهيل بعلامة الفتح أو الكسر أو الضم ، فكلها كان يعبر عنها بالنقطة الحمراء .

(٢) التباس الهمزة المسهلة بين بين بالهمزة المبدلة واوا أو ياء ، فكلها كانت ترسم نقطة حمراء كما فى النموذج الأول .

(٣) جعل علامة التسهيل ياء سوداء ، أو واوا سوداء معرّاة من الحركة فى بعض المواضع قد توهم القارئ بعدم وجود علامة التسهيل ، لأنها فى مواضع أخرى كان يُعلّم عليها بالنقطة الحمراء ، أو بالدارة الحمراء .
وإلى جانب هذه العيوب الخاصة بالهمزة ، توجد عيوب أخرى لنظام النقط بشكل عام ومنها : -

(أ) تزامم النقط الذى قد يؤدى إلى جريانها من مكانها .
(ب) صعوبة اتخاذ لونين متغايرين فى الكتابة ، فإنه قلما يتيسر للكاتب ، وإن تيسر له ، فلن يتيسر للآلة الكاتبة .

وتلافياً لهذه العيوب وتلك ، كان لابدّ من وجود طريقة أخرى أكثر وضوحاً وأقلّ عيوباً ، تحل مكان نظام النقط الذى استمر فى كتابة المصاحف إلى عصر أبى عمرو الدانى ، أى إلى بداية القرن الخامس الهجرى ، أما فى غير المصاحف فلم يستمر نظام النقط أكثر من قرن واحد ، أى إلى أن اخترع الخليل بن أحمد نظام الشكل المعروف الآن ، وفيه حظيت الهمزة بعلامة جديدة .

المرحلة الرابعة فى تاريخ رسم الهمزة : -

وتبدأ المرحلة الرابعة فى تاريخ رسم الهمزة ، مع ظهور نظام الشكل الذى اخترعه الخليل بن أحمد ، تيسيراً على القارئ والكاتبين ، وتجنباً لما قد ينشأ عن نظام النقط من عيوب ومشكلات ، ونظام الشكل الذى اخترعه الخليل بعد مضى قرن من الزمان تقريباً على نظام النقط لأبى الأسود الدؤلى ، هو الذى ما زال عليه العمل فى الرسم العربى حتى الآن .

والذى يهمننا من هذا النظام الجديد هو الشكل الجديد الذى اخترعه الخليل ليكون علامة على الهمزة ، وهو « عبارة عن رأس عين صغيرة هكذا (ء) ^(١) ، أو عين بلا عراقة ^(٢) ، أو العين البتراء ^(٣) ، وكلها أسماء لمسمى واحد هو الشكل الذى

(١) دراسات فى علم اللغة د/ كمال محمد بشر ص ٦٠.

(٢) صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣ ص ١٦٧.

(٣) شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٣٢٠.

اخترعه الخليل علامة على الهمزة ، وهذا الرمز اقتطعه الخليل من رأس العين ، «ولذلك يسمى فى بعض الأحيان (القطعة) ، ولعله اقتطعه من العين لقرب الهمزة من العين فى المخرج»^(١) ، وهو اختراع حديث لا نجده فى الكتابات السامية القديمة^(٢) ، وحديث بالنسبة للرسم العثماني^(٣) ، أيضاً ، ولذلك جاز للسيوطي أن يقول «وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام الخليل»^(٤) .

أما هدف الخليل من ابتكار هذا الرمز الجديد للهمزة ، فيتمثل فى شيئين : أولهما : محاولة تجنب اللبس الناشئ عن استعمال الألف فى تصوير الفتحة الطويلة بالإضافة إلى تمثيله الهمزة رسماً^(٥) .

ثانيهما : أن تسائر الكتابة العربية النطق العربى النموذجي ، الذى استعار التزام الهمز فى الكلام من لهجة تميم .

ولما لم يكن فى مقدور الخليل أن يغير الرسم الإملائي الذى كان قد نما وازدهر فى بيئة الحجاز عموماً ، وفى بيئة قريش خصوصاً^(٦) ، وكتبت به المصاحف وصار ممثلاً نهج قبيلة بعينها هى أتقن ما تكون للوسائل الكتابية عند مقايضة القبائل^(٧) - لما لم يكن فى مقدوره ذلك أراد أن يتبع طريقة جديدة تجمع بين الرسم القديم للهمزة وبين الرسم الجديد ، فأتى بالرمز الجديد ووضعه فى الكلمة حيث وجد له حاملاً ، فالحامل فى (رأس) هو الألف ، وفى (بئر) هو الياء ، وفى (يؤمن) هو الواو ، وفى (سماء) لا يوجد حامل ، فوضع الهمزة على السطر بلا حامل^(٨) ، ونحن من جانبنا نرى فى هذا الصنيع توفيقاً بين لهجة قريش ولهجة تميم أو بعبارة أخرى بين لهجتى التحقيق والتسهيل .

(١) انظر شرح الرضى للشافية ج ٣ ص ٣٢٠ وتاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص ٧٦ .

(٢) المدخل إلى دراسة النحو ص ١٤٠ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٦٠ .

(٤) الإتيقان ج ٢ ص ١٧١ .

(٥) دراسات فى علم اللغة ص ٦٠ .

(٦) راجع القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٧) مقدمة لدرس لغة العرب ص ٤٠ .

(٨) فصول فى فقه العربية ص ٣٥٩ .

علامات أخرى للهمزة :-

هناك بعض إشارات متفرقة تدل على أنه كانت توجد للهمزة علامات أخرى ، منها تلك التي تقول : اتخذ كتاب المصاحف فيها طرقاً متعددة ، ورسموها كالرقم (٧) في مثل يستهزيون ، واستمر هذا إلى أن جاء الخليل بن أحمد^(١) . وفي بعض المخطوطات إشارة أخرى وهي عبارة عن ثلاث نقط ترسم بالمداد الأحمر إما عمودية كما في (: انزلته) أى أنزلناه ، وإما مثلثة كما في كلمة (يؤمنون) أى يؤمنون^(٢) .

مقترحات بشأن كتابة الهمزة :-

تلك هي المراحل الأربع التي مرت بها كتابة الهمزة ، وهي تمثل تطوراً هائلاً في صوت وصورة الهمزة على مدى العصور المتتابعة ، وتسلسل هذا التطور كما نظن هو التحقيق في اللفظ والخط حينما كانت ترسم ألفاً في المرحلة الأولى ، ثم التسهيل في اللفظ والخط في نطق الحجازيين وكتابتهم ، ثم التحقيق في اللفظ مع الجمع بين التحقيق والتسهيل في الخط كما حدث في العربية الفصحى النموذجية على عهد الخليل ، وهذا الطور الأخير وإن كان هدف الخليل منه التيسير كما سبق أن عرفنا إلا أنه كان قد تسبب في ظهور مشكلة أخرى تتمثل في علم الإملاء الذي وضع خصيصاً للهمزة والألف ، ولعدد غيرهما من الكلمات لولاها ما احتاج إلى وضع ولا تبين ، بل الألف كالفرع في الكتابة عن الهمزة ، فعلم الإملاء من أجلها فقط^(٣) .

ومن هنا جاءت المقترحات الداعية إلى إصلاح نظام الكتابة عامة ، وإلى إصلاح نظام كتابة الهمزة خاصة ، وهاك بعض المقترحات :-

-
- (١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للأستاذ عبد العال سالم مكرم ص ٣٠ .
(٢) راجع اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص ٢٦٦ = [٣٤٤] اللهجات العربية في التراث].
(٣) كينونة اللغة العربية للأستاذ عبد الفتاح بدوى ص ٥٤ .

(١) اقترح الأستاذ عبد الفتاح بدوى أن ترسم الهمزة المحققة على شكلها المماثل لشكل العين ، واختار أن تميز الهمزة عن العين والغين بشكل ثلاث النقط التى تكون فى خط الرقعة (٨) فتكتب من فوق جريا على السنن الأعم فى نقط الحروف العربية ، أما الهمزة التى بين بين ، فاقترح أن تكتب كالهمزة الجديدة عينا ، ويوضع تحتها ثلاث نقط بالرقعة أيضاً^(١) .

(٢) اقترحت لجنة الإملاء بمجمع اللغة العربية فى الدورة الرابعة عشر اتباع ما يأتى فى رسم الهمزة :

(أ) فى أول الكلمة ترسم ألفاً مطلقاً ودائماً ، وتعتبر الهمزة فى أول الكلمة إذا سبقت بأل أو بكلمة على حرف واحد .

(ب) الهمزة المتوسطة إذا كانت متحركة صورت بصورة حركتها ، وإذا كانت ساكنة صورت بحركة ما قبلها .

(ج) الهمزة المتطرفة تكتب على صورة مناسبة لحركة ما قبلها ، فإن كان الحرف السابق لها ساكناً كتبت مفردة^(٢) .

(٣) وجاء فى ملاحظات لجنة اللغة العربية فى المجمع العلمى العراقى على تقرير لجنة الإملاء بمجمع اللغة السابق : أن الهمزة المتطرفة ترسم مفردة (٤) مطلقاً سواء أكان ما قبلها متحركاً أم كان ساكناً ، بدلاً من تنوع رسمها لقلة جدواه ، وللتخلص من الغلط عند عدم اعتداء الكاتب إلى حركة الحرف السابق ، الموقوف علمه على السماع ، أو مراجعة المعجمات اللغوية ، مثل (جرؤ) فإن كثيرين لا يعرفون أن الراء مضمومة فيرسمون الهمزة على الألف (جراً) لتوهمهم أن الراء مفتوحة^(٣) .

(٤) اقترح الأستاذ إبراهيم مصطفى أن ترسم الهمزة بصورة واحدة كغيرها من حروف الهجاء ، ولا تصور بحرف من حروف العلة المختلفة ، لا تبعاً

(١) انظر كينونة اللغة العربية ص ٥٦، ٥٧، ٥٨ .

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ ص ١٠٠ . (٣) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ ص ١٠١ .

لحركاتها ولا لحركة ما قبلها ، فإن كانت بين حرفين متصلين كتبت على الامتداد بين الحرفين ، وإلا كتبت مفردة ، فإذا احتيج إلى ضبطها ضبطت كغيرها من الحروف^(١) .

(٥) اقترح الأستاذ محمد بهجت الأثرى أن يتخذ للهمزة رسم (مستقل يلزم صورة واحدة في كل موضع كسائر الحروف ، وهو أن تكتب على كرسى الألف ، وهو في ذلك متابع لرأى أبى زكريا الفراء ، ولرأى جماعة من النحويين قالوا بذلك حملا للخط على اللفظ ، ولأنه القياس ، وأنفسى للغلط ولأنه اختيار أبى على الفارسي في المسائل الحلبية^(٢) .

تعليق على هذه المقترحات :-

لو كان لنا تعليق على هذه المقترحات ، ولا سيما التي يترتب عليها تغيير كبير فيما عهدناه من رسم الهمزة أولاً ووسطاً وطرفاً ، كالمقترحات الأولى والرابع والخامس ، فإننا نقول : التيسير يكون مقبولاً ومرغوباً فيه إذا لم يؤد إلى عكس المطلوب ، وإلا فهو مرغوب عنه .

والمقترحات المشار إليها سابقاً ، وإن كانت تهدف إلى التيسير على الناشئين في تعلم الكتابة ، وإلى اختصار الوقت الذي يضاع عادة في إتقان رسم الهمزة ذات الأشكال المختلفة ، من الرسم مفردة أو ألفاً أو واواً أو ياء . . . ، إلا أنها سوف تسفر بعد جيل واحد من الناس عن خطر عظيم وحادث جلل ، هو قطع الصلة بين هذا الجيل الذي أريد له أن يركن إلى الراحة ، وبين تراث آبائه وأجداده ، ذلك لأنه من غير المعقول أن يصحب هذا التغيير في رسم الهمزة تغيير مماثل في كل كتب التراث المطبوعة والمخطوطة ، فهل نرضى لأنفسنا أن نركن إلى جانب الراحة في أول مراحل عمرنا ، وفي أول عهدنا بتعلم الكتابة لنحرم أنفسنا من قراءة التراث الذي تركه السلف لنا ميراثاً شرعياً حلالاً؟؟

(١) انظر مجموعة البحوث والمحاضرات (الدورة السادسة والعشرين) ص ٢١٥ .

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٢ من ص ١١٢ إلى ص ١١٤ (بتصرف).

وعلى فرض أنه يمكن تغيير رسم الهمزة فى كل كتب التراث ، فهل يمكن تغييره فى رسم المصحف أيضًا؟؟ الواقع أننا إذا تمسكنا بما أثر فى خط المصحف ، فمعنى ذلك أنه سوف يصير بعد جيل من الناس طلسمًا معممًا ، لا يمكن أن يقرأ فيه إلا بالعودة إلى المصطلح السلفى فى رسم الهمزة وتعلمه من جديد .

وإذا تجرأنا وغيرنا كذلك رسم المصحف على نحو ما سيفعل فى كتب التراث ، فإن المصيبة سوف تكون أشد وأنكى ، لأننا عرفنا سابقًا أن رسم الهمزة على النحو المؤلف لنا حاليًا فى خط المصحف بمثابة دليل ماضى وتاريخى يمكن من خلاله التعرف على لهجات بعض القبائل العربية فسواء أخذنا بهذه المقترحات فى رسم المصحف أم لم نأخذ ، فإننا سوف نقابل صعوبات ومشاق إذا ما أردنا الاتصال بالمصحف تفقها فى الدين ، وحفاظًا على ما أنزل الله من كتاب وذكر ، أو للتأمل فى اللغات واللهجات التى نزل بها القرآن ودُون بها . وإذن فلاحاجة بنا إلى هذه المقترحات التى سوف يترتب عليها كل ذلك .

الهمز والتسهيل فى اللهجات الحديثة

الآن ، بعد أن عرضنا لظاهرة الهمز والتسهيل فى اللهجات القديمة بصورة مفصلة ، كنا نود أن نعرض لمثل ذلك فى اللهجات الحديثة ، التى تمثل الصورة المتطورة لتلك اللهجات القديمة ، ولكننا وجدنا الأمر يختلف تمامًا ، ذلك لأننا إذا كنا قد اعتمدنا فى دراسة الظاهرة فى اللهجات القديمة ، على كتب اللغة وعلى الروايات التى وردت فى المعاجم العربية ، وعلى القراءات القرآنية ، وكنا قد وجدنا فيها مادة خصبة لدراسة الظاهرة . . . فإننا نفتقد هذه المصادر والمراجع إذا ما أردنا دراستها فى اللهجات الحديثة .

فالتريق الأوضح لدراسة هذه الظاهرة ، وأمثالها فى اللهجات الحديثة هو - كما قال الدكتور عبد الفتاح شلبى - أن نرحل إلى البلاد المختلفة التى يراد فحص لهجاتها ، مدينة مدينة ، وقرية قرية ، بل إلى ما هو أصغر من ذلك ، فيما يعرف عندنا فى مصر (بالعزب والكفور) ، نعم نرتحل إلى هذه البلاد ، ونقيم فى كل بلد ما شاء الله ، أن نقيم ، نتحدث إلى أهله ونستمع إليهم ، ونسجل لهم على آلات خاصة (كالدكتافون) لهجاتهم ، وطريقتهم الملتزمة منهم فى أدائهم ، ونجمع مادة البحث ، مما يسجل على هذه الآلات ، ومما تلحظه الأذن فيما يجرى فى أفواههم ، وعلى حناجرهم وألسنتهم من أصوات ، ثم نعود من هذه الدورة الواسعة ، بما جمعنا من مادة مسجلة كما يعود العامل إلى معمله يفحص ويبحث ، ويتبع ، ويستقرئ ويحلل ويفسر ويعلل ، ثم يستنتج أو يحكم ، وعند ذلك فقط تكون النتيجة أقرب إلى الصحة وأدنى إلى الصواب^(١).

(١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص ٢٩٣ ط: الثانية.

وهذه الطريقة المثلى لدراسة الظواهر اللهجية الحديثة ، قلما تتوفر وسائلها لباحث ، ذلك لأن المال الكثير ، والوقت الوفير ، والنقلة وما يكتنفها من مصاعب ومشاق ، والسبيل إلى مخالطة الناس في كل بقعة من البقاع . . . تعد عناصر أساسية في تنفيذ الطريقة المشار إليها ، ولا نخجل إذا قلنا إننا نفتقد عناصر هذه الدراسة ، لذلك نريد للقارئ أن يعرف أن الغرض من هذا الفصل هو الإشارة إلى ظاهرة الهمز والتسهيل في اللهجات العربية الحديثة على سبيل الإجمال ، وأن يدرك أن هذه الظاهرة ما زالت موجودة في ألسنتنا العربية الحديثة على اختلاف أقطارها ، وفي صورة ربما كانت قريبة مما كانت عليه في ألسنة القبائل العربية في صدر الإسلام ، وننبه القارئ أيضاً إلى أننا سوف نعرض أساساً للتغيرات التي انتابت الهمزة في ألسنة المصريين في صورة ربما كانت أقرب إلى الصدق والواقع ، لأن المصرية لساننا ، وكثيراً ما تتردد على آذاننا ، في مختلف صورها ، من مختلف الأمكنة والبقاع . . . وننبه - كذلك - إلى أننا سوف نورد أمثلة لتلك التغيرات من اللهجات العربية الحديثة غير المصرية ، إذا ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً .

ولا نبالغ إذا قلنا ابتداء إن معظم اللهجات العربية الحديثة مالت إلى التخلص من الهمزة ، حتى كادت تختفى تماماً من ألسنة الناطقين غير المثقفين في الأقطار العربية ، واللهجات الحديثة اتخذت في التخلص من نطق الهمزة طريقتين :

أولهما : إبدال الهمزة بحرف أسهل منها في النطق .

ثانيهما : حذف الهمزة .

وإليك التفصيل :

أولاً : حالات الإبدال :

(١) تبدل الهمزة عينا في النطق المصري الحديث بصورة مطردة في بعض الكلمات ، ومن ذلك مثلاً مادة (ف ق أ) التي تحولت إلى مادة (ف ق ع) ، فالمصريون غير المثقفين يقولون : **الْوَلَدُ فَقَعَ عَيْنَ الْبَيْتِ** ، **أَفَقَعَ لَهُ عَيْنُهُ** ، **فَلَانْ مَفْقُوغُ الْعَيْنِ** ، **عَيْشُ مَفْقَعٍ** . . . وأصلها : **فَقَأَ** ، **أَفَقَأَ** ، **مَفْقُوغٌ** ومَفْقَأٌ ، فحولوا

الهمزة إلى العين ، والقاهريون منهم يحولون القاف أيضاً إلى الهمزة في الأمثلة السابقة ، كما هي عاداتهم .

ويبدو أن إبدال الهمزة عينا في هذه المادة بالذات ، له جذور قديمة فعامة أهل الأندلس وصقلية - كما نقل الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) وابن مكي (ت ٥٠١هـ) - كانوا يقولون : فَفَعْتُ عَيْنَ الرَّجُل ، وهو مَفْقُوعُ العين ، وابن المفقع (ذم) بدلا من فقأت ، ومفقوء ، ومفقأ^(١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول بعض المصريين لمن يبكى ويصرخ بصوت عال : (فلان جَعْرٌ أو يُجَعْرُ) ، «والراجع أن قول العامة (جَعْرٌ) هو من (جَارٌ)^(٢) ومن أمثله - أيضاً - قول المصريين لمن يمشى في الطريق بغير استقامة : (فلان تَلَكَّعَ ، أو يَتَلَكَّعُ ، أو لُكِعِي) ، وأصلها في اللغة الفصحى : تَلَكَّأَ ، وَيَتَلَكَّأُ ، . وقريب من ذلك قولهم : (أَتَمَطَّعُ وَيَتَمَطَّعُ) في أتمطى ويتمطى^(٣) . ومن أمثلة ذلك - أيضاً - قولهم : (عَكُوش) اسم علم ، وأصله (آق قُوش) أى الطير الأبيض ، وهو الرخم في لغة الأتراك^(٤) .

تلك أمثلة شائعة لإبدال الهمزة عينا في معظم لهجات القطر المصري ، وهناك أمثلة أقل شيوعاً ، تدل على أن إبدال العين من الهمزة كان أكثر شيوعاً في بعض اللهجات المصرية من بعضها الآخر ، ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن هذا الإبدال قد حدث بصورة أوسع في لهجات الصعيد ، ففي أسيوط وما يليها من ناحية الجنوب نسمع : لَكَهْ بِالْعَصَا ، وَلَفَعَهُ قَلَمَيْنِ ، وَلَطَعَهُ عَلَى قَفَاهُ . . . وأصل الأفعال السابقة في اللغة الفصحى : لَكَأَهُ ، وَلَفَأَهُ ، وَلَطَأَهُ . . . وكلها يجمعها معنى عام واحد هو الضَرْبُ^(٥) . ويقولون - أيضاً - : فلان خَسِيعٌ أو خَسِيعٌ أى ردىء الأصل ، ولو راجعنا القاموس المحيط لوجدنا : خسيى ، كأمير ، ومعناه : الردىء^(٦) .

(١) انظر : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٤١ .

(٢) انظر : معجم تيمور الكبير ص ٣٤ . (٣) انظر : معجم تيمور ص ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤ . (٥) راجع القاموس المحيط مادة : لكأه ، ولَفَأَهُ ، وَلَطَأَهُ .

(٦) راجع القاموس المحيط مادة : خساً .

ويقولون كذلك : لَعُ في أداة النفس (لا) والتي صارت في بعض السنة المصريين : لا بالهمزة ، وإبدال الهمزة عينا في هذه الأداة ، موجود أيضاً في بعض قرى الوجه البحري من مصر .

ويقول بعض أهل الصعيد أيضاً : أَسْعَلَكُم سُعَالٌ في (أَسَأَلَكُم سُؤَال) وفي طهطا وما حولها يقولون : الجُرْعَان ويريدون : القرآن لأنهم يقلبون القاف جيما مصرية قاهرة . ويقولون : عَلاَجَهْ أَى : ألاجة لنوع من الثياب الحرير^(١) .

وإذا ما تركنا اللهجات المصرية ، لانعدم أن نجد أمثلة لإبدال العين من الهمزة في اللهجات العربية الحديثة الأخرى ، كلهجات العراق والسودان والمغرب واليمن . ومن أمثلة ذلك ما نجده في لسان أهل بغداد ، حيث يقولون : لَعُ في (لا) كما يفعل أهل الصعيد بمصر ، ومما يؤكد ذلك مثلهم المشهور : (ابْنُ ابْنِكَ : ابْنُكَ ، ابْنُ ابْنِكَ : لَعُ ، ابن الزَّنا يَنْفَعَكَ ، ابن الهَرْكَرَكَ : لَعُ)^(٢) .

ويوجد مثل ذلك - أيضاً - في بعض لهجات السودان ، ومنه : « قَالَ لِيْهِمْ ، عَايزُ أَسْعَلَكُم سُعَالٌ » . ويراد : أَسَأَلَكُم سُؤَال . ويقولون : الْمَسْعَلَةُ هَيْئَةٌ ، أَى المسألة هينة . ويقولون : ضَاعَ الْعَانُ صَبْرِي ، ويراد : الآن^(٣) .

وتحتفظ - أيضاً - لهجة شمال المغرب ببعض الكلمات التي أبدلت فيها العين من الهمزة . ومن ذلك قولهم : الْعُنْبُوبُ ، الْعُفْيُونُ في : الأنبوب والأفيون . ولم يقتصر هذا الإبدال على الهمزة الواقعة في أول الكلمات بل كانوا يقلبونها عينا وهى في آخر الكلمة ، فيقولون : تَخَبَّعُ ، نَشَاعَ اللهُ ، فى : تَخَبَّأُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ^(٤) .

كذلك قد تقلب الهمزة عينا في بعض لهجات اليمن الحديثة ، وقد وجد ذلك في لهجة صنعاء فقط ، وفي مادة واحدة هى (ب د ع)، فمثلاً كانوا يقولون : بَدْعُ =

(١) انظر: معجم تيمور الكبير ص ٣٥ .

(٢) الأمثال البغدادية المقارنة للعميد عبد الرحمن التكريتى ص ٥٤ .

(ابن الهَرْكَرَكَ « ابن الزوجة الريب) .

(٣) انظر: من لهجات الجزيرة وأدبها بالسودان ج ١ ص ١٢٢ د. عبد الحميد طلب .

(٤) انظر: لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) د. عبد المنعم سيد عبدالعال ص ٧٢ .

بدء ، والبَادِعُ = البادئ ، وأبدعُ = أبدأ . ومن ذلك الاستعمال قول الأنسى - وهو القاضي عبدالرحمن بن يحيى الأنسى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ وأحد شعراء اليمن:-

فخذ لبذع الهوى مختمَ سلامٍ إلى يوم الدين تلقاني
والبادعُ أظلم وما قد تمَّ ما أحدٌ يزيدُ فيه بعثاني

وفى قوله : أبدعُ بها واجعل المقصود منها ختامه^(١).

(٢) تبدل الهمزة الواقعة فى أول الكلمة واوا فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، ومن أمثلة ذلك فى لسان بعض المصريين ما يأتى :-

أ- يقولون فى وصف من تعود على فعل شئ (فلان وأخذ على كذا) أى : أخذ على كذا ، أبدلت الهمزة الأولى واوا ، ومثله الوكلُ فى الأكل ، وكله فى أكله .

ب- ويقولون فى وصف من لام شخصاً وعنّفه بشدة : (وبّخه تويخاً) وهو أحد الوجهين الموجودين فى العربية الفصحى ، والآخر هو : أبّخه تأيخاً^(٢) بالهمز ، ومثله : التّوكيد والتأكيد .

ج- إذا اشتعلت النار فجأة ، يقول بعض المصريين : (وجّت النار) ، والموجود فى القاموس : تأججت^(٣) .

د- ويقولون لمن تأخر فى المجيء أو فى الميعاد : (أنت وخرت على) والمعنى : تأخرت .

هـ- ويقولون للأنيس الجليس : (ونُست) بمعنى : آنست ، والوئيس : الأنيس .

و- ويقولون : (ودنّ فى أذن) ، وبعض أهل الصعيد بمصر يكسرون الدال من الكلمة السابقة ، فيشبهون فى نطقهم نطق البدو فى إقليم ساحل مريوط ، حيث يقولون : (ودنّ ، وكلّ ، وخذ) ويناظرونها فى العربية الفصحى : أذن وأكل وأخذ^(٤) . ويقولون لمن يتأثر بما يسمع من وشاية ، (ودنى) وهو ما عناه القرآن فى قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (التوبة: ٦١).

(١) راجع: لهجات اليمن قديماً وحديثاً للأستاذ أحمد حسين شرف الدين ص ٤٤.

(٢) القاموس المحيط مادة (أبخ) و(ويخ).

(٣) القاموس مادة (أج).

(٤) لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٨١.

ز- يقول بعض أهل الصعيد فى أداة الاستفهام (أَيْنَ؟) : (وَيْنَ) ، ومثل هذا الإبدال فى هذه الأداة نجده فى بعض لهجات السودان ، ومن أقوالهم المأثورة فى ذلك : (كَاتِلَ الرُّوحِ وَينَ يَرْوَحُ)^(١) ، ولهم كلمات أخرى أبدلوا الهمزة فيها واوا ، مثل كلمة (الوَلُوف) وأصلها بالهمزة من أَلَفَ ، وكلمة (وَيَّان) ومعناه : إِيَّانُ أى : حين ، وكلمة (وَكَلَّتْ) بمعنى : أَكَلَتْ^(٢) .

ويوجد مثل ذلك - أيضاً - فى لهجة شمال المغرب بإقليم تطوان وما حوله فهم يقولون : (وَحَرَّ - وَذن - وَئس - وِين) فى : (أَخَرَّ - أَذن - أَنس - أَيْن^(٣) . . .) .

وكذلك كانت تبدل الهمزة واوا ، إذا وقعت بعد واو العطف ، فى لهجات اليمنيين الموجودين بقرية التربة ، بعزلة زيحان بلواء تعز ، وكانوا يقولون فى ضمير المتكلم (أنا) إذا وقع بعد واو العطف : (وَأَنَا) بتحويل الهمزة إلى حرف مد . ويقولون - أيضاً - : (وَوَاتَا) بدلاً من (وَأَنَا) وكذلك الحال فى ضمير المخاطب (أَنْتَ) يقولون بعد واو العطف (وَأَنْتَ ، وَوَنْتَ) بالقلب واوا^(٤) .

وننبه - هنا إلى أن بعض اللهجات العربية الحديثة ، كانت تحافظ على الهمزة فى أول الكلمة ، فمثلاً نجد الهمزة فى كلمة (أذن) التى تحولت إلى الواو فى اللهجات المصرية ، وفى لهجة شمال المغرب كما سبق ، حوفظ عليها فى لهجات أخرى مثل لهجة بغداد وفلسطين والكويت وعامية نجد .

ويتضح ذلك من استعمالاتهم لها^(٥) : فالمثل البغدادى يقول : (إِذِنْ طِينْ وَإِذِنْ عَجِينْ) . والمثل الفلسطينى يقول : (حَاطِطْ فى أَذنْ طِينْةً وَفى الثَّانِيَّةِ عَجِينْةً) . والمثل الكويتى يقول : (إِذِنْ فِيهَا طِينْةً وَفى الآخِرَةَ عَجِينْةً) . والمثل النجدى يقول :

(١) من لهجات الجزيرة وأدبها بالسودان ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) السابق باختصار .

(٣) لهجة شمال المغرب ص ٧٢ .

(٤) انظر مقال بعنوان: (مفردات من تعز وتربة زيحان) للدكتور خليل نامى ، بمجلة كلية الآداب عدد

٨٢ المجلد العاشر الجزء الأول مايو ١٩٤٨ .

(٥) انظر: الأمثال البغدادية المقارنة ص ١٢٧ .

(فى إِذْنٍ طَيِّنَةٍ ، وفى الأُخْرَى عَجِينَةٍ) . بينما المصرى يقول : (وِذْنٌ مِنْ طِينٍ ، وَوِذْنٌ مِنْ عَجِينٍ).

ويبدو أن إبدال الهمزة على النحو السابق فى اللهجات الحديثة ، ذو صلة وثيقة بما كان يحدث فى لهجة طيئ التى كانت تقول : وَأَتَيْتُهُ ، وَوَأَخَيْتُهُ ، بدلاً من آتَيْتُهُ وَأَخَيْتُهُ ، وذو صلة بما كان يحدث فى لهجات الحجازيين حيث كانوا يقولون : وَكَذَّتْ الكلام تَوَكِيداً ، وأوكفت البغل ، وأوصدت الباب فى مقابل لهجة تميم : أكدت الكلام تأكيداً ، وآكفت ، وآصدت .

(٣) تبدل الهمزة المتوسطة الساكنة إلى حرف من جنس حركة ما قبلها فى اللهجات الحديثة ، فمثلاً :

أ- الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها تحولت إلى الألف فى لهجات المصريين عموماً ، فأينما حللت تسمع : (الْفَاسُ والرَّاسُ وَالْكَاسُ وَالْفَارُ والتَّارُ وَالْقَالَ ، وَالْمَاقُ ، وتَاخُذُ ، وَتَاكُلُ ..) وأصل هذه الكلمات بالعين المهموزة فى العربية النموذجية ، وهذا التحويل شبه مطرد فى لهجة المصريين ، ولا فرق فى ذلك بين من يسكن المدن والأرياف ، وبين البدو الذين يتنقلون فى الصحراء ، فبدو إقليم مريوط يقولون - مثلاً - : (الْمَامُورُ - رَأْسُ - يَأْكُلُ - يَأْخُذُ - يَأْمَنُ)

وتناظرها فى العربية النموذجية : المأمور ، رأس ، يأكل ، يأخذ ، يأمن^(١) .

وفى بعض الكلمات كانت الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها تتحول فى لهجات المصريين إلى الياء ، بعد كسر ما قبلها ، فيقولون : (قَرِيتُ الْكِتَابُ - تَوَضَّيْتُ لِلصَّلَاةِ - نَشَيْتُ ابْنِي عَلَى الْفَضِيلَةِ - دَهَبْتُ إِلَى الْمَيْتَمِ). وهذا التحويل ذو صلة وثيقة بما كان يحدث فى لهجة هذيل ، وما أثر عن أبى عمر الهذلى من قوله : (تَوَضَّيْتُ)^(٢) فى (تَوَضَّأْتُ) - كَافٍ فى الدلالة على هذه الصلة ، وعلى أن ما يحدث الآن من التسهيل هو نفس ما حدث فى ألسنة القبائل الحجازية قديماً .

(١) انظر: لهجات البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٨٠ .

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٤ .

وهذا التحويل أو ذاك ، موجود وشائع فى اللهجات العربية الحديثة الأخرى ،
 ففى عامية نجد مثلاً يقال : (يَاكُلْ) فى (يَاكُلْ) ومن أمثالهم المشهورة فى ذلك :
 (إِلَى صَارَ رَفِيقَكَ حِلْوٌ فَلَا تَأْكُلْهُ غِرَّةً) ^(١). ومعناه : إِذَا كَانَ صَاحِبُكَ حُلْوًا فَلَا تَأْكُلْهُ
 مَرَّةً وَاحِدَةً . ويقولون : (رأس) فى : رأس ، ومن أمثالهم فى ذلك : (إِلَى قَبْلَ رَأْسِكَ ،
 مَا هُوَ عَلَيْكَ رَحْتَ تَلْمِئُهُ) ^(٢). وهو يضرب مثلاً على أن الإنسان يتشكك فى كل
 شىء حتى فى الشىء الواضح ، وأن ذلك من طبيعته . ويقولون فى يأخذ : (يَاخُذْ) ،
 ومن أمثالهم فى ذلك : (أُمُّ مُوسَى تَأْخِذُ الْأُجْرَةَ وَتَرْضَعُ وَلَدَهَا) ^(٣) وهو يضرب
 لمن يجتمع له أمران محبوبان .

وفى تونس نجد مثل هذا النطق ، فهم يقولون : (ما تَأْخُذُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ اللَّيْ
 يَضْحَكُ ، خُذْ كَلَامَ اللَّيْ يَبْكِيكَ) ^(٤). ونجده فى الجزائر - أيضاً - ومن كلامهم
 (خُذْ رَأْيَ اللَّيْ يَبْكِيكَ ، وَلَا تَأْخُذْ رَأْيَ اللَّيْ يَضْحَكُ) ^(٥) ، وفى المغرب بإقليم
 « تطوان » يقولون : (رأس ، وكأس ، ومأبون) فى : (رأس ، وكأس ، ومأبون) ، ومن
 أمثلة الجزائر - أيضاً - (مَا تَكْبِرُ رَأْسٌ غَيْرَ إِنْ تَشِيبَ رَأْسٌ).

وأغلب سكان اليمن - أيضاً - يبدلون الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها ألفاً ،
 فيقولون : (البأس والرأس) فى : (البأس والرأس) ومن ذلك قول شاعرهم الآتى ^(٦) :-

مَا فَسَادُ الْبِلَادِ غَيْرُ مِنَ النَّاسِ مَنْ كُفِيَ شَرَّهُمْ مَا لَقِيَ بَاسُ
 فَهَمُّ الرَّجُلِ فِي الشَّرِّ وَالرَّاسِ

(١) الأمثال العامية فى نجد - محمد العبودى - ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦ .

(٤) الأمثال البغدادية المقارنة ص ٦٢ .

(٥) السابق نفس الموضع .

(٦) لهجات اليمن قديماً وحديثاً ص ٤٠ ، ٤١ .

وقد يبدلونها ياء مع كسر ما قبلها ، كما يحدث فى اللهجات المصرية ، ففى تعز - أحد ألوية اليمن - يقولون فى (بَدَأْنَا) : (بَدَيْتْنَا)^(١) وقد ذكرنا فيما سبق أن هذه لهجة حجازية أنصارية .

ب- وكذلك الهمزة الساكنة المكسور ما قبلها فقد تحولت فى لسان المصريين إلى الياء ، فهم يقولون : (المِيدَنَة - الدَّيْب - البِير - جِيَتْ ...) فى : «المِثْنَة - الذَّئْب - البِثْر - جِيَتْ . . . » وهكذا ولا تختلف فى ذلك لهجة البدو عن لهجة الحضر ، فالبدو فى إقليم ساحل مريوط يقولون : (الدَّيْب البِير)^(٢) أيضاً .

ومثل هذا التحويل نجده فى لهجة شمال المغرب ، فهم يقولون - أيضاً - (دَّيْب - لَبِير)^(٣) ونجده أيضاً فى عامية نجد ، ومن أمثالهم فى ذلك : (اذْكُرْ الدَّيْبَ وَهَى الْقَضِيبِ)^(٤) ، ومنها : (الدَّيْبَ مَا يَسْرَحُ بِالْغَنَمِ)^(٥) ومعناه : أن الذئب لا يعطى الغنم ليرعاها . ونجده كذلك فى لهجات السودان ومثلهم الدال على ذلك : (حَرَسُوا الدَّيْبَ عَلَى الْغَنَمِ) ، وفى ليبيا يقولون : (وَكَلُّوا الدَّيْبَ بِالْغَنَمِ). وفى بغداد : (أَمَّنْ غَنَمَهُ عِنْدَ الدَّيْبِ)^(٦) ، ونجده - أيضاً - عند معظم سكان اليمن^(٧) .

ج- وكذلك أبدلت الهمزة الساكنة المضموم ما قبلها واواً فى اللهجات المصرية الحديثة ، ففى أنحاء مختلفة نسمع : (أَبُو سِنَّة لُولَى ، الْمُؤْمِنُ مُصَابُ ، يُوْنَسْكُ) فى : (أَبُو سِنَة لُولُويَة ، والمؤمن مصاب ، ويُوْنَسْكُ ...) ومثل هذا الإبدال موجود أيضاً عند بدو إقليم مريوط ، فهم يقولون : شُوْم ، مُؤْمِن ، يُوْكَلْ فى : شُوْم ومُؤْمِن ويُوْكَل وقد يحذفون هذه الهمزة كما فى قولهم : (شُبُوب) فى (شُوبُوب)^(٨) .

(١) مقال للدكتور خليل نامى بمجلة كلية الآداب/ المجلد العاشر/ الجزء الأول مايو ١٩٤٨ .

(٢) لهجة البدو بإقليم ساحل مريوط ص ٨٠ .

(٣) لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) ص ٧٢ .

(٤) الأمثال العامية فى نجد ص ٢٣ .

(٥) السابق ص ١٠٣ .

(٦) الأمثال البغدادية المقارنة ٢٤٠ .

(٧) راجع لهجات اليمن قديماً وحديثاً ص ٤١ .

(٨) لهجات البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٨٠ .

ويوجد مثل ذلك الإبدال فى عامية نجد ، ومن أمثالهم المشهورة فى ذلك :
(السَّم ما يُوكَلُ تَجَرَبَة)^(١) وأصلها : ما يؤكل تجربة ، ولا أشك فى ذبوع تلك
الأنواع الثلاثة السابقة من الإبدال فى كل اللهجات العربية الحديثة الأخرى . وإن
كنت لم أعثر لها على أمثلة .

وأكرر - هنا - أن الهمزة الساكنة كيفما كانت الحركة قبلها ، تحولت فى
اللهجات العربية الحديثة إلى صوت لين من جنس ما قبلها - غالباً - ، ويكاد يكون
هذا التحويل مطرداً فيها ، وهو فى معظمه مطابق للقياس عند النحويين والقراء ،
وتعليل ذلك الذى سبق أن ذكرناه وهو أن العرب كانت لا تنطق بهمزة ساكنة فيما
عدا بنى تميم كما قال الفراء .

إذن لهذا الإبدال فى اللهجات العربية الحديثة صلة وثيقة بما حدث فى اللهجات
العربية القديمة فى عصر صدر الإسلام ، بل هو صورة صادقة لما كان شائعاً بين
تلك القبائل ، بغض النظر عن كونها بدوية أو حضرية .

(٤) الهمزة المتحركة إذا كان قبلها ساكن صحيح ، تحذف غالباً فى اللهجات
العربية الحديثة ، كما هو القياس فى تخفيفها ، وسوف نذكر أمثلة لذلك فى
حالات الحذف .

وفى بعض الأحيان كانت اللهجات العربية الحديثة تخالف القياس ، فلا تحذف
تلك الهمزة ، وإنما كانت تنقل حركتها إلى ما قبلها ، وتحولها إلى صوت لين من
جنس الحركة المنقولة ، وبعض المصريين يقولون فى المضارع من سأل : (تَسَالُ)
وفى الأمر منه : (سَالُ) وهذه اللهجة شائعة فى نواحي أسبوط من الوجه القبلى ،
فمن عباراتهم المألوفة : (واجبُ عَلَيْكَ تَسَالُ عَلَى جَارِكَ - إِنْ كُنْتُ وَفَى سَالُ عَلَى
جِيرَانِكَ) وإلى جانبها تستعمل لهجة التحقيق أيضاً ، فيقولون : اسأل ، وتَسأل .

ويبدو أن التخفيف على النحو السابق له صلة بما كان يحدث فى لسان قريش ،
إذ هم الذين كانوا يقولون : (تَسَالُ) بكسر أول المضارع ، ولا أظن أن هذا الفعل

(١) الأمثال العامية فى نجد ص ١٢٧ .

ماضيه (سَلْتُ) من باب (خاف) ، كما قال بعض أهل اللغة ، وإنما هو من (سَأَلَ) غير أنه كسر منه حرف المضارعة ، وألقيت حركة الهمزة فيه على الساكن قبلها ، وحولت الهمزة بعد ذلك إلى حرف مد من جنس الحركة المنقولة ، ويؤكد هذه الصلة ، وتلك الدعوة أن القرى التى تنطق به على النحو السابق فى نواحي أسيوط تستعمل المضارع المذكور من (سَأَلَ) فإذا أسندوا إلى الضمير قالوا : (سَلْتُ) بفتح أوله ، ويقولون - أيضاً - (سَأَلْتُ) بالتحقيق ، وتلك القرى ينتهى نسبها إلى قبائل عربية حجازية ، كما تدل أسماؤها فهناك قرية بنى عدى التى تنتسب إلى قبيلة عمر بن الخطاب ، وهناك قرية بنى غالب التى تنتسب إلى إحدى قبائل قريش أيضاً

وإذا تجاوزنا اللهجات المصرية إلى غيرها من اللهجات العربية الحديثة ، وجدنا أمثلة تدل على انتشار هذا اللون من التسهيل ، فأهل نجد يقولون فى أمثالهم المشهورة : (شِفْ حَالَهُ وَلَا تَسْأَلَهُ)^(١) أى ولا تسأله . ويقولون : (أَلْجَلْ حِصْنُ حَصِين)^(٢) ، أى الأجل ، ومعناه : أن أجل الإنسان إذا لم يحن موته كالحصن المنيع يرد عنه من يريد قتله ، وهو مثل قديم .

وكذلك أهل المغرب يسهلون المضارع من (سَأَلَ) على النحو السابق ، فسكان إقليمى تطوان وفاس يقولون : (سَلْ الْمَجْرَبْ وَلَا تَسْأَلِ الطَّيِّب)^(٣) . وأما غير سكان هذين الإقليمين ، فيخففون التخفيف القياسى ، فيقولون فى الأمر والمضارع : (سَلْ لَمْجَرَبْ لَا تَسَلْ الطَّيِّب)^(٤) ، ويبدو أن أهل الجزائر كانوا يجمعون بين التخفيف القياسى وغيره ، ويظهر ذلك من مثلهم (سَلْ الْمَجْرَبْ وَلَا تَسْأَلِ الطَّيِّب)^(٥) فقد سهّلوا الأمر على مقتضى القياس بالحذف والنقل ، وسهّلوا المضارع بالنقل والتحويل إلى صوت اللين .

(١) الأمثال العامة فى نجد ص ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤ .

(٣) الأمثال البغدادية المقارنة ص ١٣٥ .

(٤) الأمثال البغدادية المقارنة ص ١٣٥ .

(٥) السابق ص ١٣٤ .

فأما أهل بغداد فيظهر أنهم يحافظون على الهمزة محققة في هذين الفعلين فهم يقولون : (اسْأَلْ مِجْرَبٌ وَكَيْتَسْأَلْ حَكِيمٌ) ^(١) ، وكذلك أهل السودان وسورية ومصر (بعضهم) ، والكويت يحافظون عليها محققة ، فيقولون : (اسْأَلْ الْمِجْرَبُ وَلَا تَسْأَلْ الطَّيِّبُ) ^(٢) .

والذى يمكن أن يقال هنا ، هو أن اللهجات الحديثة اتجهت - غالباً - إلى تسهيل الهمزة فى الأمر والمضارع من سأل ، بل يمكن رد التحقيق فى الأمثال السابقة إلى لهجات بدوية ، أو إلى ألسنة بعض المثقفين المتأثرين باللغة النموذجية .

(٥) الهمزة المتطرفة المسبوقة بواو أصلية ساكنة ، أو بياء أصلية ساكنة تبدل فى بعض اللهجات المصرية الحديثة حرف لين من جنس ما قبلها وتدغم فيه .

ومثل ذلك ما نسمعه فى بعض نواحي أسيوط من الوجه القبلى بمصر ، فهم يقولون مثلاً فى كلمة (السَّوَّة) و(التَّوَّة) : (السَّوْ ، والتَّوْ) ، ومن تعبيراتهم فى ذلك : (رَبَّنَا مَا يُجِيبُ سَوَّ) ، ويقولون لمن يُتَشَاءُ منه : (أَنْتَ تَوَّ) والتطير بالأنواء عادة جاهلية قديمة ، ويقولون : (شَيْ) فى (شَيْء) . . . وهكذا . وأحياناً يقلبون الهمزة المسبوقة بالواو إلى الواو ويدغمون ، ثم يقلبون الواو المشددة إلى الياء المشددة ، فيقولون : (ضَىَّ الشمس) بدلاً من (ضَوَّ الشَّمْسِ) .

(٦) الهمزة المتحركة بعد ألف فاعل من الأجوف المعل العين ، صارت إلى الياء فى اللهجات الحديثة ، حتى من الأفعال الواوية العين غالباً . فالمصريون يقولون : (صَايِم - زَايِر - دَايِر - رَايِب - غَايِب - شَايِب - زَايِد) ولا يختلف فى ذلك البدو عن سكان المدن ، فبدو ساحل مريوط يقولون : (يَايِم - يَايِل - بَايِد - فَايِذَه) فى (قائم قائل وبائد وفائدة) ^(٣) ، فهم يحولون الهمزة بعد ألف فاعل إلى حرف لين من جنس حركتها وهو الياء ، وبدو مريوط ينطقون

(١) الأمثال البغدادية المقارنة ص ١٣٤ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) لهجات البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٨١ .

القاف ياء ، كما هو واضح من : قائل وقائم وكذلك الحال بالنسبة إلى
الهمزة الواقعة بعد ألف الجمع الأقصى ، فكثيراً ما نسمع : الْقَبَائِلُ وَالْحَوَائِجُ
وَالْعَمَائِرُ وَالْكَبَائِرُ والدَّوَائِرُ . . . فى : القبائل والحوائج والعمائر والكبائر
والدوائر .

وهذا التحويل أو ذاك ، نجده فى لهجات عربية حديثة أخرى : فأهل نجد فى
أمثالهم يقولون : (اللّٰى مَا فِيْهِ فَايْدَهْ ، تَرْكُهُ فَايْدَهْ) ^(١) ، ويقولون فى شأن الدنيا :
(زَوَائِدَهَا نَقَائِصُ) ^(٢) ، ويقولون : (الشَّارِى أَبْرَكَ مِنَ الْبَايِعِ) ^(٣) ، ويقولون : (عِشْ
كَثِيرٌ تَرَى عَجَائِبَ) ^(٤) ، والأصل : فائدة ، وزوائد ، ونقائص ، والبائع وعجائب .
وأهل تطوان فى شمال المغرب يقولون : (الْقَائِدُ ، الْقَائِلُ ، طَائِفٌ ، شَعَائِرٌ ،
حَمَائِمٌ) ^(٥) . وأهل بغداد يقولون : (اتَّعَبَ يَا شَجِى لِلنَّايِمِ الْمُتَّجِى) ^(٦) ، ويقولون :
(إِذَا طَبَّتْ الْمَلَائِكَةُ انْهَزَمَتِ الشَّيَاطِينُ) ^(٧) ومعظم سكان اليمن يقولون : (سَائِرٌ
وَطَائِرٌ) ومن ذلك قول الأنسى - أحد شعراء اليمن : -

شَاسِيرٌ بَغْدُوكُ حَيْثُ مَا أَتَتْ سَائِرُ ^(٨)

فأسماء الفاعلين فى الأمثال السابقة ، تنطق فى اللغة الفصحى مهموزة العين ،
وكذلك جموع التكسير تنطق بهمزة بعد ألف الجمع ، وقياس تسهيل هذه الهمزة
عند النحاة والقراء هو بين بين لا غير ، لذلك يعد تحويلها إلى الياء من باب
المبالغة فى التخلص من الهمزة ، وهذا التحويل له جذور قديمة ، وقد قدمنا
ما يدل على ذلك فى الرواية التى رواها أبو عمر الدانى عن ابن كثير من أنه لم
يهمز فاعلاً ، ولا فاعلين ، ولا فاعلات من ذوات الواو والياء ^(٩) وقد نقل عنه
ابن خالويه أنه كان يقرأ (شَعَائِرٌ) بغير همزة فى بعض رواياته ^(١٠) .

- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) انظر: الأمثال العامة فى نجد ص ٢٨. | (٢) المرجع السابق ص ١١٨. |
| (٣) المرجع السابق ص ١٢٨. | (٤) المرجع السابق ص ١٧٦. |
| (٥) لهجة شمال المغرب ص ٧٢. | (٦) الأمثال البغدادية المقارنة ص ٦٤. |
| (٧) المرجع السابق ص ١١٢. | (٨) لهجات اليمن قديماً وحديثاً ص ٤١. |
| (٩) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١١١ = وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٩٠ . | |
| (١٠) مختصر فى شواذ القراءات ص ١١. | |

وكل ذلك يؤكد وجود الصلة بين اللهجات العربية القديمة ، واللهجات العربية الحديثة ، إلا أن تحويل همزة بين بين بعد ألف فاعل وبعد ألف الجمع الأقصى ، أكثر فى اللهجات الحديثة منه فى اللهجات القديمة ، وهذا يعنى أن همزة بين بين تطورت إلى صوت اللين الخالص فى اللهجات الحديثة مبالغة فى التسهيل .

(٧) الهمزة المتحركة المسبوقه بواو زائدة لمحض المد : تبدل فى لسان المصريين واوا وتدغم فى الواو قبلها ، كما هو القياس فى تسهيلها ، ولهذا نرى بعض المصريين يقولون : (فَلَانُ خَفِيفُ الْمُرُوَّةِ) إذا كان ذا مُرُوَّة ، ويقولون : (قُمْتُ فِي هُدُوِّ اللَّيْلِ) ، وقد يقلبونها ياء ويحولون الواو قبلها إلى الياء ، ويدغمون ، فيقولون فى : (مَقْرُوَّة ، وَمَبْدُوَّة ، وَمَمْلُوَّة) : (مَقْرَى وَمَبْدَى وَمَمْلَى) ومثل ذلك نجده فى عامية نجد فهم يقولون : فى مثلهم (إِمَّا بِالْمُرُوَّةِ وَإِلَّا بِالْقُوَّةِ)^(١) ، يقوله من يلزم شخصاً آخر بالقيام بشئ .

(٨) الهمزة المتحركة المسبوقه بياء زائدة لمحض المد : تبدل فى لسان المصريين ياء وتدغم فيما قبلها كما هو القياس فى تسهيلها ، ومن ذلك قولهم (دَنَى ، وَدَنِيَّة ، وَرَدَى وَرَدِيَّة ، وَبَرَى وَبَرِيَّة ، وَخَطِيَّة) فى : (دنى ، ودنيئة ، وردئة ، وبرئة ، وخطئة) . وإلى جانب ذلك يوجد التحقيق ، ومن ذلك قولهم : هو برىء وهى بريئة ، وهو بذى وهى بذئة

ويبدو أن أهل نجد لا يبدلون هذه الهمزة ، وإنما يحذفونها كما يظهر من أمثالهم التى منها : (رَدَى الْعَطِيَّةُ وَلَا جَيِّدُ الْعِذْرِ)^(٢) ، فلفظة (رَدَى) أصلها : (ردىء) ، حذفت الهمزة منها للتخفيف ، وكسرت الراء لكسرة الدال .

(٩) الهمزة المفتوحة المفتوح ما قبلها ، سواء تطرفت أو توسطت تبدل ألفاً فى لسان المصريين غالباً ، فيقولون فى (مَلَأَ وَبَدَأَ وَقَرَأَ) : (الْوَلْدُ مَلَأَ الْقَلَمَ حَبْرَ ، وَبَدَأَ فِي الْمُنَاكَرَةِ ، وَقَرَأَ الْكُتُبَ) . ويقولون أيضاً : (مَلَأَهُ وَقَرَأَهُ) ، حين تصوير

(١) الأمثال العامية فى نجد ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٢ .

الهمزة متوسطة . ولا يختلف في ذلك البدو عن سكان المدن والقرى فأهل ساحل مريوط يقولون أيضاً : (مَلَأَ وَقَرَأَ) في (مَلَأَ وَقَرَأَ)^(١).

ومثل ذلك نجده في عامية نجد ، ومن أمثالهم الدالة على ذلك (إِلَى حَلَبْ يَقْدَحْ مَلَأَه)^(٢) أى إذا حلب بقدح مَلَأَهُ ، وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذى إذا فعل فعلاً أو أعطى عطية كان لفعله الأثر العظيم ، ولعطيته الوقع الجليل لعظمها ، كما يكون للبن الناقة الحلوب كثيرة اللبن من أثر في ملء القدح الذى يحلب فيه . وكذلك أهل اليمن يقولون في (قرأ وبدأ) : قرا وبدأ^(٣).

أما عن صلة هذا التسهيل بما كان موجوداً في لسان العرب قديماً ، فهو يوافق اللهجة التى حكاه ابن يعيش عن قوم من العرب من أنهم كانوا يبدلون من الهمزة المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفاً^(٤).

(١٠) الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها : وهذه لم تكن تبدل بصورة مطردة في لسان المصريين ، فهناك كلمات مثل : يُؤَدِّنْ ، وَمُؤَدِّنْ ، وَمُؤَدَّبْ ، وَمُؤَجِّلْ ... تنطق بالهمزة غالباً ، وفي بعض الجهات كما في نواحي أسيوط من الوجه القبلى بمصر يكسرون أول الفعل : (يُؤَدِّنْ) ويحذفون الهمزة ، فيقولون مثلاً : (المِغْرِبْ يِيَدِّنْ) أما الكلمات الثلاث الأخرى فينطقونها بالهمزة مع كسر أولها ، وربما يكون الحذف موجوداً في مناطق أخرى أو في لهجات عربية أخرى ، فأهل المغرب بإقليم تطوان يقولون في (مُؤَدَّبْ) : (مَدَّبْ) فيحذفون الهمزة مع إشمام الواو بين الميم والدال^(٥) . والحذف هنا على غير قياس ويمكن عدّه مبالغة في التسهيل .

(١) لهجات البدو في إقليم ساحل مريوط ص ٨٠.

(٢) الأمثال العامية في نجد ص ١٧.

(٣) لهجات اليمن قديماً وحديثاً ص ٤٣.

(٤) ابن يعيش ج ٩ ص ١١٢.

(٥) لهجة شمال المغرب ص ٧٢.

وهناك كلمات مثل : (يُوالِسْ) مِنْ (الأَلْسْ) أى الخيانة ، أبدلت فيها الهمزة واواً كما هو القياس عند النحويين ، فيقال مثلاً على لسان المصريين (فلان يُوالِسْ على فلان) ومثلها كلمة (لُبُوَّة) التى صارت على ألسنة المصريين : (لُبُوَّة) بالإبدال واوا ، وهذا ونحوه يمثل صورة صادقة لما كان شائعاً فى لهجات القبائل الحجازية قديماً ، ولما وردت به القراءات القرآنية .

(١١) الهمزة المفتوحة المكسور ما قبلها : وهى تبدل فى لسان المصريين ياء ، فيقولون مثلاً (الحجرة دافية) أى : دافئة ، ويقولون : (أوراق من فيّة الجنينة أو العشرة جنيهاً) أى : (من فئة) ويقولون فى (مائة) : مِيةً بتشديد الياء . وأحياناً نجدهم يحذفون تلك الهمزة ، فيقولون : (طَفَتْ النار) فى (طَفِئَتْ) فيحذفون الهمزة ، ويفتحون ما قبلها من أجل تاء التأنيث ، ومع ذلك قد نجد التحقيق فى كلمات مثل : (رِثَّة - فِئَة - فِئَات).

ونبه - هنا - إلى أن الإبدال إلى الياء هو القياس الذى كان شائعاً بين القبائل الحجازية ، وهو الذى وردت به القراءات القرآنية كما سبق ، أما الحذف فهو على غير قياس ، ويبدو أنه طرأ بفعل التطور فى اللهجات العربية الحديثة .

(١٢) الهمزة المكسورة بعد أية حركة : وهى غالباً ما يحافظ عليها فى لسان المصريين ، ففى كل مكان نسمع : (فلان لثيم وكثيب) و(أئمة المساجد خطباء) و(فلان لما سئل عن كذا قال : كذا) و(زئير الأسد مفزع) وفى بعض الأحيان يبدلون هذه الهمزة إلى الياء إذا وليتها ياء أخرى ، ويدغمون ، فيقولون مثلاً فى (الرئيس) : (الرِيس).

(١٣) الهمزة المضمومة المضموم ما قبلها : وهذه قد احتفظت بها بعض اللهجات المصرية فى مثل : (الكُؤُوسُ ، والفُؤُوسُ) ومالت إلى حذفها فى كلمات أخرى مثل : (الرؤوس والمُوق) فى : (الرءوس والمؤوق).

ومثل ذلك الحذف نجده فى عامية نجد ، ومن ذلك قولهم : (شَمْسُهُ على رُوسِ المِغْسِبَانِ)^(١) ، والمعنى : أن شمسهُ على رؤوس ذوائب النخل ،

(١) الأمثال العامية فى نجد ص ١٣٧.

والضمير فيه للرجل الهرم ، ونجده - أيضاً - فى لهجة بغداد ، فهم يقولون :
(أُخِذْ فَالْهَآ مِنْ رُوسِ أَطْفَالِهَا) ^(١) ، والحذف هنا على غير قياس عند
النحويين والقراء كما سبق ، ويبدو أنه حدث بفعل التطور فى اللهجات
العربية الحديثة ، وهو نوع من المبالغة فى التسهيل .

(١٤) كذلك الهمزة المضمومة المفتوح ما قبلها احتفظت بها بعض اللهجات
المصرية فى بعض الكلمات مثل قولهم : (لما يثون الأوان) أى : لما يحين
الحين . وينطقون - أيضاً - كلمة (بُؤُوءَة) بالهمزة ، وهى وإن كانت قبطية فى
الأصل ، إلا أنها عرّبت ، وصارت تجرى عليها أحكام الكلمة العربية ، ونجد
كلمات أخرى تنطق فى ألسنة المصريين بالوجهين : الاحتفاظ بالهمزة
المحققة ، وحذفها مع إلقاء حركتها على ما قبلها ، فبعضهم يقول : (مُؤُوءَة
العام وفيرة) ، وبعضهم يقول (مُوءَة العام لا تكفى) بدون الهمزة مع ضم
الميم .

ثانياً : حالات الحذف :

(١) قد تسقط الهمزة ويعوض عنها بتشديد الحرف الصحيح السابق عليها أو بوضع
حرف صحيح آخر فى مكانها :

أ- فمما سقطت منه الهمزة وعوض عنها بتضعيف الحرف الصحيح السابق عليها ،
ما نجده فى اللهجات الشائعة فى بعض نواحي أسيوط من الوجه القبلى ، فهم
يقولون : (لَتَّهُ بِالْعَصَا) بمعنى (ضَرَبَهُ) والموجود فى اللغة الفصحى : لتأه فى
صدره كمنعه : دفعه ورمى ^(٢) ..) والضرب من لوازمه الدفع والرمى ، ومن ذلك
- أيضاً - قولهم : (لَطَّهُ) أى قذفه بشيء غير يابس ، والموجود فى الفصحى :
(لَطَّاهُ بِالْأَرْضِ كمنع وفرح : لصق ، لَطَّأ ، وَلُطُوء ، وبالعصا : ضربه أو خاص

(١) الأمثال البغدادية المقارنة ص ٨٣.

(٢) القاموس المحيط مادة (لتأه) ج ١ ص ٢٧.

بالظَّهْر^(١) ، ومنه قولهم : (وَجَّهْ بِالسَّكِينِ) بمعنى : فتح بطنه بها ، والموجود فى الفصحى : (وَجَّاهَ بِالْيَدِ وَالسَّكِينِ كَوَضَعَهُ : ضَرَبَهُ)^(٢) . ومنه قولهم : (فَلَانٌ نَشَّ الْحَمَامَ نَشًّا) بمعنى : ذبحه أو أكله ، وربما يكون المصدر السابق محولا عما هو موجود فى العربية الفصحى وهو : (النَّاشُ : كَالْمَنْعِ : التَّائُلُ ، كَالْتَأَوُّشِ ، وَالْأَخْذُ وَالْبَطْشُ وَالتَّأْخِيرُ^(٣) وَالْأَكْلُ مِنْ لَوَازِمِهِ التَّائُلُ ، وَالدَّبْحُ مِنْ لَوَازِمِهِ : الْأَخْذُ وَالْبَطْشُ . وهذه اللهجة شبيهة بما كان يصنعه بعض العرب بالهمزة المتحركة المسبوقة بساكن صحيح ، فكانوا يقولون فى جُزءٍ : جُزٌّ^(٤) .

ب- ومما سقطت منه الهمزة وعوض منها حرف صحيح مغاير قول المصريين : مِرْزَبَةٌ ، مِئْفَحَةٌ ، مُرْجِيحَةٌ . والمختار عند اللغويين الذين يؤثرون الألفصح فى هذه الأمثلة : (إِرْزَبَةٌ ، مِرْزَبَةٌ بتخفيف الباء ، وَإِئْفَحَةٌ ، وَأَرْجُوحَةٌ) أى أن المختار عندهم الصيغة المبدوءة بالهمزة ، وإن كان كل من الصيغتين المبدوءة بالهمزة والمبدوءة بالميم وارداً فى لهجات العرب ويفسر الدكتور عبدالعزيز مطر ميل اللهجات الحديثة إلى إثارة الميم على الهمزة فى نطق الكلمات السابقة بأنه نوع من القياس الخاطئ على الكلمات المشتقة المبدوءة بالميم ، لأن أكثر صيغ المشتقات فى اللغة العربية تبدأ بالميم ، فقياس العامة (أَرْجُوحَةٌ) على اسم المفعول من (رجح) ، فقالوا : (مرجوحة) كمركوبة وتوهموا (الإئفحة) مكانا للنفح ، فقالوا : (مئفحة) بفتح الميم ، ولما كانت (الإِرْزَبَةُ) أداة يكسر بها المدر ، فقد نطقوا بها كذلك بصيغة اسم الآلة ، فقالوا : (مِرْزَبَةٌ) ، ورويت فى الشعر كذلك ، ثم تطورت إلى : (مِرْزَبَةٌ) بفتح الميم وتشديد الباء ، أما فتح الميم فهو نوع من الانسجام الصوتى ، وأما التشديد فهو محكى عن العرب فى (إِرْزَبَةٌ) ، فقيست هذه على تلك ، فالسبب فى هذا

(١) القاموس المحيط (لطأه).

(٢) السابق مادة (وجأه) ج ١ ص ٣١.

(٣) السابق مادة (النَّاش) ج ٢ ص ٢٨٩.

(٤) وهذا الوجه قرئ به قوله تعالى ﴿ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠) ، انظر إعراب القراءات الشواذ للعبرى ٢٧٥/١ - وقرئ به قوله تعالى ﴿ لَنْ نَحْدُوثَ مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴾ (الكهف: ٥٨) بتشديد الواو مكسورة من غير همز السابق ٢٥/٢ .

اللحن بين الهمز والميم فى أوائل الكلمات هو القياس الخاطئ على صيغ المشتقات المبدوءة بالميم ، وهى كثيرة فى اللغة العربية^(١).

(٢) قد تسقط الهمزة ولا يعوض عنها شئ ، وغالبًا ما يكون ذلك فى المواضع الآتية :

أ- تحذف الهمزة فى اللهجات المصرية كثيرًا بعد ياء النداء ، ففى أنحاء مختلفة نسمع : يَاخِي ، يَآخُوِيَّة ، يَآخِيِي ، يَا بُوِي ، يَا مَآي ، يَا حَمْدُ ، يَا بُرَاهِيْمُ . . . ولهذا الحذف نظير فى اللهجات القديمة ، ومن ذلك قول رؤبة :

وَأَنْتَ يَا أَبَا مُسْلَمٍ وَقِيَتَ

فترك الهمزة ، وكان وجه الكلام يا أبا مُسْلَمٍ ، فحذف الهمزة وهى أصلية^(٢) . ومن ذلك قول أعرابى من قيس : يَابَ أَقْبَلُ ، وَيَابَةَ أَقْبَلُ^(٣) . فالظاهر أن هذا الحذف كان شائعًا بين العرب المسهلين وغيرهم ، كما هو واضح من وروده على لسان رؤبة التميمى والأعرابى القيسى .

ب- كذلك يحذف المصريون كثيرًا همزة حرف الجر إلى فيقولون : صعد لِفُوقُ ، وَنَزَلَ لِتَحْتُ ، أى : إلى فوق وإلى تحت .

ج- ويحذفون الهمزة - أيضًا - من أوائل بعض الأسماء والأفعال ، فمن الأفعال قولهم : (خَتَ الشئ الفلانى) أى : أخذته ، ومن الأسماء قولهم : (جِدَا شِرْ) فى العدد المركب : أَحَدَ عَشَرَ ، وقولهم : فِخَاذُ فِى : أَفْخَاذُ وقد يكون النطق بدون الهمز هو الشائع فى معظم أنحاء مصر ، ففى نواحى أسبوط من الوجه القبلى يحذفون الهمزة من أوائل الأعلام ، فيقولون : سِحَاقُ ، يَراهِمُ ، دِرِيسُ ، سِمَاعِينُ ، فى نداء : إِسْحَقُ وإِبراهيم وإِدريس وإِسْمَاعِيل . وربما فى غير النداء أيضًا .

(١) انظر : لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) انظر : لسان العرب ج ١ ص ١٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ج ١ ص ١٣ .

د- تحذف الهمزة كذلك فى لسان بعض المصريين بعد أداة التعريف ، فنسمع كلمة (الْوَزُّ) فى (الإِوزُّ) ونسمع (يَوْمٌ لَحْدٌ) فى (يوم الأحد) و(اللون لَحْمَرٌ) فى (الأحمر) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على لام التعريف أو بدون إلقاء .

هـ- الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن صحيح غير لام التعريف تنقل حركتها إلى ما قبلها ، وتحذف فى لسان المصريين ، فيقولون فى (مِرَاة) : (مِرَايَه) وفى (المِرَاة) : (مَرَه) وفى (مَلَانَه) : (مَلَانَه) ويقولون فى (مِنْ أَيْنَ) : (مِنِين) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء واللام والنون فيما سبق .

و- الهمزة المسبوقة بياء أصلية ساكنة ، أو بألف أصلية ، تحذف فى لسان المصريين دون تعويض ، ومن كلامهم : (فَيْنُ؟؟) أى : (فى أين؟) و(جَانِي) فى (جاءنى) و(جَالِي) فى (جاء لى) و(إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فى (إن شاء الله) .

ز- تحذف الهمزة المتطرفة بعد الألف الزائدة فى الأسماء والمصادر التى على وزن (فَعَال) أو (فُعَال) أو (فُعَال) فنحو: السماء والهواء والغناء والعِشَاء والبُكاء ينطقونها : السَّما والهَوا والغِنَا والعِشَا والبُكَا بدون همزة .

ح- تحذف الهمزة أيضاً فى اللهجات المصرية من مؤنث أفعال من الألوان ، فيقولون : (بيضا وحمرا وخضرا فى : بيضاء وحمراء وخضراء ، وتحذف كذلك من فعلاء مما لا أفعال له كصحرا فى : صحراء ونحوها .

* * *

الخلاصة

حول المفهوم اللغوى والاصطلاحى للهمز :

لقد ظلت المفاهيم اللغوية للهمزة هى المتبادرة إلى الذهن من لفظ الهمز عند عامة الناس ، فى صدر الإسلام ، حتى ابتكر الخليل بن أحمد علامة مميزة للهمزة هى عبارة عن رأس عين صغيرة ، فاستقر فى الأذهان المفهوم الاصطلاحى للفظ الهمزة منذ ذلك الحين ، وأصبح يطلق على الصوت الاحتباسى الذى يخرج من أقصى الحلق أو الحنجرة .

حول مخرج الهمزة :

وإذا كان القدماء من علماء اللغة قد اختلفوا فيما بينهم حول مخرج الهمزة هل هو الحلق أو الجوف؟؟ وخالفهم المحدثون فقالوا إنه يخرج من الحنجرة . . ، فقد استطعنا أن نرجع كل ذلك الخلاف إلى مجرد الاختلاف فى المصطلح الذى أطلق على المخرج الحقيقى للهمزة ، فقلنا إن الخليل بن أحمد ربما كان يعدّ ما دون الحلق المعروف الآن فى علم التشريح (وهو يشمل الحنجرة والقصبه الهوائية والرئتين) مخرجاً ، وكان يسميه الجوف ، فى الوقت الذى كان يسمى أعلى نقطة فيه أقصى الحلق ، وعلى ذلك فأقصى الحلق عنده هو الحنجرة غير أن اسم الحنجرة لم يكن معروفاً لديه ، فالقول بأنها تخرج من أقصى الحلق أو من الجوف أو من الحنجرة يقصد به شىء واحد ، والاختلاف فى مجرد التسمية .

حول صفات الهمزة :

وإذا كان القدماء قد وصفوا الهمزة بالجهر ، فى حين وصفها المحدثون بأنها صوت مهموس أو صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس . . . ، فقد افترضنا صحة رأى من قال بأن الأقدمين حين ذاقوا صوت الهمزة ليعرفوا مكان خروجها ، نطقه مصاحباً لإحدى الحركات الثلاث - كما هى طريقة الخليل فى ذوق الحروف - والحركات كلها مجهورة ، فلما أحسوا بالجهر الناجم من الحركة المصاحبة ظنوا أنه من الهمزة لا من الحركة المصاحبة ، ويحتمل كذلك أنهم حين وصفوا الهمزة بالجهر كانوا يقصدون همزة بين بين ، وهى مجهورة .

وضع الهمزة مع الألف فى مخرج واحد هو الحلق :

اعتذرنا عن فعل سيبويه لمثل ذلك بأنه ربما ظن أن مخرج أقصى الحلق يساوى مخرج الجوف عند الخليل ، فكما وضع الخليل الهمزة مع الألف فى مخرج الجوف ، وضعهما سيبويه كذلك فى مخرج واحد ، لكنه اقتصر على أحد اسميه عند أستاذه الخليل وهو أقصى الحلق . وربما كان يقصد بالألف همزة بين القرية من الألف ، أو تفسير المقصود من كلمة الهمزة التى كانت مصطلحا صوتياً غير مألوف فى تلك الأيام . وربما يكون القدماء قد خُدِعُوا برسم الهمزة المحققة ألفاً فى كل حال ، فظنوا أن الهمزة والألف يمثلان حرفاً واحداً ، ومن حقهما أن يكونا كذلك من مخرج واحد . وربما يكون سيبويه قد لاحظ الجهر فى الألف فنسبها إلى المكان الذى يحدث فيه الجهر وهو الخنجرة فى عرف المحدثين وأقصى الحلق فى عرف الأقدمين ، وبذلك يكون سيبويه لم يفرق بين ما هو حركة أصلية للأوتار كما فى حال الهمزة ، وبين ما هو حركة ثانوية لها كما هو فى حال الألف .

حول موقع الهمزة من الكلمة :

لا تختص الهمزة بمكان فى الكلمة العربية ، فهى تكون فى الأول والوسط والطرف ، وكذلك الحال فى اللغات السامية ، أما فى اللغات الأعجمية كالفارسية مثلاً ، فلم تكن تقع إلا ابتداء ، وقد استقلت الهمزة فى اللغة العربية وفى الساميات بوصفها صوتاً ساكناً ، وحظيت فى الجميع برمز كتابى مستقل ، وكان موقف الحبشية يشبه إلى حد كبير موقف بنى تميم فى تحقيق الهمزة ، بينما كانت العبرية والسورانية تسهلان الهمزة كما يفعل أهل الحجاز . أما فى اللغات الأوربية الحديثة فلم يعترف بها كفونيم مستقل ، ولا تقوم بدور دلالى فيها ، اللهم إلا فى القليل منها كالدينمركية مثلاً .

حول مصطلحات الهمز والتسهيل :

كانت للهمز والتسهيل مصطلحات عديدة كالتحقيق والتخفيف والتسهيل ، والتلين والإبدال ، والإسقاط والحذف وغيرها ، وقد استعملت تلك المصطلحات

عند النحويين والقراء ، إلا أن النحويين كانوا يستعملون التحقيق فى معنى الهمز المحقق دائماً بينما القراء كانوا يطلقونه على الهمز المحقق ، ويميزون به مرتبة من مراتب القراءة ، تسمى قراءة التحقيق ، واستعمل النحويون غالباً مصطلح التخفيف فى مقابلة التحقيق ، أما القراء فغلب عليهم استعمال مصطلح التسهيل أو التلين فى مقابل التحقيق ، ولم يفرق النحويون بين الحذف والإسقاط بينما كان القراء يقصدون بالأول منهما حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها ، وبالثانى حذف الهمزة مع حركتها دون نقل .

أحوال الهمزة فى اللغة العربية ولهجاتها :

كانت الهمزة فى اللهجات العربية تدور بين التحقيق والتسهيل ، والسبب فى عدول أهل التسهيل عن التحقيق هو ما يكتنف نطق الهمزة من صعوبة وثقل ، فهى أشق الأصوات وعملية النطق بها محققة من أشق العمليات الصوتية ، وطبيعة الهمزة المحققة وما فى تكوينها من صعوبة كبيرة يدل على طبائع الناطقين بها وما فىهم من الغلظة والجفوة ، وعلى طبائع يئتهم وما فيها من وعورة وقسوة ، كذلك تدل طبيعة الهمزة المسهلة على طبائع الناطقين بها وما فىهم من الرقة والحضارة ، وما فى يئتهم من اليسر والسهولة فى كل شىء . وهاك بعض أحوال الهمزة باختصار :-

أ- العننة :

تصير الهمزة إلى صوت العين فى لهجة من يبالغون فى تحقيق الهمزة والجهر بها ، وقد انتهينا فى الفصل الأول إلى أن العننة تقع فى مطلق الهمزة مفتوحة أو غير مفتوحة ، وفى أَنْ وَأَنَّ ، وفى غيرهما ، وفى أوائل الكلمات ، وأواسطها وأواخرها من غير تفريق بين كل هذه الحالات ، بدليل وقوع ذلك فى اللهجات العربية الحديثة ، وفى اللهجات السامية ، فضلاً عن مسaire هذا التبادل لقوانين التطور الصوتى ، ولذلك لم نرتض رأى من يقصر العننة على (أَنْ وَأَنَّ) المفتوحى الهمزة ، ويعدّ ما سوى ذلك من الإبدال اللغوى ، وفى رأينا أن مثل ذلك يفرق بين أجزاء الظاهرة الواحدة التى تنطبق عليها شروط موحدة ، وتتكلم بها قبائل ذات

طبائع جغرافية واجتماعية متشابهة ، وكلها - كما عرفنا فى الفصل الثانى - قبائل بدوية ، عاشت فى وسط الجزيرة وشرقيها ، أو فى جوار القبائل البدوية .

ب - همزة بين بين :

عرفنا همزة بين بين ، وعرضنا لمواضعها القياسية وغير القياسية ، والخلاف الذى دار بين سيويه والأخفش فى بعض المواضع ، ويُنَّ رأى البصريين فى همزة بين بين وهو أنها متحركة ، ورأى الكوفيين وهو أنها ساكنة ، وأوضحنا أن أدلة الكوفيين لم تثبت أمام احتجاج البصريين ، وما أثر عن القراء فى كيفية نطق همزة بين بين .

ولما كانت همزة بين بين لا يظهر سرها ولا ينكشف إلا بالمشافهة كما قال ابن يعيش ، عُدَّتْ حالةُ بين بين الحالة الغامضة لنطق الهمزة ، وهذا الغموض جعل بعض المحدثين ينكرون وجود همزة بين بين ، ذاهبين إلى أنها حركة أو نصف حركة تتخلف عن الهمزة بعد سقوطها ، وقد عقبنا على ذلك الرأى بأنه رأى قديم حكاه الزجاج عن أبى عبيدة ولم يرتضه ، وقد أضفنا إلى رأى الزجاج فى نقض هذا الرأى بأنه يؤدى إلى الخروج على النظام المقطعى فى كثير مما أثر عن العرب من أشعار ، فلو كانت تلك الهمزة عبارة عن حركة ، لكان المقطع الذى تقع فى أوله مبدوء بحركة كما فى قولهم (أ ا ن ز م أجمال ..) على القول بتسهيل الهمزة الثانية الواقعة فى أول المقطع الثانى من (أأن) ومثل ذلك لا يوجد فى نظام المقاطع العربية .

علاقة الهمزة بحروف المد واللين :

تكلّمنا فى الفصل الأول عن المواضع القياسية ، وغير القياسية لإبدال الهمزة وتحويلها إلى حروف المد واللين ، وعرضنا فى الفصل الثالث إلى ما بين الهمزة وبينها من علاقة وهل تسوغ الإبدال أم لا؟؟ وانتهينا هناك إلى أنه ربما تكون بين الهمزة وحروف المدّ فقط علاقة أساسها القرب المخرجى ، بناء على أنها جميعاً تخرج من مخرج واحد هو الجوف ، كما قال الخليل ، أو من مخرجين متجاورين

هما الجوف وأقصى الحلق ، واستأنسنا فى ذلك بما قرره الدارسون للأصوات من وجود علاقة صوتية بين أصوات الحلق وأصوات المدّ ، ثم بما أظهرته التسجيلات الطيفية الحديثة لصوت الهمزة من شبه بينه وبين أصوات العلة ، وقد عضدنا ذلك فى الفصل الرابع بإحصاء كلمات القرآن الكريم التى تصير الهمزة فيها إلى صوت المد حال التسهيل ، وقد وجدناها كثرة كاثرة بالنسبة إلى ما تصير فيه الهمزة إلى صوت اللين غير المد . ومن أجل ذلك ملنا إلى القول بالإبدال بين الهمزة وحروف المد ، بينما لم نستطع القول بذلك فى الهمزة مع الواو والياء غير المدتين ، لما بينهما من بعد فى المخرج ، ولأن المواضع التى تصير الهمزة فيها إليهما حال التسهيل قليلة بالنسبة إلى ما تصير الهمزة فيه إلى حروف المد ، فنسبه الأولى إلى الثانية لا تكاد تتجاوز نسبة الواحد إلى الخمسة . ومن هنا كانت لنا محاولة فى تفسير حلول الهمزة محل الواو والياء غير المدتين أو العكس ، وخلاصتها أن المقطع الذى يحتوى على صوت الهمزة مقطوع قوى بالنسبة للمقطع الذى يساويه فى كل شيء إلا أنه يحتوى على الواو أو الياء فى مكان الهمزة ، وعلى ذلك قلنا إن الذى يؤثر الهمزة يؤثر النطق بالمقطع القوى ، والذى يؤثر الواو أو الياء فى موضع الهمزة يفضل النطق بالمقطع الضعيف الذى يحتوى على الصوامت الضعيفة ، وقد وجدنا ما يؤيد تلك الفكرة فى حال التسهيل حيث وجدنا الحجازيين بصفة عامة يؤثرون المقطع الضعيف ، والبديين بعامّة يؤثرون المقطع القوى ، وهذا وذاك مناسب لطبيعة الحضر والبَدُو التى بينها منذ قليل .

أبرز ما بين النحويين والقراء من فروق :

(١) المحققون والمسهلون عند النحويين هم القبائل العربية ، وعند القراء هم الأئمة ومن نقلوا عنهم ، وكما جاءت لهجات القبائل موافقة للبيئات التى تعيش فيها غالباً ، جاءت قراءات القراء - غالباً - صورة صادقة للبيئات التى عاشوا فيها يقرئون ، وعاش فيها شيوخهم من قبل .

(٢) كان القراء أكثر دقة فى المنهج الذى ساروا عليه ، فهم حينما عالجوا ظاهرة الهمز والتسهيل فى القراءات ، عالجوها بصورة حاصرة (وتلك إحدى قواعد

المنهج الوصفى فى علم اللغة الحديث) ، فبينوا حكم كل همزة من كل ضرب ، بل أحصوا كل الكلمات التى تسهل فيها الهمزات من كل ضرب ، مبيينين كيفية التسهيل فقط بغض النظر عن كونه موافقاً لقواعد النحويين أو غير موافق ، فالأهم عندهم أن تصح الرواية بذلك الوجه عن طريق التواتر أو الآحاد حتى تسند إلى رسول الله ﷺ .

أما النحويون فقد عالجوا الظاهرة من خلال مجموعة من الأمثلة سمعوا بعضها من العرب ، وحملوا عليها البعض الآخر ، ولم يمكنهم بالطبع حصر كلمات التراث اللغوى التى تحتوى على الهمزات المختلفة كما فعل القراء بالنسبة لكلمات القرآن .

(٣) وضع بعض القراء شروطاً لبعض حالات التسهيل ، فاشتروا مثلاً فى تسهيل الهمز الساكن أن يكون سكونه أصلياً غير عارض للوقف ، وألا تعرض الحركة للساكن كما فى حال التقاء الساكنين ، واشتروا فى نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ألا يكون ذلك الساكن ميماً للجمع ، واشتراط أبو عمرو بن العلاء فى تسهيل الهمز الساكن ألا يكون سكونه للجزم أو البناء وألا يكون تسهيله أثقل من تخفيفه ، وألا يؤدى تسهيله إلى الخروج من لغة إلى أخرى . . ، بينما لم نجد أية إشارة إلى مثل ذلك فى كتب النحويين والمتأخرين ما خلا ما نقل عن صاحب الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب من أنه قيّد تسهيل الهمزة بما إذا لم يمنع مانع وإلا لم يجز بأن أوقع فى الالتباس^(١) ، ولم تقصد به المشاكلة أو الجناس ، أو بأن كان التسهيل مخلاً بوزن البيت الشعرى^(٢) .

(٤) أصدر النحويون أحكاماً فى الهمزتين الملتقيتين فى كلمة وفى كلمتين ، وليس لهم فيها من سند قوى ، فقال سيبويه ونقل عنه المتأخرون : أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة ، فإن أهل التحقيق يخففون إحداها

(١) نحو (سور ، ويؤى ، والتسوية بمعنى التقيج ، والمضىء) .
(٢) راجع المطالع النصرى للشيخ الهورى (التنبيه الثالث) ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

ويستقلون تحقيقهما ، كما يستقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا^(١) ، وقالوا : إن الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة ولا تخفف^(٢) ، ونجم عن ذلك أن رموا بعض الوجوه التي خالفت ذلك بالضعف أو بالرداءة ، مع أنها وردت في القراءات الصحيحة المشهورة ، ومن ذلك مثلاً قول الزمخشري عن إبدال ثاني الهمزتين من (أئمة) ياء ، « وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يحوز أن تكون ، ومن صرح به فهو لاحق محرف »^(٣) ، وردَّ عليه ابن الجزري بقوله : « وهذا مبالغة منه والصحيح ثبوت كل من الوجوه الثلاثة أعنى التحقيق وبين بين ، والياء المحضة ، عن العرب وصحته في الرواية . . فلكل وجه في العربية سائغ قبوله » ، وهذا الرأي وإن خالف الزمخشري فيه قاعدة النحويين السابقة ، إلا أنه يمثل لونا من التعنت إزاء بعض القراءات ، ومن التعنت أيضاً قولهم عن تحقيق الهمزتين في (أئمة) وليس ذلك بالوجه ... ، وذلك ضعيف ، ... وقد يتكلم ببعضه العرب وهو ردئ « مع أن التحقيق قراءة سبعية صحيحة للكوفيين الثلاثة وابن عامر ، فلا أظن أن أحداً يوافق النحويين على ما قالوه ، حتى لمجرد أن اللغة النموذجية تحقق الهمزتين بصفة دائمة اللهم إلا إذا سكنت الثانية كما في نحو آدم ، وإيمان ،

(٥) كان القراء في اتباعهم منهج الرواية (السماع) أضبط في نقل اللغة العربية بلهجاتها المختلفة من النحويين حينما اتبعوا منهج القياس ، فالقراء نظروا إلى الكم الناطق بوجه من الوجوه ، فإذا كانوا كثرة يؤمن تواطؤهم على الكذب فالوجه صحيح مهما كان الناطقون به من العرب ، أما النحويون فقد نظروا إلى الكم المنطوق ، فإن كثر بوجه ، عدوا ذلك الوجه قياساً ، وإن قلَّ في وجه من الوجوه عدوه شاذاً ، وقد ترتب على ذلك عدة أمور :

(١) سيبويه ج ٣ ص ٥٤٩.

(٢) سيبويه ج ٣ ص ٥٥٢ - ومعنى (ولا تخفف) أى لا تجعل بين بين.

(٣) الكشف ج ٢ ص ١٧٩.

أ- أغفل النحويون بعض وجوه التسهيل ، مع أن القراءات المشهورة وردت بها ، ومن ذكرها من النحويين رماها بالضعف والشذوذ .

ب- قلل النحويون من قيمة بعض الوجوه ، حين رموها بالشذوذ ، مع أنها قد تكون كل ما ورد عن العرب المسهلين في ألفاظ بعينها كما في (سأل ومنسأة) بالإبدال ألفاً خالصة .

ج- وقف النحويون عاجزين عن التعليل والتخريج أمام بعض الوجوه .

(٦) النحويون لم يفصلوا أحكام الوقف على المهموز ، كما فعل القراء ، فاقصر النحويون في باب الوقف على ذكر بعض الأضرب ، بينما فصل القراء كيفية الوقف على جميع الأضرب .

(٧) كذلك استند النحويون في أوجه الوقف التي ذكروها على ما سمعوه من العرب ، أما القراء فاستندوا إلى ذلك ، ودرسوا رسم الهمزة في المصحف دراسة مفصلة ، وربطوا بين الرسم والقياس في بعض الأوجه .

(٨) اهتم بعض علماء القراءات - كأبي عمرو الداني في كتابيه المحكم ، والمقنع - بتسجيل مرحلة تاريخية هامة في رسم الهمزة ، حيث كان يُعَلَّم عليها وهي محققة بالنقطة الصفراء ، وفي حال التسهيل يعلم عليها بنقطة حمراء أو بدارة حمراء أو مطة حمراء أو بتعرية الحرف من الحركة . . . ، أما النحويون فلم يهتموا بتسجيل شيء من ذلك .

الهمز والتسهيل في اللهجات الحديثة :

بالرغم من أن دراستنا لظاهرة الهمز والتسهيل في اللهجات الحديثة جاءت في صورة جدّ مختصرة ، إلا أن القارئ يستطيع من خلال جولته فيها أن يكشف اختفاء أحد أضرب التسهيل الثلاثة وهو همزة بين بين ، كما يستطيع أن يدرك أن الصلة ما زالت وثيقة بين لهجاتنا الحديثة ، وبين ما كان شائعاً في لسان القبائل العربية في صدر الإسلام . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المصادر والمراجع

● القرآن الكريم

- ١- الإبانة عن معانى القراءات - لمكى بن أبى طالب حموش القيسى ت: ٤٣٧هـ تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى - مطبعة الرسالة. بالقاهرة. بدون تاريخ .
- ٢- الإبدال لأبى الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) تحقيق عز الدين التنوخى طبعة دمشق ١٩٦٠م.
- ٣- إبراز المعانى لأبى شامة (ت ٦٦٥هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبي ١٣٤٩هـ بالقاهرة.
- ٤- ابن جنى اللغوى د/ عبد الغفار هلال (رسالة دكتوراه) موجودة بمكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم (٨٢٣). وقد طبعت في دار الفكر العربى بالقاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م في مجلدين بعنوان : عبقرى اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جنى .
- ٥- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر تأليف الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالبنا الدمياطى (ت ١١١٧هـ). مطبعة الحنفى بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بالقاهرة.
- ٦- الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى - الطبعة الثالثة - الحلبي بالقاهرة.
- ٧- أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى (أبو عمرو بن العلاء) للدكتور عبدالصبور شاهين، مطبعة المدنى بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٨- أثر القراءات القرآنية فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.
- ٩- ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبى حيان الأندلسى تحقيق الدكتور مصطفى خليل النماس (رسالة دكتوراه موجودة فى مكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم ١٥٥).
- ١٠- الإرشادات الجلية فى القراءات السبع من طريق الشاطبية للشيخ محمد محمد سالم محيسن - مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.

- ١١- أسباب حدوث الحروف لابن سينا - مطبعة المؤيد بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ.
- ١٢- أسرار العربية - كمال الدين أبي البركات الأنباري - طبعة ليدن ١٨٨٦م.
- ١٣- الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين - الطبعة الأولى ١٩٥٦م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.
- ١٤- الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء للدكتور عبد الصبور شاهين (رسالة ماجستير موجود بقاعة الرسائل بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٨٣).
- ١٥- الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس - الطبعة الرابعة ١٩٧١م بمكتبة الأنجلو المصرية.
- ١٦- أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٦٣م مطبعة دار التأليف.
- ١٧- الإضاءة فى بيان أصول القراءة للشيخ على محمد الضباع مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى بالقاهرة.
- ١٨- إعجاز القرآن للرافعى (مصطفى صادق) الطبعة السادسة بمطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- ١٩- الأفعال لابن القطاع - الطبعة الأولى بحيدر آباد سنة ١٣٦٠هـ.
- ٢٠- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى طبعة حيدر آباد ١٣١٠هـ.
- ٢١- الإقناع فى القراءات السبع لابن الباذش (مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٦٦ب) - وقد ظهرت طبعته الأولى فى دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م بتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي .
- ٢٢- الأمالى للمرزوقى - نسخة بدون دليل أو تاريخ الطباعة.
- ٢٣- الإمالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى - الطبعة الثانية ١٩٧١م بمطبعة نهضة مصر.
- ٢٤- الأمالى لأبى على القالى الطبعة الثانية مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.
- ٢٥- الأمثال البغدادية المقارنة لعبد الرحمن التكريتى طبعة العانى ببغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

- ٢٦- الأمثال العامة فى نجد لمحمد العبودى. مطبعة عيسى البابى الحلبي الأولى ١٩٥٩م - ١٣٧٩هـ.
- ٢٧- إملأ مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لمحَبّ الدين أبى البقاء العكبرى - المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣٣١هـ .
- ٢٨- الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات الأنبارى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بالقاهرة - الثالثة ١٩٥٥م.
- ٢٩- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصارى (ت ٧٦١هـ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٩م.
- ٣٠- البحث اللغوى عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧١م.
- ٣١- البحر المحيط لأبى حيان - القاهرة ١٣٢٨هـ.
- ٣٢- البرهان فى علوم القرآن للزركشى الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م بمطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة.
- ٣٣- بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى للدكتور أنوليتمان مقال بمجلة كلية الآداب - المجلد العاشر - الجزء الأول مايو سنة ١٩٤٨م (مطبعة جامعة فؤاد الأول).
- ٣٤- تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزيدى - الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.
- ٣٥- تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية للأستاذ حفى ناصف الطبعة الثالثة ١٩٧٣م - بمطبعة جامعة القاهرة.
- ٣٦- تاريخ الآداب العربية للأستاذ كارل نالينو - الطبعة الثانية بدار المعارف بمصر.
- ٣٧- تاريخ آداب العرب للرافعى (مصطفى صادق) مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٠ - ١٣٥٩هـ .
- ٣٨- تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان مطبعة دار الهلال ١٩٥٧م .

- ٣٩- تاريخ اللغة العربية فى مصر للدكتور أحمد مختار عمر - المطبعة الثقافية بالقاهرة نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ.
- ٤٠- تاريخ الطبرى (ت ٣١٠هـ) تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٣م.
- ٤١- تاريخ الكامل لابن الأثير بدون دليل للطباعة .
- ٤٢- التطور اللغوى للدكتور عبد الرحمن أيوب، وهو نفسه كتاب اللغة والتطور طبعة معهد الدراسات العربية طبع بالقاهرة. بدار الطباعة القومية ١٦ ش كامل صدقى بالفجالة - ١٩٦٩م.
- ٤٣- تفسير الطبرى تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر مطبعة دار المعارف بمصر.
- ٤٤- التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر الجزائري - المطبعة السلفية بمصر بدون تاريخ.
- ٤٥- تقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ) تحقيق إبراهيم عطوة عوض - الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابى الحلبي ١٩٦١م.
- ٤٦- التمهيد فى علم التجويد لابن الجزرى - الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.
- ٤٧- تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - طبعة تراثنا بالقاهرة.
- ٤٨- التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى - طبعة حيدر آباد.
- ٤٩- جامع البيان فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ م) قراءات). وقد ظهرت طبعته الأولى فى دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م فى ثلاثة مجلدات ، بتحقيق : الأستاذ عبد الرحيم الطرهونى / دكتور يحيى مراد .
- ٥٠- جمهرة كلام العرب لابن دريد (٣٢١هـ) الطبعة الأولى حيدر آباد ١٣٤٥هـ.
- ٥١- حاشية الصبان على الأشمونى للشيخ الصبان مطبعة عيسى الحلبي بمصر .

- ٥٢- الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه تحقيق الدكتور عبد العالم سالم مكرم الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م - دار الشروق ببيروت.
- ٥٣- الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى (الجزء الأول) تحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى ومراجعة محمد على النجار - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة (تراثنا).
- ٥٤- الخصائص لابن جنى تحقيق الشيخ محمد على النجار دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت . لبنان - الطبعة الثانية.
- ٥٥- الخواطر فى اللغة لجبر جومط طبعة بيروت ١٨٨٦م.
- ٥٦- دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية محمد الفنذى وأحمد الشنشاوى وإبراهيم خورشيد - المجلد الأول - العدد الأول.
- ٥٧- دائرة معارف الشعب - المجلد الأول - مادة القرآن الكريم - يصدرها أمين الخولى سنة ١٩٥٩م بالقاهرة.
- ٥٨- دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م.
- ٥٩- دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح طبعة دمشق ١٩٦٠م.
- ٦٠- دراسة الصوت اللغوى للدكتور أحمد مختار عمر - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م بمطبعة جامعة الكويت - توزيع عالم الكتب بالقاهرة.
- ٦١- دراسة فى الصيغ العربية (دكتوراه) للدكتور محمد خاطر (موجودة فى مكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم ١١٩٩).
- ٦٢- دراسات صرفية فى الإبدال والإعلال والإدغام للدكتور إبراهيم البسيونى الطبعة الأولى - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.
- ٦٣- رسائل فى القراءات السبع من طريق الشاطبية - لأحد تلاميذ الشاطبى مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨ طلعت.

- ٦٤- السبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر للشيخ محمود خليل الحصرى
مطابع شركة الشمرلى بالقاهرة - بدون تاريخ .
- ٦٥- سراج القارئ المبتدئ وعمدة المقرئ المنتهى لأبى القاسم على بن عثمان
الشهير بابن القاصح - مطبعة الحلبي ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ٦٦- سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق الأساتذة مصطفى السقا، ومحمد
الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - مطبعة عيسى البابى الحلبي
١٩٥٤م .
- ٦٧- شرح ابن عقيل لابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك مطبعة الشركة
المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٦٨- شرح التسهيل للمرادى (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٦٢
نحو).
- ٦٩- شرح شافية ابن الحاجب للشيخ رضى الدين الاستراباذى (٦٨٦هـ) تحقيق
الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبدالحميد
طبعة بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٧٠- شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى (ت ١٠٩٣هـ) التحقيق السابق
والطبعة السابقة.
- ٧١- شرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) إدارة الطباعة المنيرية بمصر بشارع
الكحكيين رقم ١ .
- ٧٢- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك للشيخ الأشمونى مطبعة عيسى البابى
الحلبى بمصر .
- ٧٣- الشذوذ والضرورة فى لغة العرب (دكتوراه) للدكتور محمد عبدالحميد سعد
مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم (١٤١) .
- ٧٤- الصحابى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لأحمد بن فارس مطبعة
المؤيد ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م .
- ٧٥- صبح الأعشى للقلقشندي (الجزء الثالث) طبعة دار الكتب المصرية .

- ٧٦- صحيفة دار العلوم - العدد الثالث يناير ١٩٣٥ م.
- ٧٧- صفة جزيرة العرب للهمذاني طبعة لندن ١٣٨٤ هـ.
- ٧٨- العربية ولهجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب طبعة القاهرة ١٩٦٨ م.
- ٧٩- العربية - دراسات في اللهجات والأساليب ليوهان فك ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار - مطبعة الخانجي بمصر ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- ٨٠- العربية الفصحى - نحو بناء لغوى جديد للدكتور هنرى فليش تحقيق وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين - الطبعة الأولى بيروت ١٩٦٦ م.
- ٨١- العرب وأطوارهم للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى - مطبعة الجمالية بمصر - بدون تاريخ.
- ٨٢- علم اللغة العام - القسم الثانى (الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر طبعة دار المعارف ١٩٧٠ م.
- ٨٣- علم اللغة مقدمة للقارئ العربى للدكتور محمود السعران طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م.
- ٨٤- العين للخليل بن أحمد تحقيق الدكتور عبد الله درويش مطبعة العانى ببغداد ١٩٦٧ م. - وقد ظهرت الطبعة الأولى كاملة في ثمانية أجزاء ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م في مؤسسة الأعلمى للمطبوعات (بيروت) بتحقيق دكتور مهدى المخزومي / دكتور إبراهيم السامرائى .
- ٨٥- غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى - مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣٢ م نشره براجستراسر.
- ٨٦- غيث النفع فى القراءات العشر لسيّد على نور الدين الصفاقسى مطبعة الحلبي ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٤ م.
- ٨٧- فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب - الطبعة الأولى بمكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٧ م.
- ٨٨- فقه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السامرائى - دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨ م.

- ٨٩- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي الطبعة الثانية بمطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ٩٠- فقه اللغة للدكتور على عبدالواحد وافى - الطبعة السادسة بمطبعة لجنة البيان العربي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٩١- فقه اللغة العربية للدكتور إبراهيم محمد نجا - الطبعة الثانية ١٩٧١م مطبعة زهران بالقاهرة.
- ٩٢- فلسفة اللغة العربية وتطورها للأستاذ جبر جومط - مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩م.
- ٩٣- فى التطور اللغوى للدكتور عبد الصبور شاهين الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ - ١٩٧٥م بالمطبعة العالمية بالقاهرة.
- ٩٤- فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس - الطبعة الرابعة بالقاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م.
- ٩٥- فى اللهجات العربية وأصول اختلافها للدكتور عبد الحليم النجار مطبعة جامعة فؤاد الأول بدون تاريخ.
- ٩٦- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين طبعة دار العلم بالقاهرة ١٩٦٦م.
- ٩٧- القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الوهاب حموده - الطبعة الأولى ١٩٤٨م - ١٣٦٨هـ.
- ٩٨- القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العالم مسالم مكرم طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.
- ٩٩- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضى - مطبعة عيسى البابي الحلبي بدون تاريخ.
- ١٠٠- قصة الكتابة لإبراهيم جمعة سلسلة اقرأ العدد (٥٣) الطبعة الثانية بمطبعة دار المعارف .

- ١٠١- فلاند الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى تحقيق وتقديم الأستاذ إبراهيم الأبيارى الطبعة الأولى ١٩٦٣م بمطبعة السعادة.
- ١٠٢- القاموس المحيط.
- ١٠٣- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد مطبعة الاستقامة بالقاهرة بدون تاريخ - وطبعة أخرى فى دار الفكر خاصة للرئاسة العامة لتعليم البنات فى السعودية .
- ١٠٤- الكتاب لسيبويه تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون طبعة تراثنا - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م بالقاهرة.
- ١٠٥- الكشف عن علل القراءات السبع: لمكى بن أبى طالب (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٣٥٥ت) ، وقد نشرته دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) فى مجلدين بتحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهونى.
- ١٠٦- الكشف للزمخشري مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
- ١٠٧- كلام العرب من قضايا اللغة للدكتور حسن ظاظا - طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م.
- ١٠٨- الكنز اللغوى فى اللسان العربى - نشره أوغست هفتر - طبعة بيروت ١٩١٣م.
- ١٠٩- كينونة اللغة العربية للأستاذ عبد الفتاح بدوى - الطبعة الثانية ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م بمطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- ١١٠- لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة. للدكتور عبد العزيز مطر مطبعة الدار القومية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ١١١- لحن العامة والتطور اللغوى للدكتور رمضان عبد التواب - الطبعة الأولى ١٩٦٧م بالقاهرة.
- ١١٢- لسان العرب لابن منظور طبعة مصورة عن طبعة بولاق - الدار المصرية للتأليف والترجمة (تراثنا).
- ١١٣- لطائف الإشارات فى وجوه القراءات للإمام شهاب الدين القسطلانى مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٢٣ قراءات - طلعت.

- ١١٤- لطائف الإشارات (الجزء الأول المطبوع) للإمام شهاب الدين القسطلاني تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين - طبعة لجنة إحياء التراث ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١١٥- اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م.
- ١١٦- لغويات للشيخ محمد على النجار - مطابع دار الكتاب العربي بمصر بدون تاريخ.
- ١١٧- لهجات العرب للعلامة أحمد تيمور باشا - سلسلة المكتبة الثقافية - لجنة إحياء التراث ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ١١٨- لهجات اليمن قديماً وحديثاً للأستاذ أحمد حسين شرف الدين طبعة ١٩٧٠م.
- ١١٩- اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة (دكتوراه) للدكتور أحمد علم الدين الجندى محفوظة بقاعة الرسائل بجامعة القاهرة تحت رقم (٤٠٠). وقد ظهرت طبعته الجديدة في الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.
- ١٢٠- اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.
- ١٢١- لغة هذيل (دكتوراه) للدكتور عبد الجواد محمد الطيب محفوظة بقاعة الرسائل بجامعة القاهرة تحت رقم (٤٩٢) - وقد ظهرت مطبوعة بعنوان (من لغات العرب : لغة هذيل) وهي مودعة في دار الكتب والوثائق القومية برقم ٨٥/٤٩٩٨ دون إشارة إلى مكان الطبع أو التوزيع .
- ١٢٢- لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر طبع بالقاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- ١٢٣- لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) د. عبد المنعم سيد عبد العال مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٢٤- مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الثامن والثاني عشر.

- ١٢٥- مجموعة البحوث والمحاضرات (الدورة السادسة والعشرين) ١٩٥٩-١٩٦٠م.
- ١٢٦- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات لابن جنى تحقيق على النجدى ناصف وعبد الفتاح شلبى طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
- ١٢٧- المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها للأستاذ محمد الأنطاكي مطبعة دار الشروق ببيروت.
- ١٢٨- المحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو الدانى - تحقيق الدكتور عزة حسن طبعة دمشق، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ١٢٩- مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه - المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٣٤م عنى بنشره ج. براجسراسر.
- ١٣٠- المخصص لابن سیده (ت ٤٥٨هـ) الطبعة الأولى بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٠هـ.
- ١٣١- المدخل إلى دراسة النحو على ضوء اللغات السامية للدكتور عبد المجيد عابدين الطبعة الأولى بمطبعة الشيكشى بالأزهر ١٩٥١م.
- ١٣٢- مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو للدكتور مهدى المخزومى الطبعة الثانية ١٩٥٨م بمطبعة الحلبي بالقاهرة.
- ١٣٣- المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطى مطبعة السعادة بمصر ١٣٣٥هـ. والطبعة الثالثة فى مكتبة دار التراث بالقاهرة بدون تاريخ.
- ١٣٤- المصاحف لأبى بكر عبد الله بن أبى داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م بالمطبعة الرحمانية.
- ١٣٥- المطالع النصرى لأبى الوفا الشيخ نصر الهورى مطبعة بولاق ١٢٧٥هـ بالقاهرة.
- ١٣٦- معانى القرآن وإعرابه للزجاج شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- ١٣٧- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة تأليف عمر رضا كحالة طبعة دمشق سنة ١٩٤٩م.
- ١٣٨- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تأليف أبى عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا - الطبعة الأولى ١٩٤٥م.
- ١٣٩- معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية للعلامة أحمد تيمور باشا مطابع الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧١م.
- ١٤٠- معجم فيشر - مقدمته ونموذج منه للدكتور فيشر - مطبعة الرسالة ١٩٥٠م.
- ١٤١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.
- ١٤٢- مفردات من تعز وتربة زيحان للدكتور خليل يحيى نامى - مجلة كلية الآداب عدد ٨٢ - المجلد العاشر - الجزء الأول سنة ١٩٤٨م.
- ١٤٣- المفردات السبع لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ) مكتبة القرآن درب الجمايز بمصر بدون تاريخ.
- ١٤٤- المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة - طبعة لجنة إحياء التراث.
- ١٤٥- مقدمتان فى علوم القرآن إحداهما لابن عطية والأخرى لمؤلف مجهول فى القرن الخامس الهجرى - تحقيق أرثر جفرى مطبعة السنة المحمدية.
- ١٤٦- المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط لأبى عمرو الدانى تحقيق محمد أحمد دهمان . مطبعة دمشق ١٩٤٠م-١٣٥٩هـ.
- ١٤٧- مقدمة لدرس لغة العرب للشيخ عبد الله العلايلي - المطبعة العصرية بالفجالة.
- ١٤٨- من أسرار اللغة العربية للدكتور إبراهيم أنيس الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥م الأنجلو المصرية.

- ١٤٩- من أصول اللهجات العربية فى السودان للدكتور عبد المجيد عابدين الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م.
- ١٥٠- من مباحث الهمزة فى العربية للدكتور عبد الحليم النجار مطبعة جامعة القاهرة.
- ١٥١- من لهجات الجزيرة وأدبها بالسودان (دكتوراه) للدكتور عبد الحميد السيد طلب محفوظة بقاعة الرسائل بجامعة القاهرة تحت رقم (٤٨).
- ١٥٢- مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان طبع بالقاهرة ١٩٥٤م.
- ١٥٣- مناهج الكافية فى شروح الشافية لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى - المطبعة العامة ١٣١١هـ.
- ١٥٤- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزرى (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٢٥ تفسير تيمورية) - والطبعة الأولى بتحقيق دكتور عبد الحى الفرماوى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م دار المطبوعات الدولية .
- ١٥٥- منظومة مورد الظمان فى رسم القرآن للعلامة محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - الطبعة الأولى بمطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٦٥هـ.
- ١٥٦- نسب عدنان وقحطان للمبرد - نشره عبد العزيز الميمنى ط: ١٩٥٤م.
- ١٥٧- النشر فى القراءات العشر لمحمد بن الجزرى - تحقيق محمد أحمد دهمان طبعة دمشق ١٣٤٥هـ.
- ١٥٨- نشوء العربية ونموها واكتهاؤها - طبعة سنة ١٩٣٨ بمصر.
- ١٥٩- نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب.
- ١٦٠- نهاية القول المفيد فى علم التجويد للشيخ محمد مكى نصر طبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة ١٣٤٤هـ.
- ١٦١- النوادر فى اللغة العربية لأبى زيد الأنصارى مطبعة دار الكتاب العربى بيروت - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

- ١٦٢- نحو أبجدية جديدة لعثمان صبرى - مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ م .
- ١٦٣- الهمزة أثرها وأحوالها فى لغة العرب (دكتوراه) للشيخ عبد العظيم الشناوى (مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم ٨٣٤٢).
- ١٦٤- همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية للنسوطى - الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ بمطبعة السعادة بمصر .
- ١٦٥- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه تأليف الشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى عنانى - الطبعة الخامسة ١٣٤٣هـ - ١٩٣٥ م . مطبعة المعارف بالفجالة بمصر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء.....	٣
المقدمة.....	٥

الفصل الأول

الهمز والتسهيل عند اللغويين والنحاة

(٩-٨٨)

الهمز لغة.....	٩
الهمزة فى اصطلاح علماء اللغة الأقدمين.....	١١
مخرج الهمزة وصفاتها عند سيويه ومن جاءوا من بعده.....	١١
اضطراب الرواية عن الخليل فى تحديد مخرج الهمزة.....	١١
التوفيق بين آراء الخليل.....	١٢
التفريق بين الهمزة والألف الساكنة.....	١٣
رأى أبى العباس المبرد.....	١٤
سبب اضطراب الفراء والمبرد فى أمر الهمزة.....	١٤
ابن جنى تنبه لفساد مذهب المبرد.....	١٥، ١٤
ترجيح رأى من يفرق بين الهمزة والألف.....	١٥، ١٦
الهمزة فى اصطلاح المحدثين.....	١٦
بعضهم يرى أنها صوت حنجرى انفجارى.....	١٦
البعض الآخر يتابع الأقدمين.....	١٧
فريق يتابع دانيال جونز فى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس...	١٧
فريق يتابع هفتر فى وصفها بالهمس.....	١٧

١٧	 نظرة الفريقين لوظائف الحنجرة.
١٨	 دقة نظرة دانيال جونز.
١٨	 حول آراء القدماء والمحدثين.
١٨	 محاولة للتوفيق بين آراء القدماء والمحدثين فى مخرج الهمزة وصفاتها....
١٩، ١٨	 تفسير رأى الأقدمين فى وضع الألف مع الهمزة فى مخرج واحد.....
٢٠	 الأقدمون لم يبعدوا عن الصواب كثيراً.....
٢١	 علماء التجويد والقراءات قالوا بما قال به سيويه فى مخرج الهمزة وصفاتها...
٢١	 مكان الهمزة من الكلمة.....
٢٣، ٢٢	 موقف بعض اللغات من الهمزة.....
٢٤	 أنواع الهمزة فى اللغة العربية.....
٢٤	 همزة الوصل.....
٢٥	 مواضعها القياسية والسماعية.....
٢٥	 رأى البصريين والكوفيين فى همزتى «أيمن وأل».....
٢٥	 ترجيح مذهب الكوفيين.....
٢٦	 حركات همزة الوصل.....
٢٦	 همزة القطع.....
٢٧	 التفريق بين همزتى الوصل والقطع.....
٢٧	 رأى بعض المحدثين فى همزة الوصل.....
٢٨	 تعليق.....
٢٩	 حول مصطلحات الهمز والتسهيل.....
٣٠، ٢٩	 التحقيق فى عرف القراء والنحويين.....
٣٠	 التسهيل والتخفيف والبدل والحذف فى استعمالات القراء والنحويين.....
٣٢	 التليين فى استعمالات الفريقين.....
٣٤	 أحوال الهمزة فى اللغة العربية ولهجاتها.....
٣٤	 الهمزة المحققة والهمزة المسهلة وموقع كل منهما.....

٣٥	حكم التسهيل
٣٥	السبب فى التسهيل
٣٧	للتسهيل مراحل تنازلية وللتحقيق مراحل تصاعدية
٣٧	العنونة
٣٧	تعريفها
٣٧	خلاف العلماء والباحثين فى تفسيرها
٣٩، ٣٨	روايات ابن جنى وابن يعيش والسيوطى وابن دريد
٤٠، ٣٩	العنونة تقع فى مطلق الهمزة وأدلة على ذلك
٤١	عكس ظاهرة العنونة
٤٣	العنونة فى نظر علم الأصوات الحديث
٤٣	موافقة العنونة لشروط الإبدال الصوتى
٤٤	بعض المحدثين يقصرون العنونة على « أن وأن » وحجتهم فى ذلك
٤٤	نظرة حول ذلك رأى
٤٥	مراحل التسهيل
٤٦، ٤٥	التسهيل بين بين، تعريفه، رأى سيويه وغيره فى همزة بين بين
٤٦	همزة بين بين فرع عن المحققة
٤٧	فروق بين المحققة وهمزة بين بين
٤٨	المواضع القياسية لهمزة بين بين
٤٨	مواضع اتفاق
٤٨	مواضع اختلاف
٥١	حكم همزة بين بين من حيث الحركة والسكون
٥١	رأى الكوفيين والبصريين
٥٣	ترجيح رأى البصريين
٥٤	همزة بين بين فى نظر المحدثين
٥٤	رأى الدكتور إبراهيم أنيس

٥٥	 رأى الدكتور محمد الأنطاكي
٥٥	 رأى الدكتور عبد الصبور شاهين
٥٦	 تعقيبات على آراء المحدثين
٥٧	 التسهيل بالإبدال
٥٨	 المواضع القياسية للإبدال
٦٠	 المواضع غير القياسية
٦٠	 إبدال قضت به ضرورة الشعر
٦٤	 إبدال فى غير مكانه
٦٦	 إبدال على غير وجهه
٦٧	 إبدال فى غير مكانه وعلى غير وجهه
٦٨	 إبدال لا تجيزه العربية
٦٩	 موقف القراء من هذا الإبدال
٧٠	 موقف بعض المحدثين منه
٧١	 رأى فى ذلك
٧٢	 التسهيل بالحذف
٧٢	 الحذف القياسى ومواضعه
	الحركة المنقولة وشبهها وخلاف العلماء فى الاعتداد بها وما يترتب على
٧٣	 ذلك
٧٧	 الحذف غير القياسى
٧٧	 الحذف فى غير مكانه
٧٩	 الحذف على غير وجهه
٧٩	 الحذف لضرورة الشعر
٨٠	 الحذف بلا علة ولا ضابط
٨١	 حكم الهمزتين المجتمعتين فى كلمتين
٨٢	 دخول همزة الاستفهام على همزة القطع

٨٣	 دخول همزة الاستفهام على همزة الوصل
٨٣	 التقاء الهمزتين والأولى لغير الاستفهام
٨٤	 حكم المتحركاتين
٨٥	 حكمهما إذا سكنت الأولى وتحركت الثانية
٨٦	 حكم الهمزتين المجتمعتين فى كلمة
٨٨	 تعقيب على رأى سيويه فى الهمزتين المجتمعتين فى كلمة

الفصل الثانى

القبائل العربية بين الهمز والتسهيل

(٨٩-١٣٤)

٨٩	 القبائل العربية وما يناسبها من أنماط لهجية
٩٠، ٨٩	 القبائل البدوية يناسبها التحقيق ، والحضرية يناسبها التسهيل
٩٣	 الهمز أصل والتسهيل فرع عنه وأدلة على ذلك
٩٤	 لماذا أثرت العربية الفصحى التزام الهمز على التسهيل؟
٩٥	 تسهيل الهمز ليس من العامية فى شىء
٩٧	 تصنيف قبائل الهمز وقبائل التسهيل
٩٧	 قبائل العننة
١٠١	 قبائل التهميز
١١٣	 تعقيب
١١٤	 قبائل التحقيق
١٢٠	 قبائل التسهيل

الفصل الثالث

الهمز والتسهيل وعلاقته بالإبدال

(١٦٨-١٣٥)

١٣٥	 تمهيد
١٣٦	 آراء القدماء فى الإبدال

١٣٧	 رأى الفراء
١٣٧	 رأى ابن السكيت
١٣٨	 رأى أبى الطيب اللغوى
١٣٩	 رأى المبرد
١٣٩	 رأى ابن فارس
١٤٠	 رأى ابن جنى
١٤٠، ١٣٩	 رأى أبى على الفارسى
١٤١	 إذن القدماء فريقان
١٤١	 آراء المحدثين فى الإبدال
١٤١	 رأى الأستاذ عبد الله أمين
١٤٢	 نقد هذا رأى
١٤٣	 شروط الإبدال فى نظر بعض المحدثين
١٤٣	 لعلماء اللغة قديماً وحديثاً مذهبان فى الإبدال
١٤٤	 النافون للعلاقة بين الهمزة وأصوات المد واللين
١٤٤	 رأى الدكتور إبراهيم أنيس
١٤٦	 ملاحظة على هذا رأى
١٤٦	 رأى الدكتور عبد الصبور شاهين
١٤٧	 تفسير الدكتور هنرى فليش لحالات الإبدال
١٥٠	 ملاحظات حول هذا رأى
١٥١	 تفسير الدكتور عبد الصبور شاهين
١٥٤	 تعقيبات
١٥٥	 ملاحظات أخرى
١٥٧	 القائلون بالعلاقة بين الهمزة والألف والواو والياء
١٥٧	 رأى الخليل بن أحمد
١٦٠	 رأى الأزهرى صاحب التهذيب

١٦٠	 رأى جبر جومط
١٦١	 رأى الأستاذ حفنى ناصف
١٦١	 رأى الدكتور على عبد الواحد وافى
	رأى الدكتور أحمد مختار عمر فى الصلة الصوتية بين الحركات
١٦٢	 وحروف الحلق
١٦٢	 رأى الدكتور عبد الرحمن أيوب فى ذلك
١٦٢	 رأى الدكتور إبراهيم أنيس فى ذلك
١٦٢	 صوت الهمزة فى التسجيلات الطيفية الحديثة
١٦٣	 الصلة الصوتية بين الهمزة والواو والياء غير المدتين غير ممكنة
١٦٣	 محاولة لتفسير جديد

الفصل الرابع

الهمز والتسهيل فى القراءات القرآنية

(١٦٩-٢١٨)

١٦٩	 تمهيد فى القراءات « تأصيل وتأريخ »
١٧٣	 أبواب الهمز فى كتب القراءات
١٧٩	 تعليق ومناقشة
١٧٩	 إحصاء تقريبى لنسبة ورود الهمز المفرد فى كلمات القرآن الكريم
١٧٩	 مذاهب القراء
١٧٩	 أبو جعفر من المسهلين
١٨٠	 نافع من رواية ورش من المكثرين فى التسهيل
١٨٠	 أبو عمرو بن العلاء مكثر فى التحقيق مقل فى التسهيل
١٨٠	 ابن كثير - فيم اشتهر به - من المحققين
١٨٠	 ابن عامر، وعاصم - فيما اشتهرا به ، وحمزة، والكسائى من المحققين
١٨١	 دعم جديد لما بين الهمزة وحروف المد من علاقة
١٨١	 دقة منهج القراء

١٨١	 القراء وضعوا شروطاً لم نجدوها عند النحويين.....
١٨٣	الدقة تظهر أيضاً فى موقف أبى عمرو بن العلاء من تسهيل الهمز الساكن
	الدقة تظهر كذلك فى موقف النحويين والقراء من الهمزتين فى الكلمة
١٨٣	 وفى الكلمتين.....
١٨٥	 بين القياس والرواية.....
١٨٧	 أغفل النحويون وجوها من التسهيل.....
١٩٠	 قلل النحويون من قيمة بعض الوجوه.....
١٩١	 وقوف النحويين عاجزين عن التعليل والتخريج أمام بعض الوجوه.....
١٩٢	 التعليل لمذاهب القراء المشهورين.....
١٩٢	 التعليل لمذهب الإمام أبى جعفر فى التسهيل.....
١٩٣	 التعليل لمذهب الإمام نافع فى التسهيل.....
١٩٦	 التعليل لمذهب الإمام ابن كثير.....
١٩٦	 ابن كثير اشتهر بالتحقيق قديماً وحديثاً.....
١٩٧	 ابن كثير له مذهب آخر هو التسهيل.....
٢٠٢	 التعليل لمذهبه فى التسهيل.....
٢٠٣	 التعليل لمذهبه فى التحقيق.....
٢٠٤	 التعليل لمذهب أبى عمرو بن العلاء.....
٢٠٦	 التعليل لمذهب عبد الله بن عامر.....
٢٠٨	 التعليل لمذهب عاصم فى التحقيق.....
٢١٠	 عاصم له التسهيل أيضاً.....
٢١٣	 التوجيه لمذهبه فى التسهيل.....
٢١٤	 لماذا اشتهر عنه التحقيق دون التسهيل؟.....
٢١٥	 الإمام حمزة ومذهبه فى التحقيق حال الوصل.....
٢١٦	 الكسائى والتعليل لمذهبه فى التحقيق.....

الفصل الخامس

الوقف على المهموز في ضوء رسم المصحف

(٢١٩-٢٤٠)

٢١٩	 تمهيد في تاريخ رسم الهمزة
٢٢١	 المرحلة الثانية في تاريخ رسم الهمزة
٢٢٣	 الهمزة في رسم المصحف
٢٢٥	 متى كتبت المصاحف وكيف كتبت؟
٢٢٦	 أمور يجدر بالقارئ أن يعرفها
٢٢٧	 الوقف على المهموز في مذهب حمزة وهشام عن ابن عامر
٢٢٨	 أحكام الهمزة المتطرفة في حال الوقف عن هشام وحمزة
٢٣٣	 أحكام الهمزة المتوسطة في حال الوقف على ما هي فيه عند حمزة
٢٣٨	 تعقيب وتعليل

الفصل السادس

علامات الهمز والتسهيل

(٢٤١-٢٥٤)

٢٤١	 تمهيد
٢٤١	 المرحلة الثالثة في تاريخ رسم الهمزة
٢٤١	 خلاف حول نظام النقط متى بدأ ؟
٢٤٢	 رأى في هذه المسألة
٢٤٣	 علامات الهمز والتسهيل في المصاحف حتى القرن الخامس الهجري
٢٤٤	 نماذج من كتاب المحكم في نقط المصاحف
٢٤٧	 توضيح وتعليل
٢٤٩	 المرحلة الرابعة في تاريخ رسم الهمزة
٢٥١	 علامات أخرى للهمزة

٢٥١	مقترحات بشأن كتابة الهمزة
٢٥٣	تعليق على هذه المقترحات

الفصل السابع

الهمز والتسهيل في اللهجات الحديثة

(٢٧٤-٢٥٥)

٢٥٥	الطريق لدراسة الظاهرة في اللهجات الحديثة ومدى صعوبته
٢٥٦	الغرض من هذا الفصل
٢٥٦	اللهجات الحديثة تخلصت من الهمزة بالإبدال والحذف
٢٥٦	حالات الإبدال
٢٥٦	العنونة
٢٥٩	إبدال الهمزة في أول الكلمة واوا
٢٦٠	المحافظة على تلك الهمزة في بعض اللهجات الحديثة
٢٦١	صلة ذلك بالإبدال باللهجات القديمة
٢٦١	إبدال الهمزة المتوسطة الساكنة حرف مد من جنس ما قبلها
٢٦٤	صلة ذلك باللهجات القديمة
٢٦٤	حذف الهمزة المتحركة المسبوقه بساكن صحيح غالبا
٢٦٥	صلة ذلك باللهجات القديمة
٢٦٦	إبدال الهمزة المتطرفة المسبوقه بواو أو ياء أصلية ساكنة
٢٦٦	إبدال الهمزة المتحركة بعد ألف فاعل من الأجوف
٢٦٧	صلة ذلك باللهجات القديمة
٢٦٨	إبدال الهمزة المتحركة المسبوقه بواو زائدة لمحض المد
٢٦٨	إبدال الهمزة المتحركة المسبوقه بياء زائدة لمحض المد
٢٦٨	الهمزة المفتوحة المفتوح ما قبلها
٢٦٩	صلة ذلك باللهجات القديمة
٢٦٩	الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها

٢٧٠	صلة ذلك باللهجات القديمة.....
٢٧٠	الهمزة المفتوحة المكسور ما قبلها.....
٢٧٠	الهمزة المكسورة بعد أية حركة يحافظ عليها غالبا.....
٢٧٠	الهمزة المضمومة المضموم ما قبلها
٢٧١	الهمزة المضمومة المفتوح ما قبلها
٢٧١	حالات الحذف.....
٢٧١	الهمزة قد تسقط ويعوض عنها بتشديد الحرف الصحيح السابق عليها.....
٢٧٢	الهمزة قد تسقط ويعوض عنها بحرف مغاير.....
٢٧٣	الهمزة قد تسقط ولا يعوض عنها بشيء بعد ياء النداء.....
٢٧٣	همزة حرف الجر « إلى » تسقط في لسان المصريين.....
٢٧٣	قد تسقط الهمزة من أوائل بعض الأسماء والأفعال.....
٢٧٤	قد تحذف الهمزة بعد أداة التعريف.....
	الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن صحيح غير لام التعريف تحذف بعد
٢٧٤	نقل حركتها إلى ما قبلها.....
٢٧٤	الهمزة المسبوقة بياء أصلية ساكنة أو بألف أصلية تحذف.....
٢٧٤	الهمزة المتطرفة بعد الألف الزائدة في الأسماء والمصادر قد تحذف.....
٢٧٤	قد تحذف الهمزة من مؤنث « أفعل » من الألوان.....
٢٧٥	الخلاصة.....
٢٨٣	المصادر والمراجع.....
٢٩٧	الفهرس.....

المؤلف في سطور

- ولد في قرية بنى عدى بمركز منفلوط محافظة أسيوط (ج.م.ع) عام ١٩٤٧م.
- حصل على الإعدادية الأزهرية من معهد بنى عدى عام ١٩٦٥م ، وعلى الثانوية الأزهرية من معهد أسيوط الثانوى عام ١٩٧٠م ، وعلى الإجازة العالية (الليسانس) من كلية اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٧٤م ، وعلى الماجستير في تخصص أصول اللغة عام ١٩٧٩م ، وعلى الدكتوراه في نفس التخصص عام ١٩٨٤م .
- عمل مدرساً وأستاذاً مساعداً في كليته ، وقام بتدريس مواد أصول اللغة « فقه اللغة وعلم اللغة والمعاجم والأصوات واللهجات والدلالة » في كليات اللغة العربية بالقاهرة والمنوفية ، ودمهور ، وفي كليات الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالقاهرة والإسكندرية وأسيوط .
- عمل أستاذاً مساعداً في كلية التربية للبنات بمدينة عرعر في شمال المملكة العربية السعودية من (١٩٩٠-١٩٩٤م) ، ثم أستاذاً مشاركاً في كلية التربية للبنات بالرياض من (٢٠٠٠م-٢٠٠٤م) .
- ثم أستاذاً في كلية اللغة العربية بالقاهرة .
- صدر له من المؤلفات - غير رسالتي الماجستير والدكتوراه والكتب الدراسية :-
- حواشى ابن برى وابن ظفر على درة الغواص في أوهام الخواص - دراسة وتحقيق . (مكتبة وهبة)
- المنجد للمعلوف في ميزان النقد اللغوي . (مكتبة وهبة)
- نظرات نقدية في المحيط للبستاني . (مكتبة وهبة)
- في مناهج البحث اللغوي . (مكتبة وهبة)
- مقاييس الأصالة والفرعية في الإبدال لابن السكيت . (مكتبة وهبة)
- تنبيهات على بن حمزة على ما في الغريب المصنف من أغلاظ - تحليل ونقد . (مكتبة وهبة)
- قراءة يحيى بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي . (مكتبة وهبة)
- تصحيقات المحدثين لأبى أحمد العسكري ت ٣٨٢هـ - دراسة لغوية تحليلية . (مكتبة وهبة)
- المختصر في أصول النحو ليحيى الشاوى - دراسة وتحقيق . (مكتبة وهبة)
- الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية . (مكتبة وهبة)
- الجانِب الصوتي للوقف في العربية ولهجاتها . (دار الفكر العربى)